فبراير (شباط) ١٩٨٩، رجب ١٤٠٩

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest February '89 N° 123

شدوا الأحزمة وانطلقوا بأمان ٧
حريق في ناطحة سحاب (مأساة واقعية) ٢٤
درهم الحظ ٣٠
الحرب ضد المخدرات ٣٤
الطريقة الذكية لشراء سيارة (تقرير خاص) ٤٠
العطلة الخيالية ٤٤
رحلة كمان ٥٢
فن الاختلاف مع... رب العمل ٥٦
مغامرة في بلاد الزولو ٥٩
عجائب الاخبار ٦٦
كنوز بلورية في جبال الالب ٧٠

مدينة الانكا الضائعة
(ص ١١)

ماذا يحصل حين تتحطم طائرة؟ ٧٦
الاسكافي الشاطر ٨٣
صديق في الظلام ٨٥
متزلج لا يعرف اليأس ٨٨
الهبة الغالية ٩٥
أرض الاساطير ١٠٠
ساعات الجسد تنظم حياتنا ١٠٤
مهندسة شغلت أوروبا ١٠٨
المشاهير والنساك ١١٤
العنف في المدارس ١١٦
لقاء في قطار ٣

حديقة أفكار ٥ - ضحك ٣٣ - طب ٥١ - تأملات ٧٥
دائرة المعارف ٩٣

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

صور فلسطينية: ممر الموت
(ص ١٢١)

أسرارنا في أظفارنا!
(ص ١٦)

حلم والت ديزني
(ص ٤٠)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1989 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

February 89 N° 123 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ٢٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٤،٥

دعي طفلك ينمو مع سيريلاك
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Wheat-Banana
بالقمح والموز
Rice بالأرز
Gluten-free
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Wheat- قمح
Nestlé نستله
سيريلاك
الطعام الأول لطفلك بالملعق
عندما يبلغ طفلك شهره الرا
لايعود الحليب وحده يكفي
عليك بوجبة من سيريلا
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم
طفلك. سيريلاك يحتوي على ال
الغذائية الأساسية التي
لطفلك نموا متناس
وسليما.
Nestlé
تضمنا
نستل

كانت ابتسامتها لغزاً
وكنت شاباً سعيداً
وكان العالم مليئاً بالفرص

لقاء في قطار

عندما رأيتُها لأول وهلة في محطة سانت مارغراتن كانت تصعدُ درجة القطار العالية وهي تدفعُ بركبتها حقيبة بنية كبيرة من الجلد. كانت ترتدي سروالاً من المخمل البنيِّ وقميصاً أخضر فاتح اللون لُفَّ كمّاه. كانت عيناها قاتمتين وشعرها قاتماً وبشرتُها قاتمة. كانت شابة، وغامضة.

وبعدما رفعتْ حملها الثقيل ووضعته على رف فوق المقاعد، ارتمَتْ على مقعد وراحت تتنفس برزانة. وما لبث القطار الفضي المبرد أن تابع رحلته المقررة لخمس ساعات عبر سويسرا.

كانت مياهُ الثلج الذائب تخر في أنهار جبال الآلب، والحقول متوهجة بنبات الخشخاش، إذ اننا كنا في شهرِ مايو (أيار).

حاولت اولاً أن أغطَّ في نوم خفيف، ثم بدأت حديثاً مع شخص جلس إلى جانبي. ولمحتُها من جديد وهي تمسك في حضنها باقة أزهار برية، وبدت كأنها تفكِّرُ في الشخص الذي قدِّم إليها الباقة. فعبرْتُ الممشى وجلسْتُ أمامها وسألْتُها بالألمانية: "ما اسم هذه الأزهار؟" وكان جوابها الوحيد ابتسامة. ففكرْتُ: آه، ليست ألمانية، هي حتماً ايطالية.

انحنيت الى الأمام وطرحت عليها بالايطالية سؤالاً جيداً عن الازهار، إلّا أنها لم تنبس بكلمة. لعلها خرساء. لكنني طردت هذه الفكرة من ذهني. وبقي لي خيار أخير: بما أننا في سويسرا فلا بد من أنها تتكلم الفرنسية. وكان الجوابِ كالسابق: ابتسامة ملغزة. تراجعتُ ورددت الابتسامة ثم حاولت أن أظهر بمظهر غامض، لكنها مهمة عرفتُ نتيجتها. فلباسي قبعة مسحوقة تشبهُ قبعة صيادي السمك، وقميص طويل الكمين، وسروال أصفر، وحذاء جلدي. كدتُ أن أستسلم، وفجأة نطقت سيدة اللغز وسألتني: "هل تتكلَّم الاسبانية؟"

كيف لم يخطر الأمر على بالي؟ انها إسبانية.

© 1988 by Kevin H. Siepel. Condensed from
The Christian Science Monitor (July 5, '88), Boston, Mass.

وبعدما عادت الامور الى مجراها فتشتُ بحماسة داخل حقيبتي علَّني أعثر على كتاب تعلم الاسبانية. واكتشفت في ما بعد أنها عزباء تعمل في دار للعجزة في آلتشتاتن وهي في طريقها الى اسبانيا لتزور عائلتها.

واكتشفتُ أن معرفتها ضعيفة جداً بالازياء الوطنية واللهجات، اذ انها حسبتني انكليزياً في بادىء الامر ثم ألمانياً. ويبدو أنني كنتُ أولَّ نموذج أمريكيٍّ تلتقيه.

ولا أذكر جيداً المواضيع التي تناقشنا فيها، لكن النهار مضى بسرعة فكرهت وصولنا الى جنيف حيث سنفترق.

غير أننا قضينا اليوم معاً حتى نهايته. تنزهنا لوقت قصير في شوارع المدينة الجميلة. تغازلنا ونحن نشربُ القهوة في مقهى على الرصيف. تفحصنا واجهات المحلات فيما الليل يسدل ستاره. وملأنا أحاديثنا بالضحكات. وعندما وصل قطاري ودعتها على مضض. فأقرباؤها في انتظارِها خلف جبال البيرينيه، أما أنا فناداني جدول أعمالي الى ايطاليا قبل العودة الى بلادي.

اليوم لم تعدْ حياتي تتضمن ذلك الهامش العريضَ الذي تضمنته آنذاك. فأنا أشبه كثيرين: أربي أطفالي، أسافر في رحلات عمل كثيرة، أجز العشب في الحديقة. لكنني أفكرُ أحياناً في تلك الايام عندما تصبح الحياة فجأة حلوة ومُرَّة وعندما تنفتحُ أمامنا فرص يتعين علينا اقتناصها خلال ثوان.

أحياناً أخبر أصحابي تفاصيل ذلك اليوم الربيعي آخذاً بعض الحرية في التصرف بالوقائع، جاعلًا الفتاة أكثر يأساً ونفسي أكثر سحراً أو برودة.

وتستمتع زوجتي بسماعي أسردُ القصة على هذا المنوال، إلا أنها ترى التعديلات مضخمة. فهي تصرّ على أنها لم تكن تشعر باليأس على متن القطار، وأنني لم أكن ساحراً ولا بارداً، وأنها غادرت سويسرا في السنة التالية لتتزوجني على رغم قبح لباسي ذلك اليوم.

كيفن سيبل ■

حجة مقنعة

كتب المخرج السينمائي الايطالي فرنكو زيفيريلي في سيرته الذاتية عن مناسبة دعا فيها مغنية الاوبرا ماريا كالاس والممثلة الايطالية آنا مانياني الى تناول العشاء الى مائدته. كان متهيِّباً التقاء المرأتين، لكن همّه الاكبر كان مائدة الطعام: مَنْ مِن الاثنتين تجِلس الى يمينه؟

"انتظرتُ حتى قامت آنا الى الحمام لتتبرج ثم قلت لماريا: "اسمعي، يا عزيزتي، مانياني أكبر منك سناً بكثير. عليّ أن أجلسها عن يميني، اذا لم يكن لديك مانع."

فأجابت بتصميم: "من الواجب أن تفعل ذلك."

و.ن.

حديقة أفكار

□ الكتب سعاة الحضارة. من دونها يصمت التاريخ ويخرس الادب ويُشلّ العلم ويتجمد الفكر والتأمل.

ب.ت.

□ الاهداف أحلام رُسمت لها مواعيد.

د.س.هـ.

□ الكلمة المحكية عصفور عابر، اذا طار عجزت عن اللحاق به.

مثل روسي

□ ما حاولت قط التعلُّم من انسان لم أحسده وإن قليلا. فلولا الحسد ما تعلمت أبداً.

ب.ك.

□ لا شيء في العالم أكثر ندرة من شخص يتحمله المرء.

جياكومو ليوباردي، شاعر ايطالي (١٧٩٨ - ١٨٣٧)

□ الايمان العميق يبدِّد الخوف.

ليش فاليسا، رئيس "رابطة التضامن" البولونية

□ الوقت يمر، تقولون. لا! واحسرتاه، فهو الباقي ونحن الذاهبون.

أوستن دوبسون

□ رأس الحكمة استباق العواقب.

نورمان كازنز كاتب ومحاضر أمريكي

□ الإعجاب هو اعترافنا المهذب بشَبه الغير بنا.

امبروز بيرس، كاتب سياسي أمريكي (١٨٤٢ - ١٩١٤)

فاجئوا من تحبّون
بهديَّة لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٨/٥/١ و١٩٨٩/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى العنوان الآتي:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

اسم المهدى اليه ________________

____

عنوانه ________________

____

المناسبة وتاريخها ________________

توقيع المهدي ________________

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

مع أخلص تمنياتنا

المختار
من ريدرز دايجست السنة الحادية عشرة (سلسلة جديدة) فبراير (شباط) ١٩٨٩
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

شدّوا الأحزمَة وانطلقوا بأمَان

من ذا الذي يحتاج الى ربط حزام مقعد السيارة؟ لا أحد يعرف الجواب أفضل من ضحايا الحوادث

ذات يوم من مارس (آذار) ١٩٨٦ فيما كان شرطي السير جون بورتون يقوم بدوريته، شاهد ولداً صغيراً واقفاً في مقعد أمامي في سيارة منطلقة. كان ذلك مخالفاً لقانون القيادة في ولاية مريلاند. فأمر السائق بالتوقف. فقال له السائق، واسمه روجر مور وعمره ٢٩ سنة: "لا يخفاك يا سيدي أن الاولاد لا يهدأون ويصعب كبحهم."

لكن الشرطي نظم مخالفة وسلّمه إياها.

فحزم مور ابنه في المقعد وهو يتمتم متذمراً ورمى ورقة ضبط المخالفة في علبة القفازات وانطلق.

لم يكن موقف مور خارجاً عن المألوف. فبعض الناس يشتكون من أن أحزمة المقاعد غير مريحة ويخشى آخرون عدم القدرة على الحركة في حال وقوع حادث اصطدام. ويرفض آخرون تلقي أوامر من رجال القانون.

ان سائق السيارة العادي على يقين من امكان تعرضه لحادث في حياته. ومن دون حزام يتضاعف خطر تعرضه للموت وللاصابة بأضرار بالغة. اذاً لماذا عدم التقيد بالقانون؟

دايان ستيد، رئيسة المديرية الوطنية لسلامة السير في الطرق العامة في الولايات المتحدة، تعزو السبب الى أن

"هؤلاء الناس لا يدركون القوى الكامنة في حادث اصطدام سيارة." فمنذ سنوات وقسم التحقيق في الحوادث في المديرية يحلل أفلام اصطدامات اختبارية تشمل الدمى. وبمراقبة بعض الأفلام شاهدت ما قد يحدث لي عند الاصطدام في حال عدم ربط حزام الامان.

خلال نصف ثانية. لنفترض أني أسير بسرعة ٦٥ كيلومتراً في الساعة، فتصطدم سيارتي بشيء ثابت. يندفع جسمي للحال الى لوحة القيادة (التابلوه) بسرعة ٤٠ متراً في الثانية، ولن يكون بمقدوري اتقاء الصدمة بيديّ لان ذلك يقتضي قوة تعادل ضغط ١٦٠٠ كيلوغرام. لذلك لا بد لمعدتي من أن تصدم المقود بعنف.

ويحدث عند ذلك أن تتصلّب رجلاي وتتكسرا في منطقة الركبتين. وتنحشر ركبتي اليمنى تحت لوحة القيادة وينبعج حاجز النار صعوداً فتنكسر رجلي مباشرة فوق رُسغ القدم. وينحشر أعلى رجليّ تحت لوحة القيادة وتقاومان اندفاع جذعي الى الأمام، فينفصل وركاي في الحال. أما الجزء الأعلى من جسمي فينطوي كالمدية ثم يستوي، وفي أقل من عُشر ثانية بعد الاصطدام يضرب عمود المقود بشدة فينغلق قفص الصدر الى الداخل وتأخذ أضلاعي في التكسّر. ولا يبقى في صدري اتساع لرئتيّ وقلبي والشريان الأورطي، فيما تتحول العظام المكسورة رماحاً شائكة.

ويندفع رأسي الى الامام فيصدم حاجب الريح الزجاجي فيتحطم أنفي وعظم وجنتيّ. وتبلغ سرعة الاندفاع ما يعادل سرعة سقوطي من الطبقة الاولى في بناء الى رصيف الشارع. وفي الوقت ذاته ينعتق دماغي من مؤخر جمجمتي فيضرب داخل جبيني بقوة ثم يرتد محطماً ممزقاً.

أعذار واهية. يشرف فنس كابلنز على مركز طوارىء في مقاطعة آن أرونديل جنوب بلتيمور. وبعد خبرته طوال تسع سنوات كمسعف طبيّ يقول: "حتى الحوادث الصغيرة قد تؤثر فيك بعد وقت قصير." قد لا تصاب السيارة بأي انبعاج، ولكن قد يكونٍ بين ركابك من تكسر أسنانه أو يُحطّم أنفه أو تتدلى شفته المشقوقة. وكل ذلك عائد الى عدم ربط حزام الامان.

يعمل جيم روستيك في وحدة اسعاف طبية. فهلم نذهب معه في جولة. انه لن ينسى عاملا لتحميل السفن عمره ٣٠ سنة، تمزق طحاله وانكسرت رجلاه وانشقت أضلاعه وأصيب بارتجاج دماغي واستمر يردد: "لا تؤذوا ذراعي." ولم تكن ذراعه مصابة بخدش واحد.

وسيتذكر أبداً مواء الهرة الجريح التي قادته الى المرأة تحت العلّيقة حيث لم يلاحظ أحد وجودها. وكم سمع من حشرجات جرحى في النزع الاخير. وكم من حزام مقعد رآه مطروحاً جانباً من دون أن يستخدم.

يتحدث المسعفون الطبيون عن الأعذار التي يلجأ اليها الناس لعدم استخدام الأحزمة. أخبرني أحدهم: "يقولون إنهم يفضلون أن يُقذفوا خارج السيارة من أن يُحبسوا داخلها. ولكن اذا قذفوا خارج

السيارة فانها تنقلب في اتجاههم وقد تنقلب عليهم."

تظهر الدراسات أن الراكب في المقعد الأمامي الذي لم يحزم نفسه الى المقعد، معرض في حال حدوث اصطدام لضعفين ونصف ضعف خطر الموت. كذلك السائق، فانه معرض للموت أربعة أضعاف أكثر من الشخص الذي يستخدم حزامه.

يقول روستيك: شاهدت نحو ٢٤٠٠ حادث. ولا أذكر أنني فككت جثة من حزامها."

حياة محطمة. يؤكد الدكتور أدامز كولي، مدير مركز مريلاند للصدمات في بلتيمور: "لو شاهدتم ما نشاهده كل ليلة، لحافظتم مثلنا بدقة وأمانة على ربط أنفسكم بأحزمة المقاعد."

كنت في المركز ذات ليلة حين أحضرت جيل أيفري. كانت تستعيد وعيها أحياناً فتسأل همساً من خلال شفتيها المهروستين المثخنتين بالجروح: "ماذا حدث؟" فلا تسمع الجواب بسبب الألم الذي كانت تعانيه من الكسور الكثيرة في عظامها.

كان مضى على زواج ريشتي وجيل ١٦ يوماً. وسبب الحادث أن ريتشي شرد بسيارته عبر الخط الوسط فاصطدمت بجنب احدى السيارات ثم انعطفت وسقطت في أخدود. كان ريتشي مربوطاً بحزامه فأصيب بارتجاج خفيف في الدماغ لاصطدام رأسه بالنافذة الجانبية. أما جيل فكانت من دون حزام. واقتضي خضوعها لجراحة في عظم الفخذ. وقد منيت باصابة شديدة في رأسها وبكسر في أعلى ذراعها ورضوض شملت كل وجهها. ولازمت المستشفى عدة أسابيع

Photo: Bob Milazzo

وبقيت أشهراً عاجزة عن العمل.

ويخبر فيليب ميليتيلو، مدير قسم الجراحة في المركز، عن مصابين فضلوا عدم حزم أنفسهم: هناك ذلك التلميذ الذي أدخل وقد انغرزت المرآة الخلفية في دماغه بعمق ثمانية سنتيمترات، لقد بقي حياً لكنه فقد احدى عينيه. وهناك الرجل الذي أدخل المستشفى ودماغه مكشوف لأنه "طار" عبر حاجب الريح وصدم عمود هاتف فمزّق نتوء معدني قمة جمجمته، وهو أيضاً بقي حياً لكنه، بعد ثلاث سنوات على الحادث، لا يستطيع سوى القعود في كرسي والتطلع عبر النافذة وهزّ الكرسي. وهناك أيضاً الشابة الحسناء التي علق مقبض ناقل التروس في زاوية فمها ومزّق وجنتها صعوداً حتى أسفل مقلتها، وقد أفادت الجراحة التقويمية كثيراً في تحسين مظهرها.

ويرتعد المسعفون المحنكون في المستشفى، حتى الأشداء منهم، حين يتحدثون عن الأمهات اللواتي يجلسن الاولاد في أحضانهن. وغالباً ما تنجو الام لأن الولد يُسحق في الحادث.

الثمن الغالي. يستقبل مستشفى مونتبيلو للتأهيل ببلتيمور نحو عشرين من ضحايا حوادث السيارات. وقد سألت هل ان أحداً منهم كان حزم نفسه قبل الحادث.

اجابت غايل أولزيك (٣٦ سنة) التي أمضت أكثر من سنة تُعالج هناك: "كان بعضهم محزّماً، لكنهم يقولون عادة انه لولا الحزام لماتوا."

كانت أولريك من المحظوظات. ولكن هناك ضحايا لن يعودوا أبداً كما كانوا سليمين معافين.

في امكان المرء رؤيتهم فيما يمر من غرفة الى اخرى. فهناك الأم التي تقول لابنها المنطوي على نفسه كجنين في الرحم: "اذا كنت تسمعني فاضغط يدي." والمزين الذي فقد بصره حديثاً وعامل الهاتف المشلول. والموسيقي الذي فقد القدرة على الكلام. ومدرب كرة السلة الذي لا يقوى الا على التحديق بعينين فارغتين.

بعض السائقين يصرّون على أن شد الاحزمة أو عدمه هو شأن خاص بهم. وإنهم لعلى خطأ. فالاعتناء مدى الحياة بمصاب في دماغه قد يكلف ملايين الدولارات. وتقدّر كلفة الوفيات والاضرار التي يمكن تفاديها باستخدام أحزمة المقاعد بمليارات الدولارات سنوياً.

بعد تنظيم مخالفة في حق روجر مور لعدم حزم ابنه الى مقعد السيارة، نسي شرطي السير جون بورتون المسألة. وبعد أسبوع عثر زميل له داخل درج حفظ القفازات في سيارة محطمة في مدينة بيلير بولاية مريلاند على محضر ضبط المخالفة، بعد ١٩ دقيقة تماماً من اصداره. ولكون الولد مربوطاً الى مقعده فقد جاءت اصابته طفيفة.

لكنه لن يرى والده ثانية. ذلك لأن روجر مور انهمك بتثبيت حزام ابنه وفاته أن يثبت حزامه.

روبرت غانون ■

أبدلت أسماء الضحايا الواردة في هذا المقال. لكن الحوادث المذكورة سُردت بدقة تماماً كما وقعت في الحقيقة.

بعد أربعة قرون من زوال امبراطورية الانكا
يبقى لهذه المدينة القديمة
سحرها الفتان

مَدينة الإنكا الضائعة

واحدة من أكثر المدن غموضاً في فترة ما قبل اكتشاف أمريكا هي ماتشو بيكشو، مدينة الانكا الضائعة.

تربض هذه المدينة على قمة جبلية عالية في جبال الاندس بأرض البيرو. ويحلق أحياناً نسر أمريكي في السماء باسطاً جناحيه ثلاثة أمتار فيجمد معلقاً ثم يرتفع مرفرفاً إلى أن يختفي بين الغيوم. وعلى مسافة ٦٠٠ متر تحته تجري مياه نهر أوروبمبا العكرة في ممر ضيق على شكل حدوة حصان.

ان تاريخ بناء ماتشو بيكشو لم يعد لغزاً، لكن الاساطير حول الذين سكنوها، عاداتهم واحتفالاتهم، لا تزال تروى.

الحضارات في البيرو تعود الى العام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، أما الانكا فيعودون الى قبل ٨٠٠ عام. الا أن ملك الانكا التاسع باتشا كوتيك وابنه توباك يوبنكي لم يتمكنا الا في القرن الخامس عشر من السيطرة على امبراطورية تزيد مساحتها على ثلاثة ملايين كيلومتر مربع وتمتد من جنوب غرب كولومبيا الى أواسط التشيلي وشمال غرب الارجنتين. وفي الوسط كانت تقع العاصمة كوزكو.

طور شعب الانكا نظاماً زراعياً معقداً، وتميز بالحياكة وصناعة الاواني الخزفية والرياضيات والهندسة. وكان نظام الطرق في تلك البلاد مدهشاً جداً بحيث أن العدائين كانوا ينقلون السمك من المحيط الهادىء عبر الممرات الجبلية على ارتفاع ٤٠٠٠ متر عن سطح البحر، وتقديمه طازجاً الى العائلة المالكة. وبنيت جسور فوق الانهار وتوَّجت قلاع عسكرية قمم الجبال. لكن هذه الحضارة لم تعرف سجلات مدونة أبعد من جهاز بسيط من الخيطان المعقودة كان يستعمل للعد ويعرف باسم "كيبوس." هذه الحضارة لم تعرف الحديد ولا القنطرة ولا البكرة ولا الدولاب. واليوم ترتفع مسلاتهم الخلابة في السماء محصَّنة ضد الهزات الارضية.

كيف استطاع الانكا أن يجروا هذه الحجار من المقالع مسافة تزيد على ٣٥ كيلومتراً عبر الجبال الشديدة الانحدار؟

في ساكساهوامان، الحصن الكبير خارج كوزكو، يزن أكبر الحجار اكثر من ٣٠٠ طن ويرتفع حوالى ثمانية أمتار. وتلتصق حجار الصوان المصقولة كاللؤلؤ بقوة من دون اسمنت بينها، الى حد أنه لا يمكن ادخال شفرة سكين بينها.

طوف السياح. عندما نهب الاسبان البيرو في العام ١٥٠٠ احتجزوا الامبراطور أتاهوالبا رهينة الى أن تم ملء غرفة بلغ ارتفاعها أعلى من رأسه بالذهب، وبعد ذلك قتلوه. وقرابة العام ١٥٧٧ اغتيل آخر أباطرة الانكا، توباك أمارو، وسلبت المعابد ونهب الذهب وشيدت صروح جديدة فوق جدران الانكا.

مدينة واحدة فقط بقيت سليمة ومحرَّمة ومنع على المحتلين رؤيتها أو حتى السماع بها. أخيراً مات أهلها الباقون. وزحفت اليها الغابات الخضراء فبقيت مغمورة بالعرائش حتى يوليو (تموز) ١٩١١ عندما جاء اليها المستكشف الامريكي هيرام بينغهام. أما اليوم فتدعى هذه المدينة ماتشو بيكشو (الجبل القديم) تكنياً بالقمة الرمادية العالية التي تطل عليها من الجنوب.

حتى العام ١٩٥٠ كان المسافرون يصلون الى هذه المدينة على ظهور البغال أو في عربات الثيران القوية الملائمة التي تستغرق أسبوعاً عبر طرق الانكا القديمة. أما اليوم فان معظم الناس يأتون اليها بالطوافات والقطارات وسيارات النقل الكبيرة. ويزيد التوافد سنة بعد سنة، ففي العام ١٩٨٦ اتجه الى هذا الجبل أكثر من ٣٠٠ ألف زائر. وهذا يقلق حكومة البيرو ومنظمة الاونيسكو لأن الحجار بدأت تتزحزح وتتلف تحت وطأة السيل غير المنقطع من الزوار والامطار الغزيرة.

© 1980 by Sophy Burnham. Condensed from Realités (July — August '80), Horsham, Pa.
Photos: Bob Schalkwijk

بدأت السلطات في البيرو تتخذ الاحتياطات اللازمة للحفاظ على هذا المعلم الاثري ويخضع الموقع حالياً لصيانة دائمة، ويوجَّه السياح بواسطة اشارات عبر الطرق المخصصة لهم. وقد بدأت لجنة من علماء الآثار والبيئة، مدعومة من بعض الدوائر في الامم المتحدة، مشروعاً طويل الامد للحفاظ على هذا الموقع.

بسطوح الفخار والقناطر الاسبانية، جميلة بهذا الشكل؟

هل هو النقص في الاوكسيجين الذي بهر أنفاسي أمام مجد هذه التلال المحيطة بي والمغطاة بالوزال الاصفر والترمس الازرق الذي يلمع في العشب؟ للالوان بريق أقوى مما تستوعبه عيناي. السماء المصقولة الزرقاء صلبة كالصخر. الاودية رائعة. الاعشاب تلمع ببريق

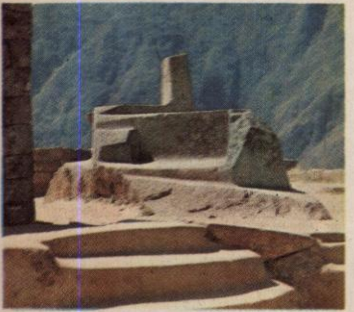

المزولة، أو الساعة الشمسية، التي ساعدت الانكا في مراقباتهم الفلكية وتحديدهم للتواريخ.

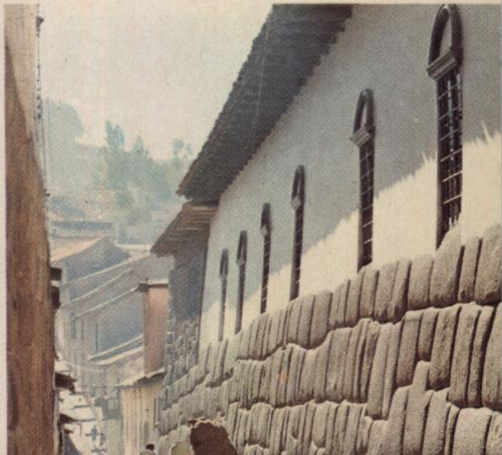

شارع نموذجي في كوزكو حيث شيد المستعمرون أبنيتهم على أطلال جدران الانكا.

مجد التلال. للوصول الى ماتشو بيكشو بسرعة إركب طائرة أولا من ليما الى كوزكو. وبعد ساعة من الطيران تحط الطائرة فتنزل منها على ارتفاع ٣٤٠٠ متر وأنت تلهث. هل هو الارتفاع أم نقاوة الهواء ما يجعل هذه المدينة، العاصمة الاثرية لامريكا الجنوبية (التي يبلغ عدد سكانها نحو ٢٢٠ ألف نسمة) المزدانة

داخلي أخّاذ، والاوكالبتوس (الكينا) الازرق الفضي يومض وينثر الضوء.

في كوزكو ينطلق قطار السوق القديم الى ماتشو بيكشو عبر الطرق الجبلية المتعرجة. يتحرك ببطء صعوداً في الجبال فيدرز جانب التلة ذهاباً واياباً ثم ينزل الى الجهة الثانية ليتابع سيره على أرض مسطحة. يعبر سهول اقليم آنتا الخصبة

ويدخل ممر نهر أوروبمبا المظلم. وفي ما بعد تتسع منحدرات النهر السريعة وتعبر أمريكا الجنوبية وتصب في المحيط الاطلسي على بعد ٦٥٠٠ كيلومتر. على الضفتين ترتفع جبال شاهقة مزدانة بزهر الاوركيديا وبنباتات أخرى فاخرة.

مطر وضباب. في العام ١٩١١ استغرقت رحلة هيرام بينغهام من كوزكو الى ماتشو بيكشو سبعة أيام قطع خلالها ١١٣ كيلومتراً على ظهر بغل. أما اليوم فتستغرق الرحلة ثلاث ساعات ونصف ساعة بواسطة القطار.

تقع ماتشو بيكشو على ارتفاع ٢٦٩٠ متراً، أي أدنى ٧١٠ أمتار من كوزكو. لذلك لا يشكل التنفس صعوبة فيها. بعد القطار تتسلق سيارات للنقل طرق الجبل. والوصول الى القمة يتطلب ٢٠ دقيقة.

ترجلت من السيارة وسرت وحيدة ثم جلست على رصيف. نظرت تحتي فاذا بالجبل ينحدر عمودياً نحو النهر المزبد. ومن ثلاث جهات ارتفعت القمم المثلثة الخضراء لجبل هوينا بيشو، أي الجبل الفتي. كان الهواء هادئاً ولطيفاً فشعرت بجلال ورهبة. هذا الوضع فاجأني، لأن بطاقة القطار كانت وصفت المدينة على أنها قلعة عسكرية. حاولت عبثاً أن أتصور نفسي جندياً في الانكا في مهمة حراسة من العدو. لم أشعر هنا بسوى ألحان خالدة. أردت أن أبقى مسلوبة الى الابد وأنا أشعر بلحن الجبل ينهمر علي كموج المحيط. تعجز الكلمات عن وصف دقيق لجاذبية الجبل الذي ينبض بالدفء المنساب وبالاشعاع.

غُسلت بأمواج السلام وبالحب اللامتناهي.

بعد ذلك جلست مجموعتنا السياحية على حائط. تناولنا طعامنا واستمعنا الى المرشد، وهو أستاذ في علم الآثار، يشرح تاريخ هذه المدينة حيث كرست ١٠٠٠ عذراء أنفسهن للشمس. هنا يقع البرج العسكري بجداره الخارق المتقوس تبعاً لموقعه الصخري الطبيعي. وهنا المزْوَلة،

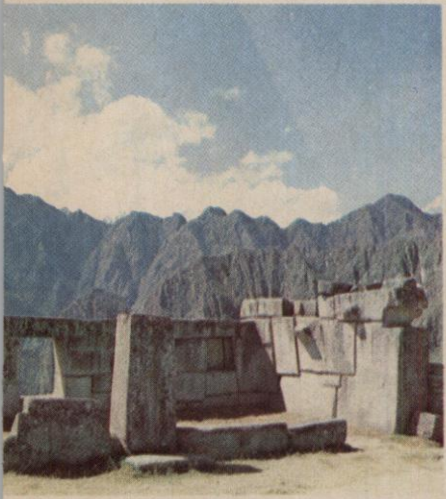

هيكل "الارامل الثلاث" المشيد بحجار ضخمة.

أو الساعة الشمسية، أو السارية التي تُشد اليها الشمس، حيث كان كهنة الانكا "يربطون" الشمس عند كل انقلاب شتوي (★) ليجذبوها نحو الجنوب ثم يرجعوها اليهم. تلك الساعة الشمسية محفورة في صخرة واحدة، وكل حد منها يشير الى احدى الجهات الاربع.

(★) Winter solstice

بدأت الغيوم تتلبد فوق رؤوسنا وسقط المطر بغزارة تحول بعدها طوفاناً. تفرق الناس ملتجئين الى الجدران المكشوفة. وتابع المرشدون جولاتهم غير مبالين بالسيل المنهمر، إذ غالباً ما تمطر في ماتشو بيكشو. وعلى رغم ذلك بقي ذاك الشعور الملح يشدني وأمواج الحب ترفعني، ولكن الى أين؟ الى ما وراء نفسي. ترى، هل شعر به الآخرون أيضاً؟

تعانق العشاق وهم يبحثون عن وقاء تحت الصخور الناتئة. واحتشد آخرون داخل كوخ صغير على أعلى قمة. ثم توقف المطر.

أخذ الضباب الابيض الناعم يلف المدينة زاحفاً فوق سطوحها، ثم مر فوق الساعة الشمسية وطاف فوق منحدر التل لامساً جدران المعبد. وما لبث أن تبعثر فوق الموقع وغيب ما شيده الانسان داخل غيمة كثيفة.

أضحت المدينة المحرمة مخبوءة خارج نطاق قدراتنا البصرية.

صوفي بورنهام ■

حل لمزاج ساخط

لدى بلوغ ابنتي الثامنة من عمرها ساورتها ذات يوم نوبة هياج، فرفضت أن تأكل أو تلعب أو تدرس. اخيراً أجلستها على ركبتي وسألتها ماذا يزعجها.

"لا شيء،" قالت وهي تحدق الى السجادة.

حاولت أن أفكر في الامر الذي حوّل هذه الطفلة السعيدة نكدة المزاج.

فسألتها: "هل ضايقك ابن الجيران مجدداً؟"

فردت: "لا يا بابا. كل ما في الامر اني لا أشعر بأني على ما يُرام."

تابعتُ نظرتها المحدِّقة الى الارض ولاحظتُ حذاءها الرياضي وقد اتسخ من لعب النهار وفُكَّ رباطاه. وجلسنا هناك مدة طويلة. ثم قلت: "رباطا حذائك غير معقودين."

قالت: "بلى، وقد تعثّرت بهما."

أنزلتها عن حضني وأجلستها على الاريكة ثم ركعت إزاءها. أخذتُ كُلا من الرباطين بالتناوب وشددته على نحو متماثل وربطته ربطاً مُحكَماً. وعندما رفعت عيني الى وجه ابنتي وجدتها جالسة تراقبني بنظرتها الجذلة المعهودة. فسألتها: "كيف تشعرين الآن؟"

أجابت: "حسناً، يا أبي، فعلا هو شعور حسن."

لقد عرفتُ هذا الشعور من قبل. لم نتحدث عن متاعبنا مع الناس أو عن أهمية تحسين العلامات المدرسية أو عن آداب السلوك. ما حدث كان حلا للمزاج الساخط الذي ينتاب المرء بعد تجواله طوال النهار وقد فُكَّ رباط حذائه أو تسربت حصاة اليه أو رشحت داخله رطوبة حشائش الحقل. أحياناً يكون كل الحل في شيء صغير، شيء مسوّى، شيء بسيط، شيء معتنى به.

ر.هـ.ب.

المسألة أبعد من قضم الاظفار وبردها وصقلها فالتغيرات الطارئة على لونها وبنيتها وشكلها تحمل معلومات مهمة عن صحتنا

أسرارنا في أظفارنا؟

لا فحص طبياً شاملا يكتمل من دون الامر المعهود: "افتح فمك وقلْ آه!" غير أن بعض الاطباء الاذكياء يزيدون: "دعْني أرَ أظفارك." فهم يعلمون أن هذه الاظفار يمكنها أن تساعدهم على تأكيد تشخيص عدة أمراض خطرة.

تجلّى فحص الاظفار في العهود القديمة. وقد أيده أبقراط (١) كوسيلة للتشخيص. ودامت هذه الممارسة مع الايام، لكن معظمنا غافل عن وفرة ما في بناننا (٢) من معلومات صحية.

تحمي الاظفار البَنان المُرهفة الغنية بالاعصاب من الاصابات، وتزيد اللمس إحساساً وتدعم الاصابع في تداولها أجساماً صغيرة. وهي تشبه الشعر في تركيبتها الكيميائية فتتكوَّن بنسبة كبيرة من القرَتين، البروتيين الليفي الغني بالكبريت.

تبدأ الاظفارُ خلايا ليِّنة كالهلام، ثم تقسو وتغدو متراصّة بإحكام اذ تنبت. والجلد المتصلب فوق قاعدة الظفر يمنع القذَر والمهيِّجات والكائنات المجهرية من شقّ طريقها الى الخلايا الحساسة في تلك المنطقة. وفي الجلد تحت الظفر إمداد دموي غزير ووفرة في الاوعية الشعرية قرب السطح الذي يمنح الاظفار مظهرها الفاتح اللون.

وتعتبر الاظفار، مع العظام والاسنان، من الانسجة الاكثر صلابة في الجسم. وأحد أسباب ذلك فقرها بالماء الذي لا تتعدى نسبته فيها ١٠ في المئة. ومع ذلك فالاظفار تمتص الماء اذا غُطست فيه فيزداد محتواها منه وتصبح أكثر ليونة.

تنمو أظفار اليد بمعدل يترجّح بين نصف مليمتر و١،٢ مليمتر في الاسبوع، بسرعة تساوي أربعة أضعاف سرعة نمو أظفار القدم. وكلما كانت الإصبع طويلة ازداد نمو ظفرها. وتعجِّل الحرارة هذا

(١) طبيب يوناني قديم يلقب "ابا الطب."
(٢) البنان رؤوس الاصابع، واحدتها بنانة.

Condensed from Medical Selfcare (September / October '87), © 1987 by Medical Selfcare, Poit Reyes, Calif. Illustrations: Howard Friedman

النمو، لذلك تطول الاظفار بسرعة أكبر في فصل الصيف وفي الاقاليم الحارة وفي النهار. وعند الرجل الايمن تطول أظفار اليد اليمنى أسرع من أظفار اليسرى، أما الاعسر فيلاحظ نمو أظفار يسراه أسرع من نمو أظفار يمناه. ويحتفظ رجل هندي بالرقم القياسي في طول أظفار احدى يديه، اذ ربّاها فبلغ طولها ٨١ سنتيمتراً خلال ٣٥ عاماً.

الغذاء الجيد ضروري لنمو الظفر السويّ. وفي حالات سوء التغذية وانعدام الشاهية العصبيّ (٣) تنمو الاظفار ببطء، وقد تظهر عبرها أثلام مستعرِضة تدعى خطوط "بو" (٤). وتساهم التغذية الفقيرة أيضاً في تقصُّفها وتكسرها.

وعلى نقيض الاعتقاد الشعبي، لم يبيِّن العلم أبداً أن الهلام (٥) يعجل نمو الاظفار أو يساهم في تقويتها. ويصح الكلام ذاته في الفيتامينات. يقول الدكتور بول كيشيجيان الاستاذ السريري لعلم أمراض الجلد في كلية الطب بجامعة نيويورك ورئيس قسم الاظفار في وحدة الجلد والسرطان في المركز الطبي الجامعي بنيويورك: "لربما أخّر نقص الفيتامين نمو الظفر، لكن زيادته لن تساعد الاظفار على النمو بسرعة أكبر لدى شخص سليم البنية."

طلاء الاظفار يقسّيها، لكن مُزيلاته قد تجففها مولّدة التقصف الذي يسببه أيضاً التعرُّض المهني لمذيبات متطايرة (٦).

يخف نمو الاظفار بفعل دورة دموية فقيرة قد تجعلها أسمك وأخشن وأكثر اصفراراً. وقد تظهر هذه الاعراض في المصابين بالسكري وأمراض القلب. وفي الحالات القصوى يبدو قاع الظفر أزرق اذا حصل نقص في تنشق الاوكسجين.

وفي ما يأتي بعض الحالات الشائعة التي قد تساعد طبيبك على تشخيص مرض خطير:

التدبيس (clubbing): ويدعى أيضاً التعقُّف والتعجُّر. يكون للظفر تقوُّس مفرط في اتجاهه الى عَلُ وعقائص حول البنانة. والتدبيس قد يكون علامة للانتفاخ (الامفزيما) أو السل أو المرض القلبي الوعائي أو التهاب القولون التقرُّحي أو تشمُّع الكبد.

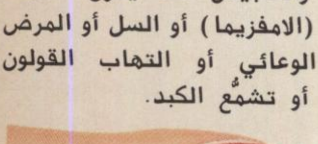

ازرقاق هلال الظفر (٧): إن مسحة زرقاء في هلال الظفر عند قاعدته توحي أياً من الحالات الآتية: دورة دموية ضعيفة، مرض قلب، متلازمة "رينود" وهي تشنجات في شرايين أصابع اليدين والرجلين تنتج عادة من التعرُّض لبرد شديد لكنها تترافق أحياناً مع التهاب المفاصل نظير الروماتزمي (٨) أو مع

---

(٣) Anorexia nervosa
(٤) Beau's lines
(٥) Gelatin
(٦) Volatile solvents
(٧) Blue moons
(٨) Rheumatoid arthritis

مرض الذَّأَب الاحمراري الممنّع ذاتياً (٩).

الاظفار الملعقيّة (spoon nails): يكون الظفر مقعَّر السطح ويبدو مستوياً أو شبيهاً بالمغرفة. وتترافق الاظفار الملعقية مع افتقار الدم الى الحديد ومع داء الزهري (سيفلس) واضطرابات الغدة الدرقية والحمى الروماتزمية.

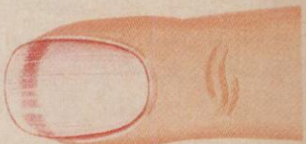

أظفار تيري (Terry's nails): يبدو معظم الجلد تحت الظفر أبيض، مع انحسار المنطقة الزهرية السوية الى شريط قرب رأس الظفر. وقد يكون ذلك من أمارات تشمُّع الكبد.

أظفار ليندساي (١٠): يبدو النصف الاعلى للظفر زهري اللون أو مسفوعاً فيما يبدو النصف المجاور للجلد أبيض. ويُعرف هذا المرض باسم "مرض الاظفار المتناصفة" ويمكن أن يشير الى قصور مزمن في الكلية.

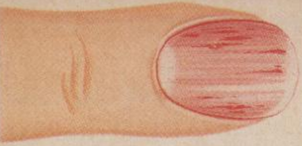

التشظي النازف (١١): تعني هذه الخطوط الحمراء الطولية نزفاً للاوعية الشعرية. وقد تكون كثرة الخطوط علامة ضغط دم مرتفع مزمن أو صُداف (مرض جلدي) أو التهاب في جدار القلب (التهاب الشغاف الجرثومي) يمكن أن يهدِّد الحياة.

تلطُّخ الظفر باللون البني أو الاسود: إن علامة كهذه، خصوصاً اذا انتشرت من الظفر الى نسيج الاصبع المحيط به، قد تعني ورماً قتامياً خبيثاً. وقد تظهر في شكل رقعة واسعة أو مجموعة من الكَلَف الصغير. وأكثر ما ينتشر التلطُّخ في ابهامي اليد والقدم.

متلازمة الظفر الاصفر (١٢): يتباطأ نمو الظفر الذي يصبح غليظاً وشديد الخشونة ويبدو أصفر أو اصفر

(٩) The autoimmune disease lupus erythematosus
(١٠) Lyndsay's nails
(١١) Splinter hemorrhages
(١٢) Yellow nail syndrome

مخضراً. وتتضمن الاسباب أمراضاً تنفسية أو درقية أو لمفاوية مزمنة.

التنقير غير المنتظم (١٣): يحصل هذا في عدة حالات من مرض الصداف.

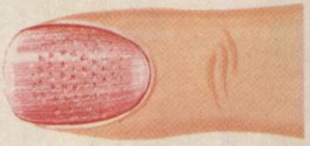

(١٣) Irregular pitting
(١٤) Pitting in rows

التنقير المتراص (١٤): الاظفار التي تشبه النحاس الاصفر المطروق تظهر نتيجة لقلة الشعر في الرأس. وهذا مرض مُمَنَّع ذاتياً وغير مفهوم كفاية وينتج من فقدان الشعر جزئياً أو كلياً.

خطوط بو: تنجم الاثلام الافقية المقعَّرة عبر الظفر عن سوء تغذية أو أي مرض جسيم يؤثِّر موقتاً في نمو الظفر، مثل الحصبة والنكاف (أبو كعب) والنوبة القلبية والحميراء.

بعد كل هذا، أَرْنُ طويلا الى أظفارك، فلعلها تحاول أن تطلعك على أمر ما.

كونستانس شرادر ■

بين السيىء والاسوأ

مرة في الشهر اذهب لزيارة اهلي مستقلا اوتوبيساً تدوم رحلته ثلاث ساعات. في احدى هذه الرحلات كنت افكر في المعاكسات التي لقيتها في ذلك النهار، فما من امر سار على ما يرام. في تلك الاثناء اعلن السائق: "سيداتي سادتي، انا آسف إذ يبدو اننا نواجه صعوبة مع الاوتوبيس، واخشى ان نضطر الى دفعه."

وكانت هذه القشة التي قصمت ظهر البعير. فقفزت من مقعدي وقلت: "هذا فعلا لا يُطاق! لا يمكن يومي ان يكون اسوأ مما هو."

اذذاك قالت العجوز الجالسة قربي: "بلى، ايها الشاب، هنالك اسوأ. تصوَّر لو كنا في طائرة!"

ت.م.

لربما كانت المراهقة طريقة الطبيعة في تحضير الاهل لفراغ العش من الاولاد.

ك.س.

والت ديزني:

٥ أسـرار تحقّـق الأحلام

قبل ستين عاماً في مدينة نيويورك ركب شاب القطار المتوجه غرباً وهو في حال متوترة. لقد سافر والت ديزني شرقاً للتفاوض في شأن توزيع أفضل لرسومه المتحركة التي كان بطلها الارنب "أوزولد"، لكنه فوجىء بأن موزع أفلامه يملك جميع الحقوق وأنه وقع عقوداً مع رسّامي ديزني الرئيسيين. عندئذ أعلن والت لزوجته ليلي، متحدياً، أنه سيبتكر شخصية جديدة. وفيما انطلق القطار بدأ يرسم على أوراقه.

وفي مكان من رحلة الـ ١٤٥٠ كيلومتراً،

Photo of Michael Eisner: © Eddie Adams / Time Magazine;
illustration: © 1988 The Walt Disney Co. and Amblin Entertainment, Inc.

بين تولوكا في ولاية ايلينوي ولاهونتا في ولاية كولورادو، تذكر والت فأر حقل جلس مرة على طاولة الرسم لديه عندما كان في بداية انطلاقته في مدينة كنساس. قرر والت أن يجعل الفأر شخصية وأن يسميه "مورتيمر ماوس"، لكن زوجته اعترضت قائلة: "ان مورتيمر اسم فظيع لفأر."

فسألها والت: "إذاً ما رأيك في ميكي؟ ان لاسم ميكي ماوس صدى جميلا ولطيفاً."

أصبح الفأر الصغير ذو الابتسامة الخجولة والتفاؤل القوي والعزم الذي لا يقهر رمز فرح للملايين في انحاء العالم.

واليوم يتصدر ميكي ماوس امبراطورية تسلية عالمية تمتد من "ديزني لاند" في جنوب كاليفورنيا الى "عالم والت ديزني" في فلوريدا، ومن "ديزني لاند" في طوكيو الى "ديزني لاند" الاوروبية وهي قيد البناء حالياً قرب باريس، كما تمتد الى قلوب مليارات الناس.

ما سبب النجاح الباهر لهذه الامبراطورية التي تقدر قيمتها بـ٩،٢ مليار دولار؟ وما الذي مكّن شركة والت ديزني من تخطي الاوقات العصيبة والتملص من براثن المنافسين؟

ازدهرت المؤسسة بتطبيق المبادىء الاساسية التي وضعها والت ديزني والتزمها الرئيس الحالي مايكل ايزنر. وهذه الاسرار الخمسة لنجاح ديزني يمكن تطبيقها في حياة أي شخص.

استشرفوا المستقبل.

"كان والت يعمل دائماً على أساس نظرية ايفاء دَيْن الغد اليوم،" هكذا يقول أخوه وشريكه روي ديزني، العبقري الذي دعم امبراطورية ديزني. ان استشراف المستقبل ساعد والت ديزني على تخطي أعظم نكسات حياته.

حتى ميكي ماوس كان فاشلا بادىء الامر. فبعد عودة والت ديزني من نيويورك بفكرة الفأر بطلا لرسومه، قصد الرسام الوحيد الذي بقي مخلصاً له وهو يوب ايفركس. صمم ايفركس الفأر الجديد ونفذ الحلقتين الاوليين من ميكي ماوس. ولكن لم يقبل أحد أن يوزعهما. فهما كانتا صامتتين، وكانت الافلام الناطقة نالت اقبالا شعبياً كبيراً. فتبنى والت التقنية الجديدة، وكان الفيلم الثالث عن ميكي ماوس ناطقاً، وعُرض للمرة الاولى في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨، وأصاب نجاحاً باهراً.

وتوقع والت أيضاً أن يؤدي نجاح الافلام الطويلة الى إلغاء أفلام الرسوم المتحركة القصيرة من برامج العروض السينمائية. فصنع أول فيلم سينمائي طويل في الرسوم المتحركة. ولا يزال فيلم "سنو وايت والاقزام السبعة"، منذ عرضه الاول في ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٧ ولاكثر من نصف قرن، أحد الافلام الاكثر ادراراً للربح.

أطلقوا عنان الخيال.

في العام ١٩٦٥ خلال اجتماع حول فيلم "كتاب الغابة" (١) وهو آخر فيلم للرسوم المتحركة نفذ باشراف والت ديزني شخصياً، لفت والت منفذي الرسوم المتحركة الى الصعوبة الكبيرة التي تحط

(١) The Jungle Book

بها النسور. قال: "ان أجنحتها من الضخامة وقوة الرفع بحيث لا تستطيع ابقاءها منخفضة، فتظل تتخبط بالاشياء وتتواثب صعوداً وهبوطاً."

ويذكر مخرجا الرسوم فرانك توماس وأولي جنستون هذا الحادث في كتابهما "فكاهة لا تسعها كلمات" (٤): "فجأة أخذ والت يحرك ذراعيه كجناحين ويضحك وهو يقلد هذه الطيور الضخمة المضحكة قائلا: "وهي ثقيلة جداً حتى ان قوائمها تكاد لا تحمل وزنها فتتدحرج هكذا..." فبدأ الجميع يضحكون. هذا النوع من الايحاء تعودنا توقعه من والت."

أدرك والت ديزني أن في مقدور الناس عادة أن يعملوا أكثر مما يظنون وأفضل. وعندما كان يقلد طائراً أو حيواناً أو انساناً كان يحاول تحرير مخيلات منفذي الرسوم المتحركة وشحذ قوى الملاحظة لديهم لتصبح حادة كقوة ملاحظته.

جاهدوا من أجل نوعية تدوم.

رفض والت ديزني انتاج أي فيلم ما لم يثبت له أنه يملك ميزة البقاء. ففي العام ١٩٣٨، بعد عمل دام ستة أشهر في فيلم "بينوكيو"، علّق والت فجأة انتاج الفيلم لمجرد اقتناعه بأنه يفتقر الى "قلب". قال والت: "أي شيء لا يملك قلباً لا يمكن أن يكون جيداً أو يدوم. بالنسبة الي، المرح يتضمن الضحك والدموع في آن."

كان الحل بالنسبة الى والت ابقاء صرار الليل الناطق، الذي قتل في مستهل الكتاب، قيد الحياة وجعله يلعب دور ضمير بينوكيو. ولاظهار "نفسية" صرار الليل النابضة بالحيوية طلب والت رسمه بسبعة وعشرين لوناً مختلفاً، "فجعل له، ليس فقط قبعة زرقاء وصدرة برتقالية وحذاء أصفر، بل أيضاً ألوان مختلفة لأهداب عينيه وداخل فمه وأخمص قدميه،" كما يروي مخرج الرسوم وارد كيمبال.

تحلّوا بالمثابرة.

منذ نعومة أظفاري كنت أحلم بلقاء والت ديزني للاطلاع على أسراره التي تحقق الاحلام. وعندما بلغت السابعة عشرة ذهبت الى ولاية كاليفورنيا وحظيت بمقابلته.

في يوم أحد من شهر أغسطس (آب) ١٩٥١ اجتمعت بوالت في منزله الواقع في هولمبي هيلز، فأخبرني أن أحد أسراره كان المثابرة على العمل.

وقبل لقائي اياه بشهر تقريباً كان فيلمه "أليس في بلاد العجائب" أخفق في شبابيك التذاكر. فقال لي بصراحة: "أليس لا تملك قلباً. انك تشعر مع سنو وايت، لكنك لا تشعر مع أليس." وعلمت في ما بعد أن فشل الفيلم كان صفعة قوية لوالت لانه أقنع أخاه روي بأن الوقت غير مناسب لتوظيف أموال الاستوديو في انشاء حديقة عامة.

وكان انشاء الحديقة حلماً يراود والت منذ كانت بناته صغيرات وكان يأخذهن الى مدن الملاهي وحدائق الحيوان. ولأنه اعتبر أن تلك كانت أجمل أيام حياته، أراد أن يصمم أماكن كهذه لاسعاد الآخرين.

(٤) Too Funny for Words

لكن اخفاق فيلم "أليس" حدّ من نشاطه موقتاً. فرهن عقد تأمين على حياته ودفع لرسام من حسابه الخاص لوضع الخرائط الاولى لمشروعه. وفي العام ١٩٥٥ افتتحت "ديزني لاند" في أناهايم بولاية كاليفورنيا.

في جميع مشاريعه لم يقبل والت انحرافاً عن الخط القويم. لاحظ مرة أن قاطع التذاكر في القطار كان يعامل الزبائن بفظاظة، فأوعز الى أحد مساعديه: "أعطِ هذا الشاب شرحاً أفضل لطبيعة العمل الذي نتعاطاه. فإذا لم تستطع ابهاجه فعليه ألا يعمل هنا. اننا نبيع السعادة."

تمتعوا بأوقاتكم.

قال لي والت: "لتنجح في أمر ما عليك ألا تقلق، بل اشغل نفسك بفكرة صغيرة تعطيك المرح، كأن تتخيل ماذا يمكن بيتر بان (٣) أن يرى وهو يحلق فوق مدينة لندن."

وبفصاحة يديه وصوته وعينيه وحاجبيه جعلني والت ديزني أرى بيتر بان والاطفال يحلقون عالياً فوق نهر التايمس المتعرج وأضواء العربات تلمع في الشوارع البعيدة. قال لي والت: "ربما حط بيتر والاطفال لحظة على عقارب ساعة "بيغ بن" قبل أن يتوجهوا الى أرض المستحيل في النجمة الثانية الى اليمين، وبعدها في خط مستقيم حتى الصباح." فتسمرت في مكاني.

واليوم في "ديزني لاند" و"عالم والت ديزني" يركب ملايين الناس في "رحلة بيتر بان الجوية" سالكين المسار ذاته الذي وصفه والت قبل سنوات.

بعد وفاة والت بزمن طويل (٤) لا تزال جماعة ديزني تتمتع بأوقاتها، كذلك ملايين الناس الآخرين في انحاء العالم، بفضل اسرار والت ديزني الخمسة التي تحقق الاحلام.

جون كالهين ■

(٣) هو بطل مسرحية "بيتر بان" للروائي البريطاني ج.م.باري.

(٤) مات بالسرطان عام ١٩٦٦ عن ٦٥ عاماً.

ما احلى التواضع!

نقرأ في كتيّب قديم برسم المضيفات ان زميلاتهن اللواتي عملن للمرة الاولى في ١٥ مايو (ايار) ١٩٣٠، زوّدن المجموعة الآتية من التعليمات:

- حافظي على ساعة الحائط مدورة وعلى مقياس الارتفاع جاهزاً لتسجيل ارتفاع الطائرة.
- احتفظي بجدول لمواعيد القطارات في حال الهبوط الاضطراري.
- حذّري الرّكاب من رمي سيجاراتهم وسجائرهم من النوافذ.
- راقبي الركاب عند ذهابهم الى الحمام لئلا يضلوا طريقهم فيتوجهون الى مخرج الطوارىء.

مأساة واقعية

حَريـق في ناطحة سَحاب

ليلة الرابع من مايو (أيار) ١٩٨٨ كان كل شيء هادئاً في أعلى ناطحة سحاب في لوس انجلس. وكان نحو مئة من عمال الصيانة يؤدون أعمالهم الرتيبة في بناية "فيرست إنترستيت تاور" التي تضم ٦٢ طبقة. وفي الطبقة السابعة والثلاثين كان موظفان من "فيرست انترستيت بنك أوف كاليفورنيا" يعملان متأخرين، وهما ميلندا سكار المحللة المالية (٢٨ عاماً) وستيفن أوكساس مساعد نائب الرئيس (٣١ عاماً).

قرابة العاشرة الا ربعاً كانت ميلندا لا تزال منشغلة باعداد تقرير لمجلس أمناء المصرف. اتصلت بخطيبها ديفيد كيرك وتركت له على الآلة المسجلة المجيبة الرسالة الآتية: "أظن أنني سأنتهي قرابة العاشرة والنصف. أراك قريباً."

في العاشرة والنصف لاحظ عامل في الطبقة الخامسة دخاناً قرب السقف، فأطلق صفارة انذار بالحريق. وخلال الدقائق العشر التالية كانت أجهزة كشف الدخان في الطبقتين الثانية عشرة والثالثة عشرة بدأت تطن. وفي العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين أرسل ضابط الامن المهندس الكسندر هاندي للاستقصاء. دخل هاندي المصعد ذا الرقم ٣٣، وتوجه الى الطبقة الثانية عشرة.

في الطبقة السادسة والاربعين فوقه سمعت الموظفة زورا ايماموفيك صراخاً على جهازها اللاسلكي اليدوي. انه هاندي يصرخ: "المصعد ٣٣ مملوء دخاناً، انه يحترق." تفشت النار في الطبقة الثانية عشرة اثر مشكلة كهربائية واضحة. وانحبس هاندي هناك.

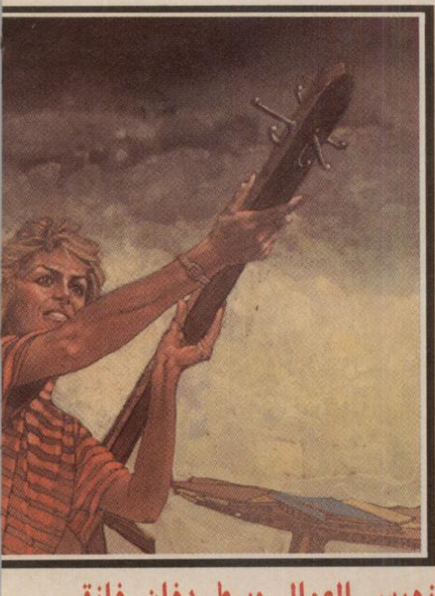

انحبس العمال وسط دخان خانق ودونهم اطفائيون يحاربون جحيماً أحمر في ناطحة السحاب

Photo: © Mark Richards / Picture Group.
Illustration: Jeffrey Terreson

حاولت ايماموفيك الاتصال بضابط الامن بواسطة جهازها اللاسلكي، ولكن لم يكن هناك من جواب كان هاندي يصرخ بألم مبرح. أما ايماموفيك فانكمشت معدتها حينما أخذ الصراخ يخف. ثم ران سكوت مخيف.

عبر الشارع رأى حارس النار في بناية المصرف، فاتصل بالرقم ٩١١ وهو رقم طوارىء المدينة. وفي العاشرة والدقيقة الثامنة والثلاثين أرسلت دائرة الاطفاء في مدينة لوس انجلس ست فرق اطفاء الى جادة ولشاير وشارع هوب. ولدى وصول رئيس الكتيبة دون كيت وجد أن النار تلتهم قسماً كبيراً من الجانبين الشرقي والجنوبي في الطبقة الثانية عشرة، فطلب خمس عشرة فرقة اطفاء اضافية.

في الطبقة الثانية عشرة فتحت الحرارة الشديدة رؤوس عشرات المرشات التي تُفتح آليا في حرارة معينة لاطفاء الحريق، وهي جزء من جهاز كلف انشاؤه ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار. لكن نقطة واحدة من الماء لم تقطر. ذلك لأن الانابيب لم تكن وُصلت بعد وجهاز الماء الخاص بمكافحة الحرائق كان موقفاً.

نار آكلة. عندما سمع ستيفن أوكساس وميلندا سكار صفارات الانذار وشما الدخان أسرعا الى الرواق في الطبقة السابعة والثلاثين. كان الدخان في كل مكان منبعثاً من السقف. ركضا نحو المصاعد، لكن الدخان كان يتسرب من مهابطها، كما كانت بيوت السلالم الاربع في قلب البناية عابقة بالدخان الخانق.

عرفت ميلندا أن الحريق لا بد من أن يكون ضخماً، وحاولت أن تقرر ماذا عليها أن تفعل.

أسرعت هي وستيفن الى الهاتف، وطلب هو الرقم ٩١١. قال من غير أن يفكر: "نحن محبوسان في الطبقة السابعة والثلاثين من فيرست انترستيت."

في هذا الوقت تحلقت سيارات الاطفاء والاسعاف والمروحيات والاطفائيون حول البناية البرج. وقررت ميلندا الاتصال ثانية بديفيد، فالتفكير فيه كان معزياً لها. لكنها لما رفعت السماعة لم تسمع منها اي صوت. الصلة الوحيدة بالعالم الخارجي انقطعت.

لما كانت النار عالية جداً لم يستطع الاطفائيون استعمال سلالم أو خراطيم مياه خارجية. كان عليهم أن يصعدوا السلالم مجهدين مرتدين ثياباً كثيفة واقية وحاملين ما وزنه ستة وثلاثون كيلوغراماً من الاجهزة: خراطيم، وفؤوس، واسطوانات هواء مضغوط.

ضخت دائرة الاطفاء الماء الى جهاز مكافحة الحرائق في البناية، لكنّ أربعين دقيقة مرّت قبل أن يصبح الجهاز فاعلا.

في الطبقة الثانية عشرة انحنى الاطفائيون وصوبوا خراطيمهم الى الباب من بيت السلالم ودفعوها بتأن وهي مفتوحة. النيران تعصف كاعصار. تحطمت النوافذ وسقطت المصابيح والانابيب وطلاء السقف. وبلغت حرارة الهواء ١١٠٠ درجة مئوية فالتوت خوذ الاطفائيين، وغدوا لا يستطيعون الرؤية على مسافة تزيد على خمسة عشر سنتيمتراً أمامهم.

في الحادية عشرة والدقيقة الثانية

والعشرين تولى نائب رئيس دائرة الاطفاء دونالد أنطوني القيادة، وتم ارسال خمس وعشرين فرقة ومئة اطفائي الى مكان الحريق. مشى أنطوني دورة سريعة حول ناطحة السحاب، فرأى النار تندلع من النوافذ المحطمة في الطبقة الثانية عشرة وتنتقل الى الطبقة الثالثة عشرة.

ساعة قفز اللهب من خارج المبنى الى الطبقة الرابعة عشرة كان رئيس دائرة الاطفاء دونالدماننغ يرتجف خوفاً. فالحرارة الشديدة قد تضعف الدعائم الفولاذية التي تحمل خمسين طبقة فوق اللهب. قال أنطوني بهدوء: "اذا ما أصبحت هذه الدعائم حارة جداً فالبناية ستنهار."

رسالة مروعة. في الطبقة السابعة والثلاثين هبط الدخان من السقف غيوماً خانقة. أقفلت ميلندا باب المكتب الذي كانت هي وستيفن داخله، وسدت بسترة الفراغ تحت الباب. أما ستيفن فألقى بطاولة على النافذة محاولا ادخال الهواء، لكن الطاولة ارتدت.

لم يكن ثمة مهرب للدخان الذي تكثف حولهما. حاولا تحطيم النوافذ في مكاتب أخرى من غير جدوى. وجدا مقصات ونزعا المطاط الذي يمسك بالزجاج. ثم حطمت ميلندا النافذة بعلاقة قبعات. فكرت: لا يمكن أن نستسلم، لا يمكن.

أخيراً كان عليهما أن يتراجعا من المكتب المملوء دخاناً. اكتشفت ميلندا مستودعاً مجاوراً، فنادت: "يا ستيفن، هناك هواء أنظف، وثلاجة."

عثرت ميلندا أيضا على قوارير ماء بلاستيكية فارغة. أحدثت ثقوباً في قعورها ووضعت فوقها مناشف ورق مبللة، وتنشقت هواء مُصفّى. وفتحت هي وستيفن باب الثلاجة بضع ثوان لاستنشاق الهواء الانقى.

مشيا مضطربين مسافة خمسة وعشرين متراً من المستودع الى نافذة المكتب وضرباها بكل شيء ثقيل وجداه. لكن كسر الزجاج كان مستحيلا. سقط ستيفن وميلندا على الارض غير قادرين على مزيد من الجهد.

أثناء ذلك تمكنت زورا ايماموفيك من رفع زميلاتها أربعة أدوار من السلالم الى السطح حيث أنقذتهن المروحيات. وخلال تسعين دقيقة عصفت النار بالطبقتين الثانية عشرة والثالثة عشرة وانتشرت في الرابعة عشرة واندفعت الى الخامسة عشرة. أما الدخان فارتفع الى ما فوق سطح البناية البرج.

في هذا الوقت خشي أنطوني ألا يتمكن رجاله من التغلب على النار اذا ما تجاوزت الطبقة السادسة عشرة. كان اللهب يتسلق البناية من الداخل، ويقفز عشرة أمتار الى الخارج.

هبط فريق انقاذ بمروحية على السطح في محاولة تنفيذ مهمة بحث وانقاذ من القمة. لكن أعضاء الفريق اصطدموا، وهم يدخلون بيتي السلالم، بحرارة ودخان هائلين. كانوا كمن ينزلون في مدخنة. تدبروا أمر النزول طبقة واحدة، لكنهم اضطروا الى التراجع عندما فرغ الجهاز الذي يزودهم الهواء.

طوال المساء حاول عامل مقسّم

الهاتف الاتصال بالموجودين في الطبقة السابعة والثلاثين. سمع العامل الخط يرن، لكن أحداً لم يجب. لقد احترقت أسلاك الهاتف. لكن العامل حسب ان الجميع أخلوا الطبقة السابعة والثلاثين.

بعد منتصف الليل أدار ديفيد، خطيب ميلندا، الالة المسجلة المجيبة، وسمع ميلندا تقول انها ستترك المكتب في الساعة العاشرة والنصف. انما الرسالة الثانية هي التي أوقفته بارداً، فأحد زملاء ميلندا في العمل قال فيها: "أخبر ميلندا ألا تذهب غداً الى العمل، فقد شب في البناية حريق كبير."

اتصل ديفيد بادارة الاطفاء ليخبرها أن ميلندا كانت في الطبقة السابعة والثلاثين من البناية المحترقة.

"انهم آتون!" تجديداً للهواء، أمر ضابط الاطفاء روبرت راميريز رجاله بتحطيم نوافذ الطبقة السادسة عشرة بأدوات كماشة. فهو أدرك أنهم اذا ما خسروا هذه الطبقة فسيخسرون البناية. ان الجحيم دونهم نوّب الغراء تحت السجاد مطلقاً غازاً ساماً. ومن الطبقة العاشرة عاد اطفائي يقول: "هنالك حريق في المدخل ٦ - أ." وذلك كان بيت السلالم الذي صعدوا منه. لقد سدت عليهم طريق العودة.

اتصل راميريز لاسلكياً بمركز القيادة، وأخبر نائب الرئيس أنطوني: "أخفقنا، أنا في صدد سحب رجالي."

ارتجف انطوني لدى مرأى النار عاصفة من الطبقات الخمس. قال لراميريز: "حاول أن تمسك بالطبقة السادسة عشرة ما أمكنك ذلك، وابدأ العمل في الطبقتين السابعة عشرة والثامنة عشرة." كان هو ومانانغ يراقبان بآمال واهنة، بينما كتل اللهب الصاعدة تلتهم بلا رحمة طبقة تلو طبقة.

كافحت ميلندا للتنفس عبر القوارير. التصقت هي وستيفن بالارض وأعينهما وحلقاهما في حال احتراق. يكاد أحدهما لا يرى الاخر عبر الدخان الخانق. ضغطت ميلندا أذنها على السجادة لتسمع أنين المصاعد. وتعزّت بما أملت أن يكون أصوات مصاعد. قالت لنفسها: هناك منقذون في طريقهم الينا. أدركت أن أملها الوحيد هو في أن تبقى آملة. وأخبرت ستيفن: "انهم آتون الينا، انني أسمع المصاعد. أعلم أنهم آتون!"

أمر راميريز اطفائييه باخلاء الطبقة السادسة عشرة. وخوفاً من امكان ترك أحد خلفهم اقتفى هو واثنان من الاطفائيين خطوط الخراطيم عائدين الى الحرارة والظلمة. وهناك شنا على اللهب هجوماً أخيراً يائساً.

ودهشا اذ رأيا النار تتراجع للمرة الاولى. وانضم الى قتال الماء مجندون جدد.

قرابة الثانية فجراً اتصل قائد مروحية لاسلكياً بمركز القيادة قائلا: "لا حريق اضافياً يلف البناية." وبعد عشرين دقيقة وردت رسالة أخرى تقول: "النار همدت."

سباق مع الوقت. في الثانية والنصف فجراً كان ستيفن وميلندا منطرحين على السجادة عندما سمعت هذه هدير

المروحيات. مشت متعثرة عبر الغرفة المسودة نحو النافذة التي حلّقت مروحية خارجها، وما كادت تقترب من النافذة حتى رأت المروحية تبتعد. لوحت بيديها غير أن أحداً لم يرها.

تساءلت: هل كتب لي أن أموت هنا؟ واذ تذكرت والدها وأمها وخطيبها ديفيد اغرورقت عيناها. يوم الاحد ذكرى ميلادها التاسعة والعشرون. وداعا يا ديفيد. لهَفي على الخطط التي رسمناها. ولكن لا، لست مستعدة للموت!

في الغرفة المدخّنة سقط رأسها على الطاولة ولم تعد تسمع المروحية تحلق خارجاً.

ظل ديفيد كيرك يتصل بدائرة الاطفاء طوال الليل. أخيراً، في الرابعة فجراً، قال له أحد الاطفائيين: "لقد همدت النار، وكل من حُبس في البناية وُجد."

صرخ ديفيد: "لا، ميلندا في الطبقة السابعة والثلاثين."

أفاقت ميلندا على أصوات مختلطة. وكسراب جميل ظهر اطفائيان وسط الدخان. كان فريد فولكس وجورج أوفرترف، من فريق الانقاذ، يمشطان المنطقة بحثاً عن أحياء. ابتهلت ميلندا: شكراً لله، انتهى كل شيء، وسأحيا.

وجد المنقذون ستيفن فاقداً الوعي في غرفة خلفية. وأدركوا أنهم في سباق مع الوقت اذا ما بقي ستيفن وميلندا على قيد الحياة بعد أكثر من خمس ساعات من تنشق الدخان.

حضّر المنقذون محملين من قماش الستائر، وأُنزل الاثنان بسرعة ستاً وثلاثين طبقة.

في السادسة الا ربعاً فجراً، عندما وصل الاطفائيان اللذان يحملان ميلندا الى خارج المبنى وتوجها نحو سيارة الاسعاف، تطلعت الشابة الى سماء الصباح. وتنسّمت باشتياق الهواء الخارجي ملء رئتيها. انه فجر جديد، هو الاغلى في حياتها.

أربعون من عمال ناطحة السحاب وخمسة اطفائيين أصيبوا في جحيم "فيرست انترستيت." وتوفي المهندس هاندي. أما ميلندا وستيفن فشفيا وعادا لاحقاً الى العمل.

بعد الحريق بعشرة اسابيع اتخذت سلطات مدينة لوس انجلس قراراً يلزم أصحاب قرابة ٣٥٠ بناية مرتفعة مشيدة قبل العام ١٩٧٤ تجهيز سقوفها بأنابيب رشاشة ذات صمامات تفتح آلياً عند حرارة معينة لاطفاء الحريق.

رينا ديكتور لوبلان ■

أغنية عجوز

في أثناء ترتيبي غرفة الطعام في مأوى العجزة حيث أعمل، سمعت احدى المقيمات تدندن لحناً معروفاً بكلمات أجنبية. وسألتها بفضول عن معنى ما غنّته. فنظرت الي كما لو كنت متخلفة عقلياً وقالت بأناة: "حسناً، انه يعني الشيء نفسه، بالطبع."

م.م.

تستغرق بعض الاماني مدة طويلة لكي تتحقق

قصدنا في يوم ربيعي مشرق قبر جدي لكي نزرع حوله بعض الزنابق. جزت جدتي العشب لكي تتأكد من وضوح الاسم على الحجر، وأخذت تكلم جدي باللغة الهنفارية (المجرية). وبعد ذلك دمدمت صلاة.

أما أنا فساعدتها في ازالة العشب وسألتها هل تمانع في جلوسي على شاهدة القبر، فطلبت مني أن أتصرف بحرية لان ذلك المكان هو منزل جدي، وسيكون منزلها هي أيضاً في يوم من الايام. وكان اسمها حفر على الحجر الصواني قبل ذلك. كانت جدتي امرأة متدينة أتعبها الزمن فكانت تردد أنها أصبحت جاهزة لملاقاة بارئها.

بعد طلاق والديّ عشت أنا وأختي مع جدتي. كانت جدتي تجلس في كرسيها الهزاز على الشرفة الامامية في أمسيات الصيف تستمع الى صرار الليل. كانت تطرز المحارم وتسلينا وهي تقص علينا ما كان يقوله الصرار.

وقبل ذهابنا الى النوم كنا نتلو صلاة باللغة الهنفارية. وكانت جدتي تكرر على مسمعي بتأنّ الكلمات التي لا أستطيع لفظها. كانت امرأة قوية لكنها لطيفة سريعة الابتسام وذات ضحكة معدية. وكانت تتكىء على عصا وتتحرك ببطء، لكنها كانت دائماً تراقب خطواتها بحذر.

كنت في السادسة من عمري في ذلك

Condensed from The Newsday Magazine (July 10, '88), © 1988 by Newsday Inc., Long Island, N.Y. Photo: Bob Milazzo

النهار الربيعي حين زرنا المدافن. وكنت ألبس ثياب العطلة، فستاناً منقطاً معقوداً بشريط من الخلف وجوارب قصيرة بيضاء وحذاء جلدياً أسود لماعاً. كنت أتعمد ضرب كعبيه الواحد بالآخر وأنا أثب بين شاهدات القبور لكي اعجل في بلائه.

وحذرتني جدتي: "أنظري أمامك وأنت تمشين." وكنت أحتاج الى هذا التحذير لانني كنت أركض دائماً متجاهلة العوائق في طريقي، فكان محتوماً علي الاختلال والتعثر والوقوع على الارض، وكانت لطخات الدواء الاحمر (مركوروكروم) على مرفقيّ وركبتيّ شواهد على تصرفي الطائش.

كانت جدتي تعني تحذيراتها تماماً. ولكن لكثرة تكرارها أخذت هذه التحذيرات معنى أعمق وكأنها ضرورة حياتية. لكنني كنت أتجاهلها وأتابع الركض اعتقاداً مني أن هذه التحذيرات هي محاولات من عالم الكبار لِلَجْمي. وكنت ارجع عادة الى جانب جدتي، مثلما فعلت في ذلك النهار.

الدرهم السحري. ربما كانت مشية جدتي هي التي جعلت منها انسانة خارقة في ملاحظتها للقطع النقدية الضائعة.

ذلك الاحد كانت القطعة النقدية بين الاعشاب المجزوزة حديثاً أمام أحد القبور، ملطخة بالتراب والاعشاب. وكنت سأدوسها لولا جدتي التي وقفت في طريقي ونقرت القطعة النقدية بعصاها وقالت متحمسة وكأننا وقعنا على جوهرة: "أنظري إليه، انه درهم جالب للحظ. التقطيه."

كنت حينئذ صغيرة فآمنت بالسحر والتقطته.

في ذلك اليوم عرفت دراهم الحظ. انها كذلك لأنك أنت من وجدها ولم يرها آخرون اطلاقاً. انها بمثابة هدايا صغيرة. وعند التقاط أحدها عليك أن تخاطبه بلغة شعرية خاصة: "يا درهمي، يا درهمي، أجلب لي الحظ، لأني أنا رفعتك عن الارض."

أثناء وشوشة جدتي لي بهذه الكلمات كان صوتها حنوناً وموسيقياً، انه الصوت ذاته الذي كان يغني لي لأنام وأنا متكورة بين ذراعيها. واذ اتبعت تعليماتها البسيطة شعرتُ كأنها تشاركَ في أحد اعظم أسرار الكون.

انحنيت لالتقط الدرهم فقالت لي جدتي: "أطلبي أمنية واحفظيها سراً. ضعي الدرهم في مكان آمن وستتحقق أمنيتك ذات يوم."

نظرت الى الدرهم السحري في يدي ورددت التعويذة. وبدأ سباق في عقلي بين كل الامور التي أتمناها. أردت أن اتعلم قيادة دراجة بعجلتين، وأن أمزق جميع ثيابي المنقطة في الخزانة، وأن أنتعل حذاء رياضياً بدل حذاء الجلد اللماع أيام العطل.

ابتسمت جدتي كأنها أدركت ما يجول في خاطري وقالت: "تأكدي من أنك تتمنين شيئاً تريدينه حقاً."

تحت شمس الربيع وسط المدافن تمنيت أن تعيش جدتي الى الابد.

قالت لي: "حافظي على درهمك دائماً، لان بعض الاماني يستغرق وقتاً طويلا لكي يتحقق."

أسقطت الدرهم داخل حذائي كي لا أخاطر بضياعه. وعندما وصلت الى البيت وضعته تحت وسادتي. والى اليوم لا يزال في حوزتي.

معجزات صغيرة. توفيت جدتي في شهر سبتمبر (أيلول) من تلك السنة. وليلة وفاتها كانت الفوضى تعم بيتنا، فشعرت بأن هنالك خطباً ما. زحفت خارج سريري لآتي بالدرهم الذي وجدناه معاً. أطبقت عليه يدي بقوة مدركة أن الامنية التي أردتها لن تتحقق وأن زياراتي المقبلة للمدافن ستكون لجدتي أيضاً.

يوم الدفن وجدت درهماً آخر فقلت في نفسي متعجبة: "كيف يمكن أن أجد الحظ في يوم كهذا؟" وفكرت في عدم التقاط الدرهم، لكنني تذكرت ذلك اليوم في المدافن عندما نقرت جدتي درهماً مماثلا بعصاها. تذكرت أشعة الشمس وهي تلوّح وجهي ورائحة العشب المجزوز والزنابق على قبر أصبح اليوم بيت جدتي.

رفعت الدرهم وأسقطته داخل حذائي الاسود اللماع. أبقيته هناك طوال النهار. وعندما عدت الى البيت بعد الدفن تناولت كوب شاي كان لجدتي وأسقطت فيه الدرهم ووضعت الكوب على طاولتي.

ما زلت أملك ذلك الدرهم، وألوف الدراهم الاخرى الجالبة للحظ. لقد ورثت عن جدتي حاستها السادسة في العثور على هذه الدراهم. انها تملأ الزهريات وعلب المجوهرات وأكياس النايلون وحافظات النقود وعلب المربى والبسكويت والقهوة والاكواب الصينية.

أحياناً أذهب في "نزهات درهمية" عندما أكون مضطربة أو في حاجة الى اتخاذ قرار مهم. ترمز هذه الدراهم الى المعجزات الصغيرة التي أتمناها. وهي تقنعني بأن الامور التي اعجز عنها قد تصبح سهلة المنال في النهاية.

أدعوها "دراهم جدتي." وأشعر كأن جدتي تراقب سير حياتي وتقول لي لافظة اسمي بالهنغارية: "كل شيء على ما يرام يا ارينكي. ستنقشع عنك هذه الغيمة."

قد تكون أمنيتي الاولى تحققت فعلا. جدتي لم تمت، فكل مرة التقط درهماً أفكر فيها. أراها متكئة على عصاها تلاحظ كل خطوة، وأسمع الصوت الذي كان يغني لي لكي أنام وأنا صغيرة ويتمتم صلاة هنغارية في الليالي الهادئة.

يا درهمي، يا درهمي، أجلب لي الحظ، لأني أنا رفعتك عن الارض.

ارين فيراغ ■

ما أقصر الأيام!

يوم أخذت والدتي البالغة ٩٨ عاماً الى المستشفى لاجراء فحص عمومي، كما جرت العادة سنوياً، كانت تضع ساعة ذهبية تتدلى من رقبتها. أعجب الطبيب بالساعة وقال: "انها جميلة، هل هي قديمة؟"

فأجابت امي: "آه، لا، حصلت عليها يوم تخرّجت في المدرسة الثانوية."

ف.ف.

الضحك خير دواء

ام الزوج والزوجة

قال الزوج لزوجته: "لقد مرت عشرون سنة على اقامة امك معنا. الم يحن الوقت لتجد لها مكانا خاصا تقيم فيه؟"
فاجابت الزوجة: "امي؟ لقد اعتقدت انها امك."

ج.ل.

نكتة كيميائية

كتب مدرِّس الكيمياء بالطبشور على اللوح الاسود الرمز HNO_3 ثم استدار ودل باصبعه على اكثر طلاب الصف شروداً وسأله: "علامَ يدل هذا الرمز الكيميائي؟"
فتلعثم الطالب المستاء وتمتم: "أر، أر، آه، اوه... ان اسمه على طرف لساني يا استاذ..."
"في هذه الحال، افضل لك ان تبصقه، لانه حمض النيتريك."

ف.ر.

السلامة غنيمة

تحلّق جمهور حول برج الغطس الذي يعلو ٣٠ متراً عن الارض، في انتظار قدوم الغطاس المعلن عنه. وبعد طول انتظار اقبل شيخ مسن واهن يتكىء على عصا. فتناول المذياع وقال: "مساء الخير. عمري ٩٩ سنة، وفي نيتي انْ اذهلكم. فلسوف اتسلق البرج ومِن عَل سأغطس في حوض الماء الصغير جدا، الذي ترونه تحت البرج. هل انتم مستعدون لمشاهدة ذلك؟"
فتوجس الجمهور خوفاً وصرخ: "آه، لا، لا تُقدِم على هذا العمل!"
فقال الرجل: "سمعاً وطاعة. اذاً، العرض المقبل في الساعة العاشرة."

ا.ب.

معجم المازوشيين

هل سمعت بمعجم المازوشيين الجديد؟ إنه يحوي كل الكلمات، ولكنها ليست مرتبة وفق حروف الابجدية.

ف.ت.

بطارية تطلب سيارة

قال العامل الميكانيكي للزبون: "انني ارى ان مشكلتك تفوق توقعاتي. ان بطاريتك في حاجة الى سيارة جديدة."

ب.ت.

الحرب ضد المخدرات:

درسٌ من أسوج

عنـــدمـــا صمم الشعب الاســوجي (السويدي) على شن "حملة تطهير" ضد المخدرات أتت النتائج مذهلة. فقد توقف مدُّ تعاطي المخدرات، المتنامي في البلاد، وخف فعلا في أوساط الشباب. وألهم هذا النجاح نانسي ريغن، زوجة الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن، فدفعها الى تنظيم حملتها الشخصية لانقاذ الشباب الامريكي من المخدرات. وعندما زارت السيدة ريغن استوكهولم في يونيو (حزيران) ١٩٨٧ كان هدفها أن تتعلم كيف تُشن الحملات.

قد لا تكون الاجراءات القاسية التي طبقتها أسوج طريقة قابلة للتطبيق على نطاق عالمي. غير أن التصميم الصادق على تكوين مجتمع محرر من المخدرات في هذه البلاد سيشدد العزم ويصلّب الصراع ضد المخدرات في كل مكان.

في العام ١٩٨٠ حضرت كاترينا كناتينجيوس، معلمة التطريز في احدى المدارس الثانوية في بلدة تابي القريبة من استوكهولم، سلسلة محاضرات تتحدث على امتداد يوم كامل عن مخاطر تعاطي المخدرات ونتائجه. فأخذتها الرهبة، واكتشفت للحال تلميذاً يدخّن حشيشة الكيف. كان ابنها البالغ ١٥ عاماً. تقول

كاترين: لم يكن هناك من ألجأ اليه للمساعدة. فمجتمعنا كان يغرق في المخدرات، ولم نكن ندري بذلك."

منذ البدء ضربت المخدرات أسوج بقوة. وما ان أقبل العام ١٩٨٠ حتى كان نحو ١٤ ألف شخص يُصنَّفون في تقرير حكومي "مدمنين ادماناً جسيماً." وكانت الوفيات الناجمة عن الجرعات المفرطة في ازدياد. واشتهر في استوكهولم "ميدان ماريا" الذي يضج بشبيبة تصغي الى موسيقى الروك وتدخن سجائر حشيشة الكيف، حتى بات يسمى "ميدان الماريوانا." وعلى رغم ذلك تغاضى المدعون العامون عن كميات ضخمة من حشيشة الكيف والامفيتامين اقتناها المواطنون لاستعمالهم الشخصي، وكانت جهود الوقاية فاترة.

لكنَّ عامة الشعب في أسوج قررت على حين غرة أن الكيل قد طفح، فتحوَّل الموقف الاسوجي المتحرر حيال المخدرات مقاومة عدوانية. وتبلورت الحال النفسية الجديدة في ١٩٨٢ عندما صرح اينغفار كارلسون، الذي صار اليوم رئيساً للوزراء: "لقد آن الاوان لتنفيذ تدابير صارمة في اطار حملة تطهير تنظف البلد من المخدرات. فالشعب الاسوجي يريد نتائج ملموسة."

وفيما عرفت كارثة المخدرات منذ ذلك الحين تدهوراً نحو الاسوأ في معظم البلدان، كانت قصتها في أسوج مختلفة جداً:

□ فيما تضاعفت جرائم المخدرات مرتين في المانيا الغربية وثلاث مرات في فرنسا منذ منتصف السبعينات، تراجعت في أسوج بنسبة ٤٠ في المئة.

□ أنزل الاسوجيون الى النصف ثم الى الربع عدد المراهقين الذين يختبرون المخدرات. وفي أوائل السبعينات كان فتى من أصل سبعة فتيان وفتاة من أصل ست فتيات (في السن السادسة عشرة) يعبثان بالمخدرات. أما اليوم فان طالباً (أو طالبة) من أصل ٣٣ في هذه السن يتورط في المخدرات.

□ ان مجموعة مدمني الهيرويين والامفيتامين بالحقن الوريدية لا تزال مستقرة على عشرة آلاف، وعدد الشباب الذين ينتقلون الى عداد هذه الزمرة هو صفر عملياً.

شدّ وإرخاء. العلاج الاسوجي ليس كاملا في أي حال. ولكن، يقول البروفسور غابريال نحاس من جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك، وهو مرجع في شؤون الادمان: "لا تزال أسوج تسيطر على مشكلة المخدرات سيطرة تفوق كثيراً مثيلاتها في أي بلد غربي آخر."

عندما يتعلق الامر بالحرص على مصالح الشعب يتحسس المجتمع الاسوجي واجبه في التدخل. فمن خلال جهاز للعناية الاجتماعية يكلف الاسوجيين غالياً، لكنه يعمل مثل الساعة، وعبر تقليد طويل من الاهتمام بحياة الكحوليين والجانحين، يحتل شعب أسوج افضل موقع بين الشعوب يؤهله لاتخاذ موقف متصلب من المخدرات. ولكن كان عليه أولا أن يريد ذلك.

بدأ الجدل العنيف في منتصف الستينات. في جهة يقف أهل مدمني

المخدرات، الذين كوَّنوا فريق ضغط فتح أول مقر لمعالجة المدمنين الشباب وأدار حملة ضد المواقف المتغاضية عن المخدرات. وممن تتبعوا مشكلة المخدرات أيضاً وقادوا الصراع من أجل فرض تقييدات صارمة على مقتنيها، البحاثة الرائد في التحليل النفسي الدكتور نيلز بيجوروت. وحجته في ذلك أن ضرع تجارة المخدرات سيجف حتماً اذا لم يعد هناك من يقتنيها. وفي ذلك يقول: "نحن نعرف من يكون مستعملو المخدرات وأين نجدهم، ولذا يمكننا التصرُّف."

ولكن، في الجهة المقابلة، طالب آخرون باسم الحرية الفردية بحظر كل الاجراءات القمعية. واليهم أشار منسق الانعاش أوفي روسنغرن، الذي يشغل الآن منصب رئيس "الجمعية الوطنية لمجتمع خال من المخدرات" وهي فريق ضغط نافذ، عندما قال: "كان المنظرون المتمشون مع آخر ما يهم الشباب يحاولون تسهيل وصول المخدرات الى المدمنين فيما كنا نحن ننتشلهم من حمأتهم. وكان واضحاً أن الحل المتحرر سلوك أحمق. ولكن كيف السبيل الى ايقاظ مؤيديه من غفلتهم؟"

أخيراً تفتحت البصائر عندما اتخذت مشكلة المخدرات أحجاماً لا تُخفى. ويشرح المرشد الاجتماعي بنجت فورسمان: "ازداد تفشي المخدرات في الشوارع فخفنا على أولادنا."

الاهل والمدرسة. ما إن بدأ مؤشر الرأي العام الترجُّح حتى تابع تحركه الحثيث. وأظهرت الاستطلاعات أن دعم الجمهور لسياسة صارمة هو شبه شامل. ولكن لن تكون هناك حملة واحدة، ولا رد بسيط، ولا تسويات.

بادىء ذي بدء لم يُقمْ أي تمييز بين مخدرات "ثقيلة" وأخرى "خفيفة." فحشيشة الكيف اعتبرت خطرة مثل الهيرويين. والمدعون العامون امتنعوا عن التماس العذر لأحد. فامتلاك مقدار ذرة من مادة مخدرة محرَّمة يقود الى دفع غرامة او الى المحكمة، والاتجار بها يعني السجن. وبموجب قانون جديد يُعتبر تداول المخدرات، كما تعاطيها، عملا جرمياً منذ يوليو (تموز) ١٩٨٨.

واليوم غدا الاعلام الصحيح حول المخدرات مادة الزامية في مناهج التدريس لكل الاعمار. فالكتب المدرسية تطرح أسئلة للنقاش من شأنها أن تساعد الشبيبة على مناصرة القيم وعلى اتخاذ الخيارات الصعبة. ورجال الشرطة يزورون غرف التدريس أيضاً ويقولون: "فكروا في أن جرائم المخدرات هي جنائية، وأن سجلا عدلياً ملطخاً يعني أنكم ستلاقون مشاكل في الحصول على رخصة سوْق أو على عمل."

ومع أن الاهل هم الحصن الحقيقي ضد مفسدة المخدرات، فهم غالباً مترددون جائرون: هل ابنهم المراهق يتعاطى حقاً المخدرات أم انه يتصرّف على نحو أخرق مجتازاً مراحل مراهقته؟ كيف لهم ان يعرفوا الحقيقة؟ ماذا في وسعهم ان يقولوا لولد يناقشهم في أن تدخين لفافة حشيشة أقل خطراً من جرع كوب جعة؟

في كل سنة يرسل "مجلس الصحة والانعاش الوطني" الى أهالي كل الاولاد

الذين بلغوا ربيعهم الرابع عشر منشوراً بعنوان "كتاب حشيشة الكيف" يخاطبهم بواقعية فظة: "ليست حشيشة الكيف مخدراً غير مؤذ أو خفيف المفعول... إنها تولّد خوفاً وذعراً وهلوسات وحساً مشوهاً بالواقع... والحشيشة تبقى في الجسم بين أسبوع وأربعة أسابيع بعد تدخينها...".

انقاذ الشبيبة. كل ما يتعلمه الولد عن المخدرات في المدرسة أو في المنزل يلقى دعماً من المؤسسات الخيرية ونقابات العمال ونوادي الشبيبة والرياضة. يقول رولف برسون رئيس الحملة المناهضة للمخدرات التي تقودها "جمعية الفرسان" التي تضم نحو ٣٠ فريقاً مؤثراً وتشترك في النضال ضد المخدرات: "لقد بُذلت جهود كبيرة لضمان حصول الشبيبة على مثل أعلى للحياة كي لا ترغب في العودة الى المخدرات."

وقد وُضع قيد التنفيذ برنامج اجتماعي مكثف للشباب الذين لا تزال تجربة المخدرات تراودهم. وكانت حملة التطهير أُطلقت في مدينة ابلاندس فاسبي شمال استوكهولم في العام ١٩٨٤. فخلال محادثة عادية أخبرت تلميذة في الرابعة عشرة من مدرسة غريمستا الثانوية الممرضة بريجيت اغرين أنها هي وثماني رفيقات في صفها يدخِّنَّ حشيشة الكيف سراً. تقول اغرين: "كانت تلك المدرسة تضم خمسة صفوف في المرحلة ذاتها، والمدينة تضم خمس ثانويات اخرى. فلم تكن لدينا فكرة حقيقية عن أبعاد المشكلة، ولكن كان علينا أن نعمل."

وسرعان ما نظم المرشدون الاجتماعيون في المدينة محاضرة دامت نصف يوم لكل الراشدين العاملين في المدرسة. وأحرقت الشرطة أمامهم حشيشة الكيف كي يتعرفوا الى رائحتها. وفي نهاية السنة أجريت محاضرات مماثلة للاهل والمدربين الرياضيين وغصّت قاعات المدرسة بالحضور. وتقول اغرين: "لقد صُعقت جماعة الاهل برمتها."

وأفاد من غضب المدينة أولريك هرمانسون، رئيس المرشدين الاجتماعيين في قسم المخدرات التابع لمصلحة الشؤون الاجتماعية في مدينة ابلاندس فاسبي. فحظي بدعم شعبي من أجل تنظيم دفاع منهجي ضد غزو المخدرات يكون شبكة أمان بسطها عبر المدينة كل الراشدين الذين هم على صلة بالشبيبة.

بدأ انقاذ الشبيبة المهددة بتأليف شبكة متيقظة من عيون وآذان راشدة تولت تنسيقها العاملتان الاجتماعيتان أنيتا سترومباك وأولا أسك. كان المعلمون ورجال الشرطة وقادة الشبيبة وعدد من الاهلين يراقبون علامات الافراط في تعاطي المخدرات. وممن كانوا يزورون المراقص بانتظام، لاستطلاع أبناء الشباب المتورطين بالمخدرات، اليزابث وستربورغ التي أنشأت فرعاً محلياً لـ"جمعية الاهل المناهضين للمخدرات" بعدما اكتشفت أن ابنتها ميفا كانت تدخن الحشيشة في الرابعة عشرة من عمرها. وتشرح اليزابث: "ميفا هي الآن أم شابة سعيدة، وهي لم تكن لتتورط في

المخدرات لو كنتُ أكثر يقظة منذ البداية."

قَمْع حسَن. يواجَه الشباب المعرضون للمتاعب بأربعة مستويات من التدخل. في البدء يتلقون انذاراً فظاً أمام أهلهم مفاده أنهم اذا لم يغيِّروا سلوكهم فسيتعرضون لمضايقات صعبة جداً. وفي حال متابعتهم تعاطي المخدرات يتولى المرشدون الاجتماعيون الاشراف على حياتهم لمدة سنة. أما المرحلة الثالثة فهي بقاؤهم نحو سنة على اتصال دقيق بمرشد مدرَّب. بعد ذلك يستطيع المرشدون الاجتماعيون ارسال الشباب المشاغبين الى مركز رعاية أو علاج "جماعي" بعيد جداً.

من أصل ٩٦ مراهقاً "متعِباً" وقعوا في شبكة الوقاية في أبلاندس فاسبي بين العامين ١٩٨٣ و١٩٨٥، أرسل ١٣ خارج المدينة. ومن بين ١١ جانحاً أعيد تأهيلهم، تخلص تسعة نهائياً من مشاكلهم. يقول كنت أولسن (١٩ سنة) الذي أرسل ليعمل في مزرعة: "أنه أفضل حدث في حياتي. أنا الآن شخص جديد ولن أعود أبداً الى المخدرات."

ولقد برهن العمل الاجتماعي في ابلاندس فاسبي عن نجاح كبير حتى ان مخططاته للاحتراز ضد المخدرات اعتمدت في نحو ٤٠ مدينة، على أمل أن تغطي أنحاء البلاد.

يقول بير لاغرستروم منظم حركة "الجنود المناهضين للمخدرات" الذين يحاربون تعاطي المخدرات في أوساط العسكريين: "لا أحد فوق القانون. اذا أفرطت في المخدرات فتلك جريمة وعليك أن تتوقف."

الادارة القمعية كانت "قانون العناية بالشبيبة" الذي أقر عام ١٩٨٢. وهو أثار جدلا لانه يجيز للمرشدين الاجتماعيين من خلال المحاكم أن يحيلوا من هم دون السن العشرين على مراكز العلاج واعادة التأهيل. وفي العام ١٩٨٥ عُدل القانون ليعطي المرشدين الاجتماعيين سلطة تنفيذ اجراءات أكثر اعتدالا من الاعتقال. تقول كارين فلمستروم المديرة الاجتماعية لعيادة "ماريا" التي تعالج سنوياً قرابة ٦٠٠ من الحالات الاكثر صعوبة في منطقة استوكهولم: "القانون يعني أن ثمة رجاء دائماً. علينا ألا نرجع أبداً الى الوراء ونراقب مدمني المخدرات يموتون لتعذر الوصول اليهم."

اعادة تأهيل. من الصعب على المرء أن يجادل في صواب اجراءات صارمة ما دامت فاعليتها بادية للعيان. فهذه أولريكا زونجر من استوكهولم تدمن الهيروين منذ الرابعة عشرة، وقد حاول مساعدتها كل من والدتها ومعلميها وفريق عيادة "ماريا"، لكنها كانت حالة عاصية. لذلك أرسلت في العام ١٩٧٨ الى مركز "هاسيلا" الجماعي على بعد ٣٠٠ كيلومتر شمالا، وهذا واحد من عشرة مراكز نموذجية لعلاج الشباب.

ليس في المكان أقفال او قضبان حديد، ولكن ما من مهرب. وتستعيد أولريكا ذكرياتها: "سرقت قارباً وجذّفت عبر البحيرة ثم سافرت "أوتو - ستوب" متطفلة على السائقين، لكن رجال

الشرطة قبضوا علي. وسئلت أمام الجميع كيف استطعت أن أقدم على عمل كهذا؟ كيف أمكنني أن أهرب من أصدقائي؟

"ثم أُعطيت ذات يوم بعض المال لاذهب وأتبضع. تحققت من أن اعضاء الهيئة هم حقاً أصدقائي ويثقون بي. ومنذ تلك اللحظة بدأت أسدل ستار النسيان على حياتي السابقة."

مما يثير الاعجاب أن أربعة من كل خمسة طلاب في مركز "هاسيلا" الجماعي يبتعدون عن المخدرات مدة ثلاث سنوات أو اكثر بعد أن يتركوا المركز. فالعلاج يُنظر اليه كمسألة تدرُّب. والعاملون في المركز وعائلاتهم يعيشون مع الطلاب ويتصرفون حيالهم مثل أهل أقوياء ولكن محبين. وتستنفد المزرعة قسماً من نشاط الطلاب الذين يهتمون بإطعام الحيوانات وإنماء المزروعات. وقد حُشرت جلسات تشاور مكثفة بين المهمات الدراسية. وفي عطلة نهاية الاسبوع يذهب الجميع في رحلات تزلج وتسلية.

بعد ١٤ شهراً يبدأ الطلاب إما حياة دراسية أو تدريباً مهنياً أو أعمالا في مدينة قريبة، فيما يعيشون في محيط شبه عائلي مراقب. وهذا هو الاختبار الحقيقي، لان عليهم التعويض عن السنين الضائعة. تقول أولريكا وقد تخرجت صحافية وهي اليوم في السن السابعة والعشرين: "كنت أهدر حياتي كاملة بالتسكُّع والتربُّص، وكنت سأظل أعيشُ على هذا المنوال لو لم أُكْرَه على التوقُّف."

تثبت أُسوج، بمزيج من اجراءات حكيمة واهتمام تقليدي بالانسان، أنها تسير في الطريق الذي يوقف مد تعاطي المخدرات. ويقول الدكتور كريستيان بروليه وهو محلّل نفسي فرنسي كان في ما مضى أميناً عاماً لفريق "بومبيدو" (★) ودرس الاسراف في تعاطي المخدرات في أوروبا الغربية: "ان تصميم المرشدين الاجتماعيين في أسوج على النجاح هو أمثولة لنا جميعاً، ترينا أن الموقف المتصلّب هو أساسي في تعاملنا مع المدمنين."

ويقول ريتشارد هارتنول منسق مشروع مرشدي المدمنين في جامعة لندن: "وظّفت أسوج موارد واسعة نظراً الى حجم مشكلتها. وفي وسع أي مجتمع آخر يملك هذا التصميم على العمل أن يستدر تشجيعاً أكثر من ذاك النجاح."

لا شك في أن نانسي ريغن وافقت على هذا القول. ففي مأدبة عشاء أقيمت خلال زيارتها التي دامت يومين للاطلاع على وقائع الحملة الاسوجية، أعطت شهادة من شأنها أن تشجع مناهضي المخدرات في كل مكان عندما قالت: "ان العبرة التي نستخرجها من نجاح اسوج المؤثر هي أننا نستطيع، على رغم عقبات صعبة، أن نربح هذه المعركة."

جون دايسون ■

(★) هو فريق تعاون أوروبي في مجال مناهضة تعاطي المخدرات وتجارتها.

حين لا يعرف أحد ماذا يجب أن يُفعل، يقول الجميع: "يجب أن يُعمل شيء ما."

هـ.ك.

تقرير خاص

الطريقة الذكية لشراء سيارة

أمضى هذا الكاتب المتخصص بأمور السيارات
الوف الساعات يختبر أحدث الطرازات
وهنا ثمرة خبرته عما يجب فعله قبل شراء سيارة

إن كلفة السيارة هي أعلى ثمن يدفعه كثيرون منا في حياتهم، بعد ثمن البيت. فمن المهم اذاً أن نحصل على ما نريده تماماً في مقابل ما ندفعه.

لكن كثيرين من الراغبين في شراء سيارة جديدة لا يتم لهم ذلك. فما ان تزول البهجة والاثارة حتى يجدوا أن عليهم التكيف مع سيارة ثمينة لا تفي بمتطلباتهم، وقد تكون مزعجة فعلا. فلماذا يحدث ذلك؟ لأن الراغبين في الشراء لا يفيدون من الوسيلة الفضلى لانتقاء السيارة الفضلى، الا وهي القيادة الاختبارية.

ان قيادة السيارة على سبيل الاختبار هي لكثيرين من الزبائن مجرد تقليد لا معنى له: قيادة سخيفة لخمس عشرة دقيقة في الشوارع المحيطة بمكتب الوكالة فيما يتحدثون بعصبية مع البائع. حتى ان البعض يهمل هذا الاختبار، وفي ذلك منتهى الحمق.

Illustration: Daniel Pelavin

يجب أن تكون القيادة الاختبارية فحصاً دقيقاً جداً بموجب شروطك أنت. ألست انت من سيقود السيارة في الزحمة صباحاً ومساء ولمسافات طويلة في اوقات العطلة وعلى طرق جليدية وأخرى غير مألوفة؟ لذلك، نصيحتنا لك أن تكون حكيماً وتستغل الوقت المتاح لـك. واقتراحنا أن تقود السيارة لمدة لا تقل عن ساعة، وبالامكان الترتيب لذلك مع البائع.

واليك قائمة بما يجب التدقيق فيه لكي يثمر اختبارك. خذ هذه المقالة معك الى وكيل البيع ودقق في القائمة بنداً بنداً، التفاصيل التي ترضيك وتلك التي لا ترضيك في دفتر ملاحظات لدى مقارنة السيارات في الوكالة.

قبل أن تدير المفتاح

□ **الراحة، الاتساع، سهولة الدخول والخروج.** اذا كان اثنان أو ثلاثة من أفراد العائلة ملمين بالقيادة، فليجربوها. واذا ما كنت تخرج بالسيارة والمقاعد ملأى كلها، فاجمع فيها الاشخاص كلهم. هل الجميع مرتاحون؟ هل يثبت مقعد الطفل جيداً في الخلف؟ وأهم من ذلك أن تتأكد من جودة النوابض(١) على محاور العجلات وقدرتها على تحمل الثقل. فاذا كنت معتاداً أن تنقل حمولة زائدة أو أن تجرّ مقطورة، فيقتضي أن تكون في السيارة نوابض للأحمال الثقيلة.

ومن ثم عليك التفكير في سهولة الدخول والخروج من السيارة. فهل يحتمل أن تصدم ركبتك بلوحة الاجهزة أو أن تعلق التنورة بضابط المقعد؟ دقق في الفسحة المتاحة للرأس والرجلين. اذا كانت فسحة الرأس ضيقة فقد تضرب به سقف السيارة لدى تخطيها نتوءاً في الطريق. فاذا بلغ طولك ١٨٨ سنتيمتراً فقد تضطر الى اختبار عدد كبير من السيارات قبل أن تنتقي ما يناسبك منها.

ثم تفحّص المقاعد لترى ما اذا كانت قوية ويمكن تعديلها الى وضع مريح لك. تأكد من قدرتك على اسناد رأسك، لا رقبتك، على سناد الرأس. فاذا رغبت في فرش غير ذلك المبيّن في الدليل، فانتق ما يناسبك من فرش في مكتب البيع. أطلب من صحبك أن يربطوا أحزمة مقاعدهم للتثبت من كونها مريحة وسهلة الاستخدام.

ثم تفحص درج القفازات وأجزاء اخرى في الواجهة والابواب وبين المقاعد. وتأكد من كون صندوق السيارة والفسحة الخلفية للأمتعة واسعين كفاية. واذا اعتدت نقل دراجة هوائية أو عدة تخييم فيجب التأكد من سهولة تحميلها وإنزالها.

□ **الضوابط والأجهزة.** ما هو شعورك وأنت جالس وراء المقود؟ قد تجد أن المقود المضبوط مهم جداً، بل ضروري. ويجب أن تكون الضوابط التي تستخدمها تكراراً سهلة المنال. جربها جميعها. تأكد من أن المسّاحات تعمل بنعومة وهدوء، وأن الغاسلات ترش حاجب الريح جيداً. تأكد من عدم وجود أي عائق دون رؤية مقاييس السرعة ودوران المحرك والوقود والحرارة وغيرها.

بعد ذلك شغّل ضوابط القدمين وتيقن

(١) Suspension

من وجود فسحة كافية بين دواستي الوقود والكابح، ومن أنك تضغط القابض(٢) من دون أن تعلق قدمك بشيء، لان هذا قد يتسبب في مشكلة، خصوصاً في السيارات الحديثة ذوات السقف المنخفض. يجب أن يكون مقبض ناقل السرعة(٣) سهل المنال، واذا كانت القيادة أوتوماتيكية تيقن من سهولة انتقاء السرعة. تفحص النوافذ ومساند اليدين.

اذا كنت راغباً في جهاز راديو أو مسجلة فالوقت مناسب لاختبار الالتقاط وحجم الصوت وسهولة التشغيل.

قيادة السيارة

لا بأس اذا قسوت قليلا في قيادة السيارة. لا تتصرف كأنك استعرتها من جار صعب الارضاء، اذ يجب ان تستجيب لمتطلباتك.

□ **المحرك وناقل الحركة**(٤). يجب أن يكون المحرك ناعماً ويعمل بهدوء نسبياً من دون ارتجاج زائد أو تقلبات في القوة أثناء دورانه والسيارة متوقفة. وبعد الانطلاق انتبه لصوت السيارة أثناء سيرها. هل يعمل ناقل الحركة بنعومة من دون أنين؟ أدر جهاز تكييف الهواء. هل يسحب قوة ملحوظة من المحرك؟ وماذا يحدث لاي تسلّقك تلة شديدة الانحدار؟ اذا كان هناك من سحب قوي فربما ارتأيت حاجة الى محرك أقوى.

بعد ذلك توجه الى الطريق العامة مصطحباً في السيارة بعض الاشخاص لكي ترى تأثير الثقل في فاعليتها وقيادتها. فاذا كانت سيارة بأربع اسطوانات، فان الفرق قد يكون فاضحاً بين قيادتها بمفردك وقيادتها ومعك ركاب.

اضغط دواسة الوقود الى الارضية. هل هناك تقصير أو "تردد" في المحرك؟ في معظم السيارات يجب أن يؤمن المحرك قوة كافية تمكنك من تجاوز سيارة بأمان، وإن كان مكيّف الهواء يعمل والسيارة ملأى بالركاب. توجه الى التلال حيث يمكنك اختبار سرعة السيارة وقوة كوابحها على نحو أفضل. ما من احباط يوازي اكتشافك ان سيارتك الجديدة تكاد تعجز عن صعود أول طريق جبلية تسلكها حين تكون في عطلة مع العائلة.

□ **الكوابح والمناورات**. فيما تسير بسرعة ٧٠ كيلومتراً في الساعة نبّه ركابك ثم دُس الكابح بقوة. يجب أن تتوقف السيارة بيسر وفي خط مستقيم. ولا يجوز أن ينخفض مقدم السيارة الى حد كبير (في السيارات الكبيرة يزيد انخفاضه قليلا على نحو طبيعي). تطلّع حواليك لتؤمن طريقك، ثم لفّ منعطفاً بسرعة فوق العادة لتتبين ان كنت لا تزال مالكاً جيداً زمام القيادة، وهل تميل السيارة بقوة أو تنزلق.

اذا كنت توقف سيارتك يومياً وسط مجموعة سيارات في فسحة ضيقة، فيجب ان تكون سهلة القيادة. ولكي تتأكد من ذلك أوقف السيارة غير مرة. تأكد من عدم

---

(٢) القابض هو جهاز تعشيق التروس (دبرياج).
(٣) ناقل السرعة هو جهاز تغيير التروس (فيتاس).
(٤) Transmission

وجود مشكلة في ما يختص بالفسحة على جانبي السيارة وفوق سقفها في مرأب منزلك أو مكتبك.

وانتبه: هل الطريق الفرعية الى بيتك شديدة الانحدار بحيث قد يلامسها مخفف الصدمة أو انبوب العادم؟

□ **الرؤية والصوت.** للقيادة بأمان يجب أن تتيسر لك الرؤية في جميع الاتجاهات. فهل هناك عوائق تصعب عليك الرؤية حين القيادة الى الوراء، كدعامة جانبية كبيرة أو خلفية؟ اختبر السيارة بعد انسدال الظلام اذا أمكن. اضبط رؤية لوحة الاجهزة لتتأكد من انتفاء الوهج، وافحص ايضاً الاضاءة الداخلية وقوة المصابيح الأمامية.

من المهم أيضاً أن يكون صوت السيارة ناعماً هادئاً في السير البطيء كما في السير السريع، اذ ربما تحول الهدوء في السير الخفيف كابوساً من الاصوات العالية المتنافرة في السير بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة. وقد يصحب الجلبة صوت المحرك العالي أو صوت السيارات الاخرى في الخارج اذا كان العزل غير واف. لذلك اختبر السيارة في طريق وعرة فتنبئك عن حالها. يجب ان تكون خالية من الطقطقة والقعقعة.

بعد القيادة

□ **التناسق والقولبة.** ينطبق هذا التعبير على المنظر الخارجي العام للسيارة، وهو دليل على جودتها. مرر يديك على بدن السيارة وتفحص الطلاء. هل مدّه متساوٍ؟ وهل هو صقيل وناعم ولامع؟ لاحظ طريقة جمع الالواح والقولبة وهل تمت بطريقة متينة ومتّسقة، والفسحة حول الابواب حين تقفل يجب أن تكون متساوية.

أنظر تحت غطاء المحرك، فاذا كنت ممن يهتمون بأنفسهم بصيانة السيارة واصلاحها، فيجب أن تكون السيارة فسيحة يسهل العمل فيها.

اجعل ما ألفته في سيارتك القديمة من فضائل ونقائص مقياساً لتقويم مزايا سيارتك الجديدة. واذا عرفت أشخاصاً يملكون سيارة كتلك التي تنوي شراءها، أطلب منهم أن يفيدوك عنها. فهل صادفتهم مصاعب مفاجئة؟ واذا كنت لم تزل عاجزاً عن تكوين فكرة صحيحة فما عليك الا أن تستأجر سيارة مماثلة وتختبرها خلال عطلة الاسبوع.

ان شراء سيارة جديدة هو غالباً تسوية بين الثمن والحجم والمنظر والانجاز والاقتصاد والواقعية. فقد تقرر أن تضحي فتقبل بفسحة داخلية أضيق على أن يكون شكل السيارة جميلا. ومصروفها الوقودي اقتصادياً. وفي نهاية المطاف، اذا لم تعجبك السيارة على رغم ايجابياتها أثناء اختبارها، فلا تشترها.

معظمنا يتوخى التدقيق وحسن الاختيار في ما يختص بمشترياتنا البيتية. ولكن حيال شراء سيارة قد نطرح الحذر جانباً. ان قيادة السيارة بهدف اختبارها بدقة لا تستغرق سوى جزء يسير من الوقت الذي ستقضيه في سيارتك الجديدة. لكنها قد تكون السبيل الى الرضى والارتياح على المدى الطويل.

بوب سيكورسكي ■

حاولت الفتاة المختطفة أن تحافظ على سلامة عقلها وانتظرت أشهراً بهدوء وشجاعة

العطلة الخياليّة

مساء الاثنين الموافق عشرين ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤ كانت بيريكا مارشيوريلو تتكلم على الهاتف. كانت الفتاة الشقراء البالغة من العمر سبعة وعشرين عاماً ممتلئة اثارة، فبعد اثنتي عشرة ساعة فقط ستطير الى ريو دي جانيرو في البرازيل لقضاء عطلة اسبوعين. وكانت تقول لمكلمها: "أليس ذلك أمراً خيالياً؟ قريباً سأتدفأ بنور الشمس."

تفقدت ساعة الحائط. انها السابعة والنصف مساء. لكنها، للحظة، لم تفقه ما رأت. في المدخل رجلان مقنعان حاملان مسدسين أسودين لامعين. رفع أحدهما

سلاحه الى فيه مما يعني: "اسكتي." ثم أخذ السماعة من يدها وأعادها الى موضعها. وذهب الآخر يفتش عن والدة بيريكا، أنجيلا دل كورنو. دفعا المرأتين برأسي مسدسيهما نزولا على السلالم الى المطبخ.

كان هناك ثلاثة ملثمين آخرين اقتحموا الدارة المترفة المشيدة في القرن السابع عشر في ضاحية مدينة روزا، دخلوها من نافذة خلفية في الطبقة الارضية. بدأ رجلان يتسلقان السلالم الى الطبقة الاولى، أما الثالث فظل يحرس ثلاث نساء مروعات جالسات في المطبخ، هن: أليسندرا المعاقة شقيقة بيريكا البالغة من العمر ثلاثة وعشرين عاماً، وممرضة أليسندرا ليتيزيا كريستاني البالغة من العمر عشرين عاماً، وأرمينيا بيغورارو التي كانت في وقت ما مربية بيريكا المحبوبة وأصبحت الآن مدبرة المنزل.

كانت الدرجات السفلى من السلالم مبللة بالدم. كان جيري، أحد كلبي الصيد الخاصين بالعائلة، منطرحاً على الارض وعنقه مشقوق.

سأل أحد الدخلاء: "من منكن هي بيريكا مارشيوريلو؟" ودل على بيريكا قائلا: "أنتِ هي، أليس كذلك؟"

أجابت بيريكا بصوت هادىء: "أنا صديقة ليتيزيا، أنا زائرة فقط." ان بيريكا، الفتاة الناحلة ذات النظرة الهادئة والقسمات الواضحة المعالم، ورثت عن ابيها العقل الحاد والعزم الحديد، هاتين الصفتين اللتين استغلهما ليصبح أحد أعظم رجال الاعمال البندقيين الناجحين.

ولما طلب الدخلاء أوراق الهوية رأت بيريكا من غير المجدي أن تتابع الانكار.

قالت: "حسناً، أنا بيريكا مارشيوريلو."

وإذ هم الخاطفون بوضع معطف على كتفها تبادلت ووالدتها نظرات الحب التي تعني أكثر مما تعني أي كلمات. كلتاهما أدركت أن احداهما قد لا ترى الاخرى ثانية.

قاد الرجلان بيريكا الى سيارة منتظرة حيث جعلوها تضطجع على ركب ثلاثة خاطفين في المقعد الخلفي. وبعد قرابة نصف ساعة توقفوا وأبدلوا سيارتهم بأخرى. وفي دقائق خمس وصلوا الى الجهة التي يقصدون.

أمسك رجلان بيريكا من ذراعيها واقتاداها عبر مدخل ثم نزلا بها الى ممر. وسمعت صوت باب حديد يُفتح.

"رجاء، افهمني." الزنزانة متران ونصف متر طولا ومتر ونصف متر عرضاً، ومعظم مساحتها مشغول بفراش ضيق. وهناك دلو لقضاء الحاجة ومدفأة كهربائية. ومن كوة التهوئة المصبَّعة بالحديد في أحد أطراف الغرفة رأت بيريكا في الخارج رزماً من التبن. وفي أسفل الباب المقفل في الطرف الآخر فتحة صغيرة تتسلم عبرها بيريكا الطعام. كان سجنها ذات مرة محضنة دجاج.

كانت قسمات معتقليها مخفية بجوارب مشدودة حول رؤوسهم. قال أحدهم بلهجة الآمر: "انزعي مجوهراتك." فتشوا المجوهرات وفتشوها بحثاً عن

Illustrations: Tim O'Brien

اداة تنصت الكترونية او جهاز لاسلكي.

بعد ذلك أرادوا أن يعرفوا كم من المال يملك والدها حاضراً، وما هي الموجودات التي يستطيع أن يحولها نقداً. قالت بيريكا منكرة: "أمسكتما الشخص الخطأ، نحن لا مال لدينا."

انهما يريدان ستة مليارات لير (٤،٦ ملايين دولار). في الليلة الاولى قُيّد معصم بيريكا بسلسلة ربطت بوتد في الحائط. لم تتمكن من الرقاد. وكلما تقلبت جلجلت السلسلة برسالتها الاذلالية. ذاقت طعم الاستسلام المخيف الذي يعانيه حيوان بري وقع في فخ. معتقلوها يستطيعون أن يفعلوا بها اي شيء يريدون. ولا سبيل لها الى المقاومة.

صباح الثلثاء دفعت يدُ سجّانها ذات القفاز الاسود طبق الفطور من فتحة الباب. من الواضح أنه كان مرؤوساً، اما صانعا القرار فهما الرجلان اللذان فتشاها. عادا بعد ثلاث ساعات أو أربع بكتاب، وبعض مجلات، وصحيفة صباحية، وقلم وورقة. طلبت منهما بيريكا أن يفكا قيدها.

أخذا لها صورة وهي تحمل الصحيفة والتاريخ ظاهر كبرهان على أنها ما زالت على قيد الحياة. ثم جعلاها تكتب مذكرة: "ادفع ولا تخبر أحداً، والا فسيأخذان مني الثمن. ادفع مهما طلبا.".

وأضافت من عندها: "رجاء، رجاء، افهمني."

حنو واعتزاز. بيريكا وحيدة. لا صوت في غرفتها الا صوت تنفسها، ولا حركة الا حركة جسمها.

أول شيء فعلته بدؤها تقويماً. ثم باشرت عملا يومياً رتيباً: بعد تنظيف أسنانها، تجلس القرفصاء على الفراش، وتؤدي تمارين تنفس عميق. بعد ذلك يأتي ثني الركبتين والنهوض. عليها أن تظل قوية.

أما مواد القراءة فتضمنت مجلة "بانوراما" الاسبوعية وكتاباً هزلياً ورواية سخيفة. كانت بيريكا تقرأ قرابة أربع ساعات، تعجز بعدها عن مزيد من التركيز. ثم تستحم بماء من دلو. وقد أعطياها الخاطفون ثوب رياضة قرمزياً لتغيير ثيابها. بعد كل ذلك لم يبق شيء تفعله الا الانتظار.

أخيراً تسمع وقع أقدام على البلاط، وصوتاً عند الباب، ويبدل طبق فطورها بطبق آخر عليه طعام العشاء.

صرخت: "إنتظر، لا تذهب، رجاء دعني أمسك بيدك."

توانت اليد في النافذة الصغيرة، أخذتها بيريكا بيدها برفق. ثم انسحبت اليد وعادت بيريكا وحيدة ثانية.

تمددت على الفراش. كم ستطول اقامتها، وكل ثانية من يومها تستمر دهراً؟ سالت دموعها بصمت ثم صرخت من صميم فؤادها.

يوم الاربعاء وصلت الرسالة والصورة المرفقة بها الى دينو مارشيوريلو. امتقع وجهه عندما قرأ مذكرة الفدية، لكنه فهم رسالة بيريكا الحقيقية. ان العبارة "افهمني" الواردة في المذكرة تعني في الواقع "لا تدفع." كان هو وبيريكا غالباً يبحثان في ما يفعلان اذا ما خطف أحد أفراد العائلة. ففي العام ١٩٨٢ كان

الخطف في ايطاليا يجري بمعدل عملية واحدة في الاسبوع. بعض الضحايا، كالصناعي ليفيو برناردي، لم يعد أبداً، وبلغت الفِدى التي دفعت مليارات من الليرات. وقد اتفق الاب والبنت على أمر واحد: ألا يدفعا مهما يكن الامر. فما دامت الفِدى تدفع فالخطف سيستمر، وينتشر.

غمرت الاب موجة من الحنو والاعتزاز بقوة ابنته وذكائها وشجاعتها. كانا اثنين من صنف واحد. لن يأخذ الخاطفون قرشاً واحداً، بل سيعمل هو وبيريكا معاً على زجهم في السجن.

أدرك دينو ماذا يجب ان يفعل: يفاوض، يَعِد، ويراوغ لكسب الوقت. فكل ساعة تمر تزيد امكانات القبض على المجرمين.

قشرة فوق هوة. هناك صوت قرب الباب. الفطور. أرادت بيريكا أن تعود الى الرقاد. كان الرقاد أغلى ما لديها. الرقاد حرية.

لكن الحقيقة لا يمكن أن تحجب وقتاً طويلا. وأخيراً جلست في فراشها. قدرت أن الوقت عصر. أضاءت المصباح العاري المدلى من السقف. وصلت الى الطبق على مهل، وبعناية وحركة بطيئة رفعت فنجان القهوة الى شفتيها. كانت تعطي كل حركة أكبر مقدار من الوقت. الوقت، انه العدو المكار الذي عليها أن تحاربه كل يوم. وبحركة بطيئة أيضاً أشعلت سيجارة وراقبت الدخان يتصاعد متجعداً نحو السقف.

ساعتان من النهار حفظتهما للتفكير وحلم اليقظة. شعرت غير مرة بأنها في اتصال تخاطري مع والدها. كان يقول لها: كوني هادئة، كوني شجاعة، سنخلصك سريعاً.

فترد: لا تستسلم، لا تدفع. اذا ما قتلوني فهذه كلماتي الاخيرة: لا تدفع.

جلب لها سجانها يوم عيد الميلاد كعكاً وشوكولاته. وكانت على طبقها زهرة. ويوم عيد رأس السنة كانت هناك هدية أخرى: أحجية صورة مقطعة تمثل راعية صغيرة تلعب مع حمل. وهي جمعت الصورة وفككتها عشرات المرات.

مرت أيام، شهر، ستة أسابيع، على التقويم الذي وضعته. لم تُجَنّ بعد. لكنّ أمواجاً من الهلع طغت عليها ذات يوم.

قالت لنفسها مشجعة: ظلّي هادئة والا انتهيت. وحضرتها كلمات سبق أن قرأتها: "يقضي الناس حياتهم سائرين على قشرة رقيقة تخفي هوة مروعة. وفكرت: ترى هل زلقت عبر شق في تلك القشرة وسقطت في الهوة؟

أخيراً قررت أنها محظوظة. لا بد من أنها استقرت على طبقة صخرية، لان الازمة النفسية انقضت. بدأت تنظف أسنانها وهي جالسة على الفراش.

ضريبة الانتظار. خلال الاسبوع الثاني من فبراير (شباط) جاءها الخاطفان ثانية مقنعين بجوارب. أرادا أن يعرفا أمراً تعرفه هي: كنية مربيتها، كبرهان لاقناع عائلتها بأنها ما تزال على قيد الحياة وأنهما هما الخاطفان الحقيقيان.

صرخت بيريكا: "الى متى ستحتفظان بي ههنا؟ لم أعد أقدر على الاحتمال."

ضحكا: "ستبقين هنا أبداً اذا لم يدفع والدك."

بعدما ذهبا تجدد روعها. وسالت على ظهرها سيول من العرق. لم تستطع ضبط تنفسها. جرّت نفسها الى كوة التهوئة حيث رأت رزم التبن في الخارج. أشعلت عود ثقاب. لأجعلنّ منه النهاية. لا يسعني أن اتحمل أكثر.

تركت عود الثقاب يسقط على الارض. الانتحار استسلام، وذلك ما لا تفعله أبداً. انها ابنة دينو مارشيوريلو.

وفرض الانتظار ضريبته على عائلتها أيضاً. كانت والدة بيريكا منفعلة جداً بحيث تقفز كلما رن جرس الهاتف. تبكي غالباً من دون سبب ظاهر، ويداها ترتجفان. وفي الليل كانت وزوجها يتقلبان ساعات على الفراش، وينبلج الفجر قبل أن يخلدا الى النوم.

في تلك الاثناء كانت الشبكة التي نسجتها الشرطة تطبق بتأنٍّ على خاطفي بيريكا. وفي منتصف فبراير (شباط) قدَّرت الشرطة أن الخاطفين موجودون في مناطق بادوا وتريفيزو وبلونو، وأنهم يستعملون هواتف عمومية لابلاغ طلباتهم المتعلقة بالفدية.

راقبت الشرطة ٢٥٠٠ كشك هاتف ضمن دائرة يبلغ شعاعها ٢٠٠ كيلومتر. وفي احدى الليالي حلمت بيريكا أن

والدتها جاءت لتفك أسرها. سمعتها تنادي: "بيريكا، بيريكا." ولما استيقظت اقتنعت بأن هذا هو اليوم الذي ستتحرر فيه. ارتدت ثيابها وجلست على الفراش تنتظر فتح الباب. انتظرت طوال النهار.

ذات مساء لم يأتها طعام العشاء. ربما حصل خطأ ما. ربما تركوها. ولم تتلقَّ أي تفسير من سجانها عندما جاء في اليوم التالي. بعد ذلك بدأت بيريكا تدخر بعضاً من طعامها اليومي بحيث تبقى لها مؤونة في حال قطع الطعام عنها حقاً.

كانت تتبادل وسجانها بعض الكلمات عندما يجلب لها الطبق، وتكتب له رسائل تشرح فيها أفكارها وعواطفها. وهو أسرّ اليها مرة: "لم أعد استطيع التحمل وقتاً أطول."

فردت: "لا تقلق، سينتهي الامر قريباً."

يا للعجب! سجينة تواسي خفيرها!

"بيريكا! بيريكا!" في ٧ مارس (آذار) لاحظ شرطي متخفّ في ثياب مدنية في ضاحية كاستلفرنكو فينيتو رجلين داخل كشك هاتف. أثارت طريقة انحنائهما على السماعة شكوكه. فاقتحم الكشك وقبض على لويجي نييرو، وهو مجرم سابق يبلغ من العمر سبعة وأربعين عاماً، وأخيه لينو (٣٨ عاماً). كانا يغطيان السماعة بصحيفة طمساً لصوتيهما. أُخذا الى مركز الشرطة في باسانو دل غرابا، وأخضعا لتحقيق دام ساعات، فاعترفا بعيد الفجر.

في الثانية بعد ظهر الثامن من مارس (آذار) طوّق خمسة عشر جندياً بيت مزرعة في مونتيبلونا. وقبضوا داخل البيت على إينس كازاغراندي، وأمسكوا لاحقاً زوجها أليسندرو أدامي (٥٨ عاماً) وهو السجان صاحب اليد ذات القفاز.

كان قرب البيت اسطبل مملوء تبناً. وعثرت الشرطة على ممر يؤدي الى حجرة بيريكا.

فتحت بيريكا عينيها. انه يومها الثامن والسبعون في الاسر. يا ألله! كم تفتقد الشمس ونورها وحرارتها! اذا ما قيض لها أن تخرج من هنا فلن تستخف بأي نعمة.

"بيريكا! بيريكا!" لا شك في أنها

تهذي. لكن الصوت ظل ينادي: "بيريكا! بيريكا! "

تجمدت رعباً. باعوها من عصابة أخرى، من رجال أشرار متوحشين سيعذبونها.

رأت أمام النافذة الصغيرة شاباً مسلحاً في بزة ضابط شرطة. لم تصدق عينيها.

حطم الشرطي الباب. وإذ ساعدها في الخروج من السجن الى نور الشمس الوهاج شعرت بساقيها رخوتين. اشرقت الشمس على وجنتيها. أشرقت داخلها حين ضحكت وصرخت وتلفظت بكلمات لا معنى لها. عرفت بيريكا أنها منذ تلك اللحظة العجيبة ستعتبر كل يوم ثميناً. أما اللحظة الأبهج فكانت عندما دخل والدها مكتب مفوض الشرطة في كاستلفرنكو فينيتو. ذابت بين ذراعيه القويتين حينما ضمها الى صدره وقال لها ما كانت تنتظر أن تسمع: "يا حبيبتي، أحبك حباً جماً، وأنا فخور بك."

بعد ذلك، عندما اجتمعت بأمها في البيت، أنستهما دموع الفرح الكلمات. جاءت كل القرية ترحب بها. وكانت هناك أزاهير، وابتسامات، وقهقهة.

انها في بيتها.

في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ قضت محكمة باسانو دل غرابا بسجن جيانفرنكو دالاّ سانتا كازا مدة ٢١ سنة، وهو "الدماغ" المخطط للخطف. وحُكم على أليساندرو آدامي بسبع عشرة سنة وثلاثة أشهر حبساً، وعلى إينس كازاغراندي بست عشرة سنة وثمانية أشهر حبساً. أما الاخوان نييرو فأفادا من قانون يخفض العقاب عن المجرمين الذين يتعاونون مع الشرطة. وفي ٢٤ أكتوبر (تشرين الاول) خفضت محكمة الاستئناف في البندقية الاحكام قليلا عن المحكومين ما عدا إينس كازاغراندي.

كريستوفر ماثيوز ■

اذا كان حبيبك عسلاً...

جارنا بائع زهور متساهل مع زبائنه. وقد استغلَّ أحدهم طيبته فراح يشتري منه دَيناً. وأرسل اليه صاحبنا فواتير بالحساب غير مرة، لكنه ظل غير قادر على التحصيل.

وذات يوم اتصلت زوجة البائع بالزبون الدائم المتأخر في الدفع، وعرّفت بنفسها ثم بادرته بإنشاد أغنية "سنة حلوة." فأخذته الدهشة وأكد لها أن اليوم ليس عيد مولده.

فردت: "أعرف ذلك، ولكن مضت سنة كاملة على أول فاتورة لم تسددها."

ج.م.

ثمة أمر رهيب، وجميل في آن، في العودة الى مكان سبق أن عشت فيه. فهناك تغدو جزءاً من ذكرياتك الخاصة.

م.م.

أضواء من عالم الطب

إبرة عجيبة

بلغ قطر البقعة التي ظهرت في صورة الاشعة السينية للصدر حوالى سنتيمترين. ربما كانت سرطاناً، لكن بقية الفحوص لم تؤكد ذلك التشخيص. لذلك غرز الاطباء، مستدلّين بصورة الاشعة، ابرة دقيقة مجوّفة في جلد المريض وصولا الى البقعة، وانتزعوا منها خلايا لفحصها مجهرياً. فتبيّن أنها لم تكن سرطاناً وإنما عدوى فطرية. الابرة الجديدة جنّبت المريض جراحة رئيسية كانت تُعتمد روتينياً قبل سنوات، فهي ليست لمعالجة المرض بل لمجرد التشخيص.

يبلغ عرض الابرة أقل من سبعة أعشار المليمتر، مما يتيح اختراق الجسم الى مناطق كالكبد والبانكرياس والبروستات والعقد اللمفيّة. وحين تغرز الابرة تسحب الخلايا بواسطة محقنة لفحصها. ويلاحظ الدكتور جيري وايسمان من المركز الطبي بجامعة نيويورك أن هذه التقنية مفيدة أيضاً للاماكن التي يسهل الوصول اليها كالصدر والغدة الدرقية.

بانتفاء الحاجة الى جراحة كبرى والاقامة لمدة طويلة في المستشفى تخفض الكلفة. وتمكن معاينة المرضى بهذه الطريقة في العيادات. ويحذّر الاطباء من أن هذه التقنية تتطلب مهارة في سحب العيّنات وتحديد التشخيص، ويجب أن تتم بواسطة طبيب خضع لتدريب خاص.

"نيويورك تايمس"

بالون للبروستات

مئات الالوف يدخلون المستشفى سنوياً لمعالجة التضخم في غدة البروستات. وهناك اليوم معالجة تجريبية لا تستند الى الجراحة يؤمل أن تكون بديلا.

تتركّز غدة البروستات حول الإحليل (مجرى البول) الذي يضيق كلما تضخمت الغدة مما يسبب صعوبة في التبويل. وتحدث هذه الحالة لاكثرية الرجال في مرحلة متقدمة من حياتهم.

بحسب الدكتور فلافيو كاستانيدا من جامعة مينسوتا في مينيابوليس، يولج أنبوب دقيق مرن في رأسه شبه بالون، داخل القضيب، ويوجه الى المكان الضيق من الاحليل. ثم ينفخ البالون فيوسّع المكان المقلص بضغط الفصوص الجانبية للغدة.

وقد عولج بهذه الطريقة ما يزيد على ١٠٠ مريض، فانتفت مشكلة صعوبة التبويل في ٧٥ في المئة من الحالات المعنية بالفصوص الجانبية. وهناك حاجة الى دراسة لتقويم فاعلية هذه المعالجة في المدى الطويل.

وكالة "أسوشييتد برس"

فقر ورجاء
وصلاة مستجابة

رحلة كمان

"مطلوب: كمان. الماديات قليلة. الاتصال بالرقم..."

تساءلتُ لِمَ لاحظتُ هذه الفقرة، فأنا نادراً ما أقرأ الاعلانات المبوبة. وضعت الجريدة في حضني وأغمضت عيني أتذكر ما حصل قبل سنوات كثيرة خلال الأزمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩ عندما كانت عائلتي تكافح في مزرعتنا من أجل تأمين لقمة العيش. أنا أيضاً أردتُ الحصولَ على كمان، ولكن لم يكن لدينا مال.

لمّا أبدت أختاي التوأمتان هارييت وسوزان اهتماماً بالموسيقى، تعلمت الاولى العزف على بيانو جدتي فيما اتجهت الثانية نحو العزف على كمان والدي. ومع التمرين تحولت النغمات

© 1985 by Mary Lou Klingler. Condensed from Signs of the Times (August '85), Boise, Idaho. Illustration: David Henderson

البسيطة ألحاناً جميلة تعزفانها معاً. وكان أخي الصغير يندمج بالموسيقى فيرقص فيما يدندنُ والدي وتصفّر والدتي. أما أنا فاكتفيتُ بالسماع.

لما بلغت ذراعاي من الطول ما يكفي حاولتُ أن أعزف على كمان سوزان. فأحببت صوت قوسه على الأوتار. آه، لكم أردت كماناً! لكنني أدركتُ أنَّ الحصول عليه مستحيل.

ذات مساء فيما كانت التوأمتان تعزفان مع فرقة المدرسة، أغمضتُ عينيَّ لألتقط صورة واضحة في مخيلتي. وأقسمت بصمت بأن أجلس هناك في يوم من الأيام.

لم تكن السنة خيِّرة، إذ انه عند الحصاد لم يدرّ المحصول الأموال التي أملناها. الا أنني على رغم الأحوال الصعبة لم أقوَ على الانتظار أكثر، فسألتُ أبي: "متى يصير لي وحدي كمان؟"

قال: "ألا تستطيعين العزف على كمان سوزان؟"

أجبتُ: "أودُّ أن أنضمّ أنا أيضاً الى الفرقة الموسيقية، ولا يمكننا أن نستعمل الكمان ذاته في آن."

ارتسمت علامات الحزن على وجه أبي. وقد سمعته في تلك الليلة يصلي من أجلي.

ذات مساء جلسنا جميعنا الى الطاولة. كنتُ والتوأمتين ندرس فيما والدتي تخيط ووالدي يكتب رسالة الى صديقه جورج فينكل المقيم في كولومبوس بولاية أوهايو. وقال والدي إن جورج فينكل عازف كمان جيد. وفيما هو يكتبُ الرسالة قرأ على مسمع والدتي بعض أجزائها.

بعد أسابيع تبين لي أنه لم يقرأ سطراً هو الآتي: "هل يسعك أن تجد كماناً لابنتي الثالثة؟ لا أستطيع ان أدفعَ ثمناً غالياً، لكنها تحب الموسيقى وتود لو تحصل على آلة خاصة بها."

كمان ودموع. بعد بضعة أسابيع تسلمَ والدي رسالة من كولومبوس. بعد ذلك بلّغنا أننا سنذهب الى كولومبوس لقضاءِ ليلة عند عمتي آليس، وذلك ما إن يعثر على أحد يهتم بالماشية.

وأخيراً حان ذلك اليوم، فذهبنا الى عمتي آليس. بعد وصولنا سمعتُ والدي يجري مكالمة هاتفية، ثم أعاد السماعة الى موضعها وناداني قائلا: "هل تريدين الذهاب معي لزيارة السيد فينكل؟"

فأجبته: "بالطبع."

قادَ سيارته الى منطقة سكنية وأوقفها في طريق خاصة أمام منزل أنيق قديم. فصعدنا درجات المدخل وقرعنا جرساً موسيقياً. وما لبث رجل طويل هو أكبر سناً من أبي أن فتح لنا الباب. رحَّب بنا وسلم على أبي بحرارة.

قال لي السيد فينكل: "سمعت قصصاً كثيرة عنك يا ماري لو."

وأدخلنا قاعة الاستقبال حيث التقط صندوقاً وفتحه وأخرج منه كماناً بدأ يعزف عليه لحناً عارماً كشلال. ففكرتُ: آه، كم أود ان أعزفَ مثله.

بعدما أنهى السيد فينكل عزفه تطلّع الى أبي قائلا: "لقد وجدته يا كارل في متجر يبيع أشياء مستعملة. سعره سبعة دولارات. إنه كمان جيد ستتمكن ماري لو من عزف ألحان جميلة عليه."

ثم أعطاني الكمان. ولاحظتُ الدموع تبرقُ في عيني أبي عندما رآني. فهمت الأمر، فالكمانُ لي. مررتُ يدي عليه بلطف. كان خشبُه ذهبياً دافئاً في النور. وقلتُ وأنا أكاد لا أقوى على التنفس: "انه جميل!"

حين وصلنا الى بيت عمتي آليس كانت العيون تحدق الي عند دخولنا. رأيت أبي يغمز والدتي، فأدركتُ أن الجميع، باستثنائي أنا، عرفوا المفاجأة سابقاً. وأدركتُ أن صلوات والدي استجيبت.

لا يستطيع أحد أن يعرف الشعور القوي داخل قلبي يوم حملتُ كماني الى المدرسة لكي أحضر درسي الاول. وعلى مرِّ الاشهر كنتُ أتمرن يومياً فأحسُّ بالخشب الدافىء يلامس ذقني ويصبح امتداداً لجسمي.

ولما صرتُ جاهزة للانضمام الى فرقة المدرسة ارتعشت من شدة الاثارة. فجلست في الصف الثالث لعازفي الكمان وأنا أرتدي سترة الفرقة البيضاء التي خلتها كثوب ملكي.

وراح قلبي يطرقُ بقوة خلال أدائي الاول أمام الجمهور في مغناة مدرسية. وفيما كنا ندوزن آلاتنا امتلأت القاعة ثم سلّطت علينا الأضواء وساد صمت عميق حين بدأنا العزف. كنت أكيدة من أن كلَّ فرد في الصالة ينظر إليَّ.

وكان والداي يبتسمان بفخر لابنتهما الصغرى وهي تمسكُ بكمانها العزيز فيقدِّره العالم بأسره.

وبدت السنون كأنها تركض بسرعة. وقبل تخرّجِ أختيَّ رأيتني أعزف في الصف الاول من الفرقة.

رحلة جديدة. تخرّجتُ بعد سنتين ووضعت كماني العزيز في صندوقه ودخلتُ عالم الكبار. انشغلت بدراسة التمريض، وبالزواج، وبالعمل في المستشفى، وبتربية أربع بنات.

ومرت سنون تنقَّل خلالها الكمان معنا. فكنتُ أوضبه بانتباه فأتذكر لوقت قصير مدى حبي له وأعد نفسي بأن اعزف عليه قريباً.

ولم تهتم أي من بناتي بالعزف على الكمان. وما لبثن أن تزوجن الواحدة تلو الاخرى وغادرن المنزل.

وها أنا الآن أقرأ في الصحيفة الاعلانِ الذي أرجع اليّ ذكرياتِ الطفولة. وضعت الصحيفة جانباً وتمتمتُ: "عليّ أن أجد كماني."

وجدت الصندوق في أسفل خزانتي. رفعتُ الغطاء وحملت الكمان الذي كان يرقد على بطانة مخملية زهرية اللون. وداعبتُ بأناملي خشبه الذهبي، وضبطتُ أوتاره التي بقيت سليمة يربطها قوس الكمان. ثم دهنت بمادة الراتينج القلفوني أوتاره المأخوذة من شعرات ذيل فرس.

وعزفتُ على كماني تلك الألحان المفضلة التي لم تفارق ذاكرتي قط.

لا أعرف كم بقيتُ على هذه الحال. تذكرتُ أبي الذي فعل وسعه كي يشبع حاجاتي وأنا طفلة.

وأخيراً أرجعتُ الكمانِ الى صندوقه والتقطتُ الصحيفة وسرتُ نحو الهاتف وطلبت الرقم المذكور.

في وقت لاحق من ذاك النهار توقفت سيارة قديمة في الطريق الفرعية أمام

منزلي وقرع بابي رجل في عقده الرابع. وفيما هو يتفحص الآلة قال: "لقد صليت كي يستجيب أحد لاعلاني. فابنتي في حاجة ماسة الى كمان. كم تريدين ثمناً له؟"

كنت أعرف أن أيَّ متجر للآلات الموسيقية سيقدم لي سعراً جيداً. لكني سمعتني أجيبُ: "سبعة دولارات."

فسألني الرجل مبهوتاً: "هل أنت جادة؟" فذكرني بأبي.

وكررت: "سبعة دولارات." ثم أضفتُ: "آمل أن تتمتع ابنتك الصغيرة بالكمان بمقدار ما تمتعت أنا."

أغلقتُ الباب وراءه ورحت أنظر خلسة من خلف الستار. فرأيتُ زوجته وأولاده ينتظرون في السيارة. وفُتح باب السيارة فجأة وركضت منه بنت صغيرة ناولها والدُها صندوق الكمان.

فضمت الصندوق الى صدرها ثم ركعت وفتحته محدثة طقطقة. ثم أخرجت الكمان ودارت وعانقت والدها الباسم.

ماري لو كلينفر ■

حاسبة ناطقة

جُهز متجر كبير في مدينتنا بآلة حاسبة "ناطقة". وحين ذهبت الى هناك واشتريت ما يلزمني وقفت أصغي الى الصوت الآلي يذكر اسم كل سلعة وثمنها اذ أمرَّتها الموظفة أمام الشاشة الفاحصة. وبعد تمرير كل السلع أمام الحاسبة التي لا ترحم، أطلعتني هذه على ما يتوجب علي دفعه ثم حددت للموظفة "الصرافة" (الفكة) التي عليها أن تعيدها اليّ.

كل ذلك وموظفة الصندوق لم تنبس ببنت شفة. وأخيراً أعطتني الصرافة وأقفلت درج الحاسبة. ثم نظرت الي وقالت: "لقد أبقوا لي أن أقول شكراً."

ك.ك.د.

سباق ضد الشرطة

عندما كنت اقود سيارتي في طريق عام يسميه مراهقو المنطقة "المدرج"، توقفت عند الاشارة الضوئية، فسمعت للحال محرك سيارة محاذية يتسارع بشكل اثار اشمئزازي من هؤلاء السائقين الشباب الذين ينطلقون باقصى السرعة عند الاشارة الحمراء، فيقاطعون جدتي في اثناء حديثها. لذا نظرت قُدُماً امامي وقد صمَّمت على تلقين مجانين السرعة هؤلاء درساً. فما أنْ تغيَّر الضوء حتى الصقت دوّاسة البنزين بالارض سابقاً السيارة الاخرى حتى الضوء التالي. وعندما اصطفَّتْ بقربي ثانية القيت على سائقها نظرة عجلى تنمُّ عن اعتداد بالنفس، فوجدتني احدِّق مبغوتاً الى وجه ضابط شرطة في سيارته الجوّاسة وهو يهزّ رأسه.

ف.ت.

فَـنّ الاختلاف مع ربِّ العَمل

عندما تختلف مع ربِ عملك تذكّر هذه القواعد فهي قد تحفظ وظيفتك

أرادت باتريشيا كوك الحصول على علاوة في بداية عهدها بالعمل في إحدى مؤسسات الابحاث بولاية مساتشوستس. وتقول متذكرة: "لم يوافق رب العمل على اعطائي علاوة، لكني أصررت على ذلك."

وتتابع: "تطور الحديث الى جدل قارنت خلاله بين راتبي ورواتب الموظفين الآخرين وأبديت وجهة نظري في ما أستحق وما يستحقون. ثم عنف النقاش فتبادلنا كلاماً قاسياً. وبعد ذلك بوقت قصير تركت عملي في الشركة."

لقد كسرت كوك القاعدة الاساسية في التعامل مع رب العمل: إياك ان تبدأ مشادة لا تستطيع الانتصار فيها. هل يعني هذا ان عليك أن تتجنب أي صراع مع رؤسائك؟ حتماً لا. إن فاعليتك في الاختلاف ورئيسك قد تكون حاسمة في مستقبلك المهني.

من منا لم يسبق أن اصطدم مع رب عمله في وقت من الأوقات؟

يقول روبرت ليفتون وهو مستشار في شؤون علاقات الموظفين: "إن تجنب

Condensed from Forbes (July 25, '88),
© 1988 by Forbes Inc., New York, N.Y. Photos: © Comstock

الخلافات قد يكون مفيداً على المدى القصير، ولكن ليس على المدى الطويل. فالموظف يخسر نومه وشخصيته، كما يحرم رئيسه المعلومات التي تمكنه من تأدية العمل على نحو أفضل."

وهنا قواعد يجب أن يتذكرها الموظف لدى كل خلاف يحصل مع رب عمله.

■ انتبه الى التوقيت.

تقول كوك، وهي اليوم شريكة مؤسسة "وارد هوال انترناشونال للابحاث": "قبل أن تواجه رب عملك، تكلم مع سكرتيرته للتأكد من مزاجه. فاذا كان مزاجه عكراً فليس مستحسناً أن تطلب منه أي شيء."

حتى من دون اللجوء الى السكرتيرة هنالك بعض الامور التي تجب مراعاتها: لا تطلب من رب العمل شيئاً عندما يكون وقته ضيقاً. لا تقابله قبل الغداء مباشرة عندما يكون غير قادر على التركيز. ولا تقابله قبل عطلته أو بعدها مباشرة.

■ لا تدخل على رئيسك وأنت غاضب.

يقول روبرت سميث وهو إختصاصي بعلم النفس في واشنطن يستشيره الناس في شؤون الحصول على ترقية: "اذا كنت غاضباً، فستغضب رب عملك. هدىء نفسك اولا."

ولا تدع أمراً معيناً يفجر جميع مشاعرك المكبوتة، يقول وسلي كانتريل رئيس شركة "هاريس/٣إم" لمنتجات التوثيق: "اذا بدا موظف ما سلبياً حيال الشركة، فهو يعطي انطباعاً ان من المستحيل ارضاءه فيستحسن أن يجد عملا جديداً."

■ وضِّح مواضيع البحث.

تقع نزاعات قوية عندما لا يعرف رب العمل ماذا يجول في رأس الموظف، والنقيض صحيح. تقول ليليان وايلدر وهي مستشارة في فنون الكلام: "ينتهي الخلاف احياناً كثيرة عندما تتوضح مواضيع البحث. على الموظف أن يطرح موضوعه بوضوح وايجاز لكي يتمكن رب العمل من استيعابه جيداً." تعمل كلير تالاريكو لدى رئيس دائرة المال في مدينة نيويورك، ونادراً ما تتجادل مع رئيسها، ولكن حين يعارض رئيسها إجراء تعتقده هي مهماً، تدون أفكارها على

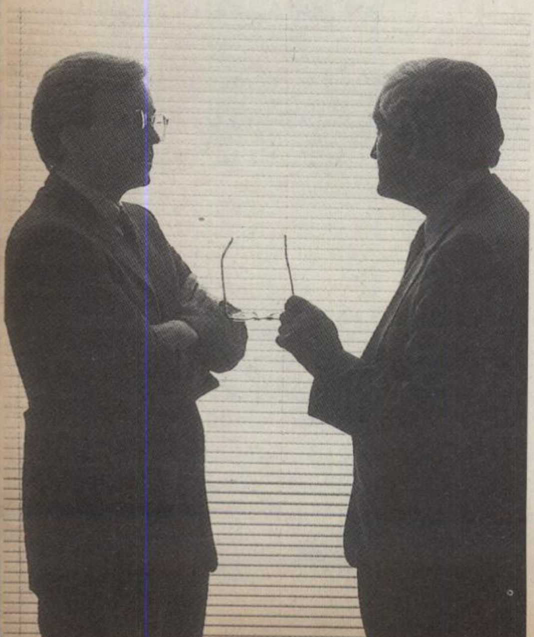

ورقة وتطلب منه أن يلقي نظرة عليها. تقول: "إن ذلك يساعد على تحديد الموضوع."

■ اقترح حلولا.

يقول الدكتور نورمان ساسمان أستاذ الطب النفسي في المركز الطبي بجامعة نيويورك: "هنالك أمور كثيرة تشغل بال رب عملك، فلا حاجة الى أن تزيد مشاكله. فإذا تعذر عليك ان تقترح حلا فورياً، اقترح على الاقل سبيلا لمقاربة المسألة."

ويحذر ساسمان الاشخاص الذين يعرضون مشاكل من غير حلول على أرباب العمل من أنهم سيجدون أنفسهم في القريب العاجل غير قادرين على اجتياز السكرتيرة. ويضيف: "قد يكون رب العمل عاجزاً عن تحديد المشكلة تماماً، لكنه يعرف أنه كلما دخل عليه فلان، يشعر بالانزعاج. وبعد فترة يمنع دخوله."

■ ضع نفسك مكان رب عملك.

يقول المستشار ليفتون: "لكي يكون تعاملك مع رب عملك مجدياً، عليك أن تتفهم أهدافه وضغوطه. واذا أمكنك أن تضع نفسك في موضع شريك له، فعندئذ يصبح ميالا الى العمل معك من أجل تحقيق أهدافك."

يخبر روبرت كيلي، وهو أستاذ ادارة أعمال في جامعة كارنيغي مالون، قصة مبرمج دماغ الكتروني ورب عمله في شركة للادمغة الالكترونية في كاليفورنيا، حول خلاف يختص بحسنات برنامج معين. يقول كيلي: "اقترحت أن يتبادلا الادوار ثم يتجادلا في الموضوع. وبعد مضي خمس دقائق تحقق واحدهما خلالها من سخافة الآخر، وشرعا في الضحك ثم توصلا الى حل خلال وقت قصير."

■ استعمل المنطق.

تذكر أن القوة هي في يد رب العمل وأن دفع الخلاف الى النهاية قد يكون له مردود أبعد من الموضوع قيد البحث. فالرئيس يستطيع صرفك من العمل في أي وقت يشاء. كن متعقلا وتذكر: إياك أن تبدأ مشادة لا تستطيع الانتصار فيها.

ريتشارد غرين ■

حيلة بولمان

يروى أن جورج بولمان، مصمم الحافلات السياحية التي تحمل اسمه، استخدم مهندساً معمارياً يُدعى سولون بيمان ليخطط بلدة نموذجية لعمال "بولمان". وعندما انتهى المشروع طلب المهندس أن تحمل البلدة اسمه.

لم يوافق بولمان على الامر وقدم الاقتراح الآتي: "دعنا نعتمد حلا وسطاً. سوف نستخدم المقطع الاول من اسمي (بول) والمقطع الثاني من اسمك (مان)."

وهكذا سميت المدينة "بولمان"، وهي الآن حيّ كبير من شيكاغو في ولاية ايلينوي.

ت.ب.

قصة قصيرة

في ضوء القمر وقف صبي المزرعة الابيض
يراقب دروع محاربي الزولو اللامعة في أرض افريقيا

مغامرة في بلاد الزولو

يبدأ "ممر القدماء" في سهل واسع مرتفع حيث قرية الزعيم إنسمبي، ويمر عبر الوادي ليصل الى التلال الشرقية.

كانت مزرعتنا جزءاً من المستوطنة البيضاء في الوادي، تقسم أرض العشيرة. وكان السكان العابرون من طرف الى آخر يسلكون عادة الطريق الحكومية، لكن بعضهم كان من وقت الى آخر يسلك ممر القدماء. فاذا شاهدهم أبي نهرَهم مشيراً الى لافتة: "ممنوع المرور." وقد ترجمها أبي الى لغة الزولو، لكن ذلك لم ينفع بسبب جهل المنتهكين القراءة.

وبات المكان الذي رفعت فيه اللافتة يسمى "أرض التأنيب."

أحياناً كان يصر أحدهم على المرور، فيشتعل والدي غضباً لكنه لم يكن يردعه. كان يقول: "أعتقد أن لهم حقاً في المرور بداعي الاستعمال السحيق في القدم." لقد وضع الممر قيد الاستعمال قبل تسعة أجيال، عندما قاد الزعيم دوما أسلاف العشيرة من الجبال ليحلوا في هذه البقعة المغطاة بالأشواك. فاذا أردت أن تشكر أحداً أو تظهر له احترامك، كنت تدعوه "دوما" أو "ابن دوما."

Condensed from «The Bloodsong,» copyright © 1986 by Ernst Havemann, taken from «The Bloodsong and Other Stories of South Africa,» published by Houghton Mifflin Company, Boston. This story appeared in The Atlantic Monthly, February '86. Illustration: Anita Kunz

عرفت ما عرفت عن الممر وعن دوما وإنسمبي لأن نغومبان، وهو كبير العمال، كان صديقي. عندما تعسرت ولادتي ركض نغومبان مسافة ٣٥ كيلومتراً لاستدعاء طبيب. وقد وصل هذا متأخراً فلم يستطع انقاذ حياة والدتي. أما قطع تلك المسافة ركضاً فقد سبب لنغومبان عرجاً دائماً وجعله سنداً دائماً لي خلال فترة نموي. وإذ بدأت أدرج، أخذ يحدثني عن تاريخ العشيرة وحياة العمال. كنت لفترة طويلة أكثر طلاقة في لغة الزولو(★) مني في الانكليزية. وكان والدي يعلم أنني في أيد أمينة مما جعله حراً في الذهاب بعيداً في رحلات الصيد.

وعندما بلغت الخامسة عشرة ذهب والدي في رحلة طويلة أثناء عطلتي المدرسية. بقيت في المزرعة كالعادة. وبعد ظهر يوم سبت، قال لي نغومبان: "هنالك أمر يجب أن نتحدث عنه يا نكوسان."

شعر نكوسان، والكلمة تعني "الرئيس الصغير"، بأن هنالك أمراً خطيراً.

قال: "أنت تعلم يا نكوسان أن الزعيم الاعلى الذي نسميه الأسد، زعيم أمتنا بأسرها، سيأتي الشهر المقبل لزيارة إنسمبي. وستجتمع العشائر كلها في هذه المنطقة لتقيم له استقبالا ملكياً."

وتابع نغومبان: "ستقـام رقصات الحرب كما في الايام الخوالي. لكن الشبان لا يتقنون كل الرقصات، لذلك سيُمرنون على الرقص في منزل إنسمبي. سيكون على كثيرين عبور الوادي للوصول الى هناك. يقولون إنهم سيسلكون ممر القدماء كما في الماضي."

قلت له: "سأعطي إذناً لكل من يطلب إذناً."

حدق نغومبان الى قدميه وقال: "لن يطلبوا إذناً، يقول الفتيان إن هذا اليوم سيكون مثل زمن أجدادهم عندما كان أبناء العشيرة يمرون بحرية عبر أرضهم. الغطرسة تملأهم. لماذا لا تذهب في زيارة الى القرية البيضاء الليلة؟ في غيابك سيمر الناس فلا ترى إساءتهم، وسيمضي كل شيء بسلام."

قلت له: "سأبقى هنا في المنزل وأتظاهر بأنني لا أعرف شيئاً عن الموضوع."

هز نغومبان رأسه موافقاً على مضض: "سيكون هذا حسناً."

أسود وأبيض

طالما استمتعت بأيام الآحاد وأنا وحيد في المزرعة. ولكن في ذلك الاحد طغى على زقزقة العصافير طنين شبيه بطنين النحل الآتي من مكان بعيد. أخذت منظاري وتسلقت شجرة عالية كاشفة.

كان ممر القدماء مزدحماً بصف طويل متواصل من الناس. الرجال يحملون دروعاً من جلود الثيران وعصياً للقتال ويعتمرون ريش النعام وطيور الهويد. أما النساء والفتيات فتزيَّنَّ بالخرز وتخضبن بالحناء وحملن أوعية الشراب وصواني الطعام على رؤوسهن.

سيكون المشهد رائعاً عندما يجتمعون في قرية إنسمبي. فلماذا لا أكون هناك؟

أسرجت حصاناً ووضعت في أحد جيوب

(★) الزولو شعب قديم يعيش في افريقيا الجنوبية، وقد اشتهر بمحاربيه الشجعان.

82. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٣ لشمال - غرب ألمانيا
خاضع لرقابة الدولة

"إليك عرضنا الخاص: كيف تصبح مليونيرا!"

ربح مضمون لكل ثالث ورقة تشتريها
خلال الستة أشهر لمدة سريان اليانصيب
٢٦ سحب = ٢٦ فرصة للربح!

Nordwestdeutsche Klassenlotterie Staatliche

إن طريقة الاشتراك سهلة:

- إرسل إلينا قسيمة الاشتراك في أسفل الصفحة - أو رسالة إذا فقدت القسيمة.
- إرفق بها قيمة أوراق اليانصيب التي تريد أن تشتريها إما نقداً بالبريد الجوي المسجل، أو بواسطة حوالة بريدية دولية، أو شيك عادي، أو شيك مسحوب بواسطة بنك أو شيك سياحي. ويمكنك أيضا دفع قيمة ورقتك بعد إستلام الفاتورة.
- بدورنا نبعث لك أوراق اليانصيب والمعلومات الإضافية وجدول السحب الرسمي، ثم بعد كل عملية سحب نرسل إليك القائمة الرسمية للأرقام الرابحة وكذلك ورقتك للسحب التالي.
- في كل مرة تربح فيها، سوف نخطرك بذلك في غضون أيام. وستحوّل إليك الجائزة بواسطة شيك إلى أي مكان أو عنوان تريده. إن الجائزة معفاة من الضريبة الألمانية وتدفع بكامل قيمتها بدون أي حسم. كما أن إسم الرابح يبقى سريا تماما.
- إننا نضمن لك خدمة سريعة موثوقة وسرية في كافة أنحاء العالم.

والآن: كل يوم جمعة جائزة بقيمة مليون مارك ألماني ...

تقدم لكم اليانصيب الوطني لشمال - غرب ألمانيا، الخاضع لرقابة الدولة، هذه الفرصة الفريدة وجوائزاً أخرى عديدة. إنه مدهش حقا! فأقل من كل ثالث رقم يربح مضمونا خلال مدة السحب. ويبلغ مجموع الأرباح التي ستوزع خلال دورة اليانصيب رقم ٨٣ حوالي ٢٤١ مليون مارك ألماني، حيث تبلغ قيمة الجوائز الكبرى وحدها ٣٣ مليون مارك ألماني.

لهذا السبب فإنه أمر مشوق لكم بالإشتراك في هذا اليانصيب:

جوائز مالية بقيمة ٢٤١ مليون مارك ألماني
٢ × ٣ مليون مارك ألماني الجائزة الكبرى
٢ × ٢ مليون مارك ألماني
٣٢ × ١ مليون مارك ألماني
وإضافة إلى ذلك:
٢٧٩٩٩٩ جائزة أخرى تصل إلى ٥٠٠٠٠٠ مارك ألماني

قيمة الجائزة الكبرى وحدها تبلغ ٢ × ٣ مليون مارك ألماني.

تدفع الجوائز بإحدى أقوى العملات في العالم "المارك الألماني". تسري دورة اليانصيب لمدة ٢٦ أسبوعا. ويجرى سحب كل أسبوع كما يجرى سحبان إضافيان في الأسبوعين الأخيرين. وهذا يعني إجمالا ٢٦ سحبا. وبالتالي ٢٦ فرصة لكي تصبح مليونيراً! وتتزايد قيمة الجوائز المالية من سحب لآخر. يشرف على كل عمليات السحب مراقبون حكوميون.

تطرح ٧٠٠٠٠٠ ورقة يانصيب فقط للبيع. من هذه السبعمائة ألف ورقة يربح ٢٨٠٠٢٥ رقم في دورة السحب: وبهذا فإننا نضمن ربحا لكل ثالث رقم!

إرسل إلى: **Walter Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany**

قسيمة الاشتراك

82. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٣ لشمال - غرب ألمانيا * يجرى السحب ابتداء من ٣١ مارس ١٩٨٩ لغاية ٢٣ سبتمبر ١٩٨٩

إربح ١٠٠ ٪ بشراء ورقة كاملة، أو ٥٠ ٪ بشراء ١/٢ ورقة أو ٢٥ ٪ بشراء ١/٤ ورقة. ولا تنسى: على أي حال، كل ثالث رقم يربح مضموناً! جرب حظك!

الرجاء ذكر عدد الأوراق التي تريد طلبها بهذه القسيمة

	[illegible]	
	١/١ ورقة	٧٤١ مارك ألماني (حوالي ٤٣٠ دولار أمريكي أو ٢٤٠ جنيه إسترليني)*
	١/٢ ورقة	٣٨١ مارك ألماني (حوالي ٢٢٢ دولار أمريكي أو ١٢٤ جنيه إسترليني)*
	١/٤ ورقة	٢٠١ مارك ألماني (حوالي ١١٧ دولار أمريكي أو ٦٦ جنيه إسترليني)*

* سوف تحوّل إليك الجائزة سريا بواسطة شيك إلى أي عنوان أو بنك في أي بقعة من أنحاء العالم.

* يقبل دفع قيمة الورقة بواسطة شيكات عادية بالمارك الألماني أو الجنيه الإسترليني أو الدولار الأمريكي، أو بواسطة حوالة مصرفية، أو بطاقة أمريكان إكسبريس، داينرز كارد، يوروكارد، أكسس، ماستر كارد أو ڤيزا.

تدفع جميع الجوائز لكل عمليات السحب متضمنة رسوم البريد الجوي ومرفق بها قائمة الأرقام الرابحة بعد كل سحب. ولا تستوجب أية تكاليف إضافية! تعد الورقة صالحة فقط إذا كانت قانونية!

ضمن لنفسك الآن فرصة الربح! إرسل القسيمة اليوم!

إرسل إلى: Walter Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

الرجاء الكتابة باللغة ○ الألمانية ○ الإنجليزية ○ سيد ○ سيدة ○ آنسة
إملأ القسيمة من فضلك بحروف واضحة

First name — الإسم
Surname — اللقب
Street — الشارع
P.O.B. — ص. ب
City — المدينة
Country — الدولة

Charge my ☐ DINERS CLUB ☐ AMERICAN EXPRESS ☐ EUROCARD ☐ VISA

Handling charges for payment by credit card 6 % — رسوم المعاملة للدفع بطاقة الإئتمان ٦ ٪

Name of Card Holder
Acc. No.
Expiration Date
Signature

AM 1

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

الحسناء

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة تهتم بشؤون كل بيت:

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج
- بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

السرج بعض الشطائر، وتبغاً وعلب ثقاب في الجيب الآخر بغية تقديمها هدايا.

وصلت الى الممر وانتظرت لكي أحظى بثغرة في الموكب أدخل منها. توقف الناس عدة مرات قائلين: "إذاً، ستأتي معنا." لكنني كنت أهز رأسي نفياً لأنني كنت أدرك أن الحصان يشكل حرجاً وسط مجموعة من المشاة. كان الرجال المسننون يسيرون ببلادة، متمتمين أغنية "أضرموا النار يا أبنائي، أضرموا النار." وكان الفتيان ينشدون أغنيات الحرب القديمة: "عار على الرجل الذي يحرق في كوخه. أخرج وقاتل!"

أخيراً سمحت لي ثغرة في الخط بأن أدخل الممر. كنت أنوي الخروج منه لاحقاً، لكن الرجل الذي كان أمامي مدّ يده مانعاً ومؤنباً: "الطريق ليست من هناك." عندما وصلنا الى لافتة "ممنوع المرور" في "أرض التأنيب" تطلع صوبي عدد من الناس مبتسمين، لكن أحداً لم ينطق بكلمة.

ابتداء من هنا أخذ الممر يعلو حول جرف، متعرجاً حول عدة منعطفات. واضطررت الى النزول عن حصاني. وفي منتصف الطريق توقف الموكب. كان رجل عجوز ناحل يجلس هناك وقد التوى رسغه. أخذ بعض الشبان يخفف عنه. فقلت له: "هل تستطيع ركوب الحصان يا جدي؟".

أجاب العجوز مكشراً: "لم أركب حصاناً في حياتي يا نكوسان. سيستاء حصان البيض هذا من ركوب رجل عجوز أسود اياه وسيرميني عن ظهره."

أجبته بثقة: "لا، فأنا وحصاني نحترم الشيخوخة."

قدت الحصان صعداً نحو التلة وأنا أشعر كأنني أحمق. ليس محتملا أن يراني رجل أبيض وأنا كالخادم أقود حصاناً على ظهره زولوي عجوز. ولكن لم يكن في وسعي أن أجزم بذلك، فأبقيت رأسي مطأطأ.

أغنية الدم

خارج القرية في مكان مستوٍ شاهدت مئات الرجال يشكلون مجموعات. وكان معظمهم يحمل دروعاً متباينة الألوان: سوداء وبيضاء وبنية ومختلطة. وكانوا يتراصفون واحداً واحداً أو اثنين اثنين ويضربون الارض على إيقاع أناشيدهم.

ابتعدت عن الجمع الرئيسي وركبت حصاني الى مؤخر القرية. ظهر أمامي رجل، فترجلت وحييته. سألني: "ما الأمر يا ابن الابيض؟ لماذا أتيت؟"

شرحت له أنني أردت ان أشاهد الرقص، وسألته عما اذا كان الزعيم يتكرم ويسمح لي بذلك. قدمت اليه التبغ فتنشق رائحته مستحسناً وقال لي: "إنك تملك جرأة كبيرة لتأتي الى بلادنا، بلاد السود، في مثل هذا اليوم. لكنك تعرف كيف تظهر احترامك. أين تعلمت لغة الزولو؟"

أخبرته عن نغومبان فقال: "الرجل الاعرج كان راقصاً جيداً في ما مضى. سأخبر الزعيم أنك هنا."

ومع تقدم النهار أصبحت التمارين على المنبسط أكثر انتظاماً. تقدمت المجموعات ببطء وهجمت ضاربة الدروع ثم تراجعت ثم تقدمت من جديد. وفي فترة ما بعد الظهر تقطعت التمارين

وجلس معظم الراقصين يرتاحون. حصلت بعض مشاجرات فتدخل الزعيم وبعض الرجال صارخين ومنهالين على الفتيان بالهراوات والسياط.

لم يمضِ وقت قصير حتى أطل فتى في مثل سني كان ينزف من جرح في رأسه وعلى صدره أثر ضربة سوط. وقف أمامي متحدياً وقال: "أيها الرجل الابيض الصغير - قالها محقراً - إسمع كلمات الزعيم. يقول إنسمبي إنه ينبغي أن تذهب الآن. يقول إن الرجل الابيض يبدو في الغسق كأي كائن متوحش آخر."

أمتطيت صهوة جوادي بسرعة وقلت للفتى: "إنني أشكر الزعيم وأرسل اليه احترامي."

لم يفسح لي أحد في الطريق. وقف نفر من الرجال أمام الحصان وطلبوا أن آخذ واحداً منهم ليرافقني، فانثنيت عنهم. وقد سمعت هذه العبارة غير مرة: "ماذا تفعل هنا أيها الرجل الابيض؟"

قررت ألا أخاطر بسلوك ممر القدماء، فسلكت طريقاً طويلة ووصلت الى المنزل بعد الغروب.

تناولت طعام العشاء وكنت استعد للنوم عندما صهل حصاني متوتراً. وكنت ربطته في حقل ذرة قرب المنزل ليرعى خلال الليل. ثم سمعت في البعيد أغنية حرب ينشدها عدد غفير من الرجال.

الصوت يصل ثم يتلاشى. صوت القائد واضح وعالٍ أما أصوات المرددين فمخنوقة ولكن قوية. وبعد لحظة صمت بدأت أغنية جديدة. لم تكن فيها كلمات بل أصوات: "اي يوه هاه هاه" تعلو ثم تنخفض الى أدنى نبرة يستطيع المنشدون إخراجها. عرفت الاغنية، لأن عمال المزرعة أنشدوها ذات يوم فصرخ فيهم نغومبان: "لا تنشدوا أغاني كهذه هنا." وأخبرني أنها كانت تنشد في الايام الخوالي كلما توقع المحاربون أعمال قتل كثيرة. قال: "عندما ينشدها المرء يغلي الدم في عروقه فيطلب الدم." فسميتها في نفسي "أغنية الدم."

تراجع الصوت عندما وصل المنشدون الى مكان من الممر وراء قمة المرتفع، ثم تلاشى عندما نزلوا الى مقلع الحجار القديم.

دخلت البيت مرتاحاً، اذ كانوا في طريقهم الى التلال. ثم بلغتني صرخة عظيمة من أغنية الدم. مجموعة كبيرة من المحاربين تسلقوا القمة بصمت وها هم يتجمعون في الفسحة التي توصل الى المنزل.

أقفلت النوافذ وأوصدت جميع الابواب الا النصف الاعلى من باب المطبخ. وضعت المصباح بحيث يشع من الباب وجررت أكياس المؤونة والبذور لأجعل منها متراساً، وحشوت بندقيتي خرطوشتين.

مقتلع الاشواك

في ضوء القمر دروع المحاربين العظيمة تلمع كلما استداروا. كانوا ينشدون أغنية التحدي للقتال: "عار على الرجل الذي يحرق داخل كوخه. اخرج وقاتل!" وأثناء إنشادهم كانوا يرتبون مجموعاتهم في شكل معين. ثم بدأوا يزحفون أرتالا عبر الفسحة. حاولت تقدير المسافة فتحيرت، لأن بعضهم كان يتقدم منحرفا صوب حقل الذرة.

توقف الغناء فجأة. وبعد صرخة حادة من الآمر هجموا جميعاً صارخين صرخة العشيرة لبدء المعركة. زحفت الى غرفة المؤن وفتحت النافذة وصوبت فوهتي البندقية الى الخارج متهيئاً لأطلاق النار على أول رجل يصل الى مدى الرمي.

لم يكن أحد هناك. ولكن في حقل الذرة كان الجميع يضربون حزمات الذرة صارخين: "الموت! الموت!" أو يقفزون في قتال وهمي. وبعد فترة وجيزة جلس معظم المحاربين. عددت منهم اثني عشر. سار أحدهم نحو المنزل ووقف في ضوء المصباح. أسند درعه وعصاه الى الحائط ووقف ينتظر.

قلت صارخاً: "ماذا تريد؟" وبدوت مرتاحاً لأن صوتي كان خشناً لا ينم عن خوف، فرد الشاب بتحية أطلقها نحو مصدر الصوت وقال: "نكوسان، نريد ماء، اننا نموت من العطش."

أجبته بفظاظة: "انتظر. إنني آتٍ." أفرغت بندقيتي مذعوراً لمرأى يديّ المرتجفتين. وبعد ذلك خرجت من المنزل وفتحت قفل خزان المياه وأعطيت الشاب كوباً من التنك.

لوح بيده الى الآخرين، فأسندوا دروعهم وعصيهم الى الحائط وحيوني باحترام. كانوا جميعهم فتياناً. شربوا واحداً بعد الآخر. انتظرت ذهابهم، لكنهم جلسوا.

سألني واحد منهم: "هل كنت تعرف الرجل العجوز ذا الكاحل المكسور يا نكوسان؟"

وقال آخر: "قمت بعمل لطيف يا نكوسان. وقد جاءت فرقتنا الصغيرة لتشكرك. ان ذلك العجوز صاحب شرف عظيم في عائلتنا. كان وصياً على والدي وعلى والد هذا الفتى." وأشار الى شاب آخر بدا كأنه قائدهم.

فقال القائد: "يا جوني، لقد اقتلعت شوكة من قدم رجل غريب، لذلك نطلق عليك هذا الاسم لمدحك: مقتلع الاشواك."

دخلت المنزل واحضرت علبة كبيرة من البسكويت وبعض التبغ. إلتهم الفتيان الطعام ولفوا بعض السجائر بغير إتقان. سألوني اذا كنت شعرت بالخوف في منزل إنسمبي لكوني الرجل الابيض الوحيد هناك. وقال لي بعض الفتيان الذين كانوا مع العجوز: "لو حدث أمر ما، لكنا حميناك."

كان القمر بدأ يغرق نحو المنبسط الغربي حين رحلوا. ولدى انطلاقهم قالوا لي، واحداً واحداً، "حفظك الله يا أخي." وكانوا يشدون ذراعي مصافحين. ثم استداروا نحوي جميعاً صارخين: "يا مقتلع الاشواك، إنك واحد منا،" ورفعوا دروعهم محيين. وخلال نصف الساعة التالي كنت أسمع أصواتهم وهي ترتفع بصفاء مرددة: "إي، يوه" ثم تنخفض مرددة بعمق: "هاه، هاه، هاه." كانت أغنية الدم تضمحل ثم ترتفع ثم تضمحل، حتى تلاشت أخيراً في أودية التلال الشرقية.

التقيت بعض أفراد المجموعة في ما بعد يتبضعون في المتاجر أو يعملون في المزارع أو يسيرون في الطرق. كانوا دائماً يحيونني بمودة عظيمة، لكن أحداً لم يدعوني "أخي" ثانية أو يقل لي: "إنك واحد منا."

إرنست هافمان ■

عجائب الأخبار

كان المنظر شبيهاً بأحد مشاهد فيلم ألفرد هيتشكوك "الطيور."

حين أضاء مايكل غلوفر وزوجته وندي غرفة الجلوس في منزلهما، وجدا الجدران والأثاث مغطاة بطيور صغيرة سود. لقد انقضّ على منزلهما عبر المدخنة نحو ألفين من طيور السمامة الشبيهة بالسنونو. قال مايكل: "كان معظمها نائماً. أما الطيور الواعية فقد اخذت تطير حولنا في كل أتجاه."

وقد عمل عدد من رجال شرطة لوس انجلس أربع ساعات في طرد الطيور، وأمضى الزوجان أربعة أسابيع وهما ينظّفان الاوساخ ويجددان الطلاء.

هذه احدى الطرائف الغريبة التي جمعتها. واليكم المزيد:

فطيرة تسقط من السماء

رجعت بيكي فرار، من هِنكلي بولاية ايلينوي، الى منزلها لتجد ثقباً في مطبخها الذي أعادت تجديده حديثاً، وأرضه مكسوّة بيقطينة محطّمة.

Condensed from Family Safety & Health (Summer '88), © 1988 by The National Safety Counsil, Chicago, Ill. Illustrations: Roy McKie

أظهر التحقيق الذي أجراه رجال الشـرطة أن اليقطينـة سقطت من بهلوانين مظليَّين كانا يتقاذفانها في الجو.

قطار النوم

وُجد صبي في الحادية عشرة من عمره حافي القدمين يمشي على خط السكة الحديد على بعد ١٠٠ كيلومتر من بيته في دانفيل بولاية إيلينوي. وقد ذكرت أمه أنه يمشي وهو نائم.

كان الصبي قفز الى مقطورة للشحن في دانفيل، وانتهت به الرحلة في بيرو بولاية انديانا. وأفاد رجال الشرطة أنه لا يتذكر شيئاً عن رحلته. وأضاف المفوض بيل بايج: "لقد استيقظ ونزل من القطار وفي اعتقاده أنه ما زال في دانفيل."

وقالت أمه: "لم يحدث قبلاً أن خرج وهو نائم."

سيارة تطارد ذيلها

بدأت هذه القصة الطريفة حين وصلت مديرة مدرسة ابتدائية في احدى ضواحي واشنطن الى الطريق الدائرية الخاصة بالمدرسة. نزلت من السيارة مسرعة لتحضر شيئاً كانت نسيته، وتركت المحرك دائراً. وإذ أقفلت الباب عَنَّ لجهاز ناقل الحركة أن ينتقل من ترس التوقف الى ترس السير الخلفي.

فاندفعت السيارة الى الوراء تلفّ الطريق الدائري مئات المرات والمصابيح الأمامية مضاءة. وظلت على الحال لمدة ساعتين ونصف ساعة، ورجال الشرطة واقفون جانباً في حيرة من أمرهم.

وأخيراً جيء بشاحنة قطر. وتمكن السائق الماهر من شبك مؤخر السيارة الشاردة ورفعها برافعة شاحنته. فعلت عندئذ العجلتان الخلفيتان وتـوقفت السيارة من غير أن تصاب بضرر.

لكن مديرة المـدرسة شعـرت أن كبرياءها قد مُسَّت. وهي تقول: "لم يكن ذلك مضحكاً."

اوزة تسقط مروحية

وقعت في سماء سيبيريا معركة جوية بين إوزة ومروحية كانت تحمل عمالا

لخطوط أنابيب الغاز. فقد هاجمت الاوزة المروحية، وظلت على مدى ١٣ دقيقة ترصد تحركاتها الى أن اضطرتها الى تغيير مكان هبوطها.

سيارة طائرة

يعمل عجوز في الحادية والثمانين منذ ٤٦ سنة مراقباً في موقف للسيارات

بمدينة شيكاغو. وقد اندفع ذات مرة بسيارة عبر جدارٍ في الطبقة الثانية من المرأب فصدم سلّم حريق وشاحنة متوقفة قبل أن يهوي من علو ستة أمتار فيستقر في أحد الازقّة.

لكن كورنيليوس روبنسون خرج من السيارة من دون أن يلحق به خدش.

ويقول رئيس فرقة الاطفاء وليم كروفورد: "أنه أمر لا يصدّق. لقد استطعنا قيادة السيارة بعد الحادث. لم تكن في حال ممتازة، انما كان من الممكن قيادتها."

لبن متفجر

يبدو اللبن المحلى بالسكّر والكرز الأسود طعاماً غير ضارّ. إنما فوجىء المتسوقون في أحد المحلات الكبيرة في بريطانيا بعلب اللبن تنفجر بين أيديهم وتنثر عليهم

رشاشها. ويظهر أن وجود كمية كبيرة من الخميرة في اللبن قد يسبب انفجاراً.

حمامة تلعب البايسبول

في ١٢ أبريل (نيسان) ١٩٨٧ حصل اصطدام في الجو غيَّر المعادلات على الارض. ففي مباراة بايسبول بين فريقي "متس" و"اتلانتيك برايفز" في نيويورك صدمت حمامة طائرة فوق الملعب كرة قذفها ديون جايمس من فريق البرايفز.

فهوت الكرة والحمامة معاً الى الارض.

فركض جايمس في انطلاقته التي بدأت عادية، وسجل إصابة لاحقاً. وفاز فريق البرايفز في المباراة.

عصفور في اليد

حدث ذلك حين لاحظ دونالد هودسن من مدلاند بولاية ميشيغن أن صحيفتــه الصباحية تتحرك. وكان التقطها من الحديقة ووضعها إلى جانبه في السيارة. ويبدو أن عصفوراً كان دخل الصحيفة. فأوقف دونالد السيارة وبقي المحرك دائراً.

وما ان أطلق دونالد العصفور وهمّ بركوب السيارة، وكانت إحدى رجليه لا تزال خارجاً، حتى انزلق مقبض التروس

تلقائياً وتحركت السيارة. فعلقت رجله تحت المقعد. وحاول الوثب برجله الطليقة ليتمكّن من مجاراة السيارة.

واخيراً انعتقت قدمه العالقة وسقط من السيارة فاصطدم رأسه بالارض. وتابعت السيارة سيرها فاخترقت شرفة أحد الجيران.

طائرة بلا طيار

حين أقلعت الطائرة الخاصة من مهبط صغير بالقرب من ميناء ساكيتس في نيويورك كان هناك خطأ واحد، وهو أن ربان الطائرة لم يكن فيها.

كان دوغلاس يونغز عوّم محرك الطائرة بالوقود حين حاول تشغيله. فأقفل المغنيط (الذي يحدث الشرر) وفتح المخنق وأدار المراوح للسير الى الوراء بهدف انقاص فائض الوقود. وحين عاد ليدير المغنيط نسي أن يقفل المخنق أولاً، فدار المحرك وانطلقت الطائرة مترنحة على المدرج الى حقل ذرة مجاور، جارّة يونغز مسافة ١٥٠ متراً وهو يحاول الصعود اليها لايقافها.

وحين أخفق أخذ يراقب الطائرة ترتفع في خط لولبيّ وتختفي. وعثر عليها لاحقاً عالقة بين أغصان شجرة حور بالقرب من بحيرة ستار على بعد ١٠٠ كيلومتر.

فيلة مرحة

دخل عدد من الفيلة الجائعة بلدة في مقاطعة آسام في الهند حيث عثرت على براميل من الشراب المسكر. فشربت كل ما فيها، وغلبها النوم فنامت.

وغادرت الفيلة في الصباح. ولا شك في أنها كانت تشكو من صداع في رؤوسها وغثيان. ومع ذلك عادت في المساء تبحث عن مزيد من الشراب.

طوم دودس ■

دليل ذاتي!

يعمل زوجي سائقاً حراً لشاحنة جديدة تلفت الانتباه. مرة قصد مخزناً للتجهيزات، مستهدياً بالتعليمات الآتية: "خذ المخرج الرقم ٤٠، در الى اليمين، ثم ادخل المفترق الثاني الى اليسار." نفذ التعليمات فوجد نفسه في الطريق العامة. فلفَّ ودار وأعاد الكرة، فحصل له الامرِ نفسه.

استنجد بالمخزن فأعطي تعليمات جديدة استرشد بها مرتين، لكنه في كل مرة كان يجد نفسه في الطريق العامة من جديد.

شعر بالاحباط. ثم تذكر أنه شاهد سيارة شرطة متوقفة الى جانب الطريق العامة، فذهب الى هناك للمرة الخامسة، وتوقف ومشى نحو الشرطي وسأله كيف يتجه الى المكان المقصود.

فرد هذا بلا تردد: "عليك بالصبر قليلا. لقد مرت شاحناتكم من هنا طوال هذا الصباح. وكل ما عليك أن تفعله هو أن تنتظر الشاحنة التالية وتتبعها فتصل الى حيث تريد."

ب.ك.

كنوز بلورية في جبال الالب

منقبو العصر الحديث يحملون مطارق وأزاميل ويبدأون رحلتهم في جبال الالب بحثاً عن كنوز بلورية

متسلق الجبال بول ممبريني يتمايل ذات اليسار وذات اليمين وهو مدلّى بحبل من الواجهة الصخرية شبه العمودية لقمة أوري بريستنستوك. وبكل صلابة وعزم راح يصعد على الصخر. فهو يتسلق في المنطقة منذ عشرة أيام، منعماً النظر في الجدار الصخري. لكن جهوده لم تثمر. ثم

متسلق الجبال المنقب بول ممبريني.

بعدما ارتقى حَيْداً ناتئاً من الجبل اكتشف شرخاً في الصخر. وإذ وسَّع الثغرة بهرته صخور الكوارتز المتلألئة والمفتولة على نحو جميل. يقول: "يا للشعور المجيد بأن تكون أول من يلمس بلَّوْرة بقيت في العتمة منذ عشرة ملايين سنة!"

يزداد عدد الباحثين عن كنوز كهذه في مناطق جبال الالب النائية خلال عطل نهاية الاسبوع. ومنهم الآن ٣٠٠٠ عضو في "جمعية المنقّبين السويسريين الهواة" التي تأسست قبل ٤٢ عاماً. وتنتشر عبر سويسرا مخازن تجارية متخصصة ببيع البلور وشرائه. وتتداول الايدي ألوف الحجار، من بلورات الصخر الرخيصة الثمن الى حلى الجَمَشْت (١) وهو حجر كريم يساوي ألوف الدولارات. وفي العام ١٩٨٦ جذب المعرض الدولي للمعادن في زوريخ، الذي شاركت فيه ٢٦٠ مؤسسة وفرداً، اكثر من ٦٠٠٠ زائر.

التنقيب عن البلور حرفة قديمة تتطلب براعة. فصيادو العصر الحجري في المنطقة المعروفة اليوم بكانتونيْ فاليه وبرن استخدموا اقواساً ذات رؤوس بلورية. وقد وصلتنا من العصور القديمة كؤوس جميلة وزهريات ومجوهرات من الصخر البلوري الذي كان يُظن أنه جليد غير قابل للذوبان! وكان القدماء يتقلَّدون هذا الجماد المتألق كحرز قيل إنه يقي من العين الشريرة ووجع الاسنان والدوار. فاذا سُحن ومُزج بالعسل أوصي به للامهات المرضعات والمصابين بداء الصرع. وقيل عن الجمشت إنه يُفيق من السكر. وكما تزعم قارئات البخت، تساعد كرات البلور على التكهن بالمستقبل. ويقول طوني إيمهوف ابن بلدة ريد في كانتون فاليه: "ما زلت أتلقى طلبات للحصول على كرات بلورية." غير أن كرة يبلغ قطرها عشرة سنتيمترات، من صخر بلوري خال من الصدوع، تكلف اليوم أكثر من عشرة آلاف فرنك سويسري (٧٠٠٠ دولار).

بلورات جميلة. ظل الصخر البلوري من القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر مطلوباً بكثرة من الحرفيين الذين كانوا يصنعون منه الكؤوس والزهريات والشماعدين، وحتى أزرار القمصان. وعندما اكتملت التقنيات التي تنتج بلوراً اصطناعياً، ووصل الى اوروبا بلور رخيص من البرازيل، فقدت صخور الكوارتز في جبال الالب أهميتها كمادة أولية. ولكن في العام ١٨٦٨ اندلعت "حمىّ البلور" من جديد في وادي هاسلي حيث اكتشف أربعة منقبين من قرية غوتانن في كانتون برن مغارة من الكوارتز الادخن في مَجْلدة تيفن. ولا تزال أكبر بلورة وُجدت هناك، وارتفاعها ٦٩ سنتيمتراً ووزنها ١٣٣ كيلوغراماً، معروضة في متحف التاريخ الطبيعي في بودابست عاصمة هنغاريا (المجر).

تكوّنت الكتل البلورية السويسرية قبل ما يراوح بين ١٠ ملايين و ١٥ مليون سنة، عندما ضغطت قوى هائلة من جوف الارض قشرتها فثنتها مشكِّلة جبال الالب. والمياه الساخنة التي حُبست في نخاريب الصخور امتصَّت عناصر معدنية تبلّرت لاحقاً بأشكال هندسية.

المعدن الاكثر شيوعاً في الالب هو

(١) Amethyst

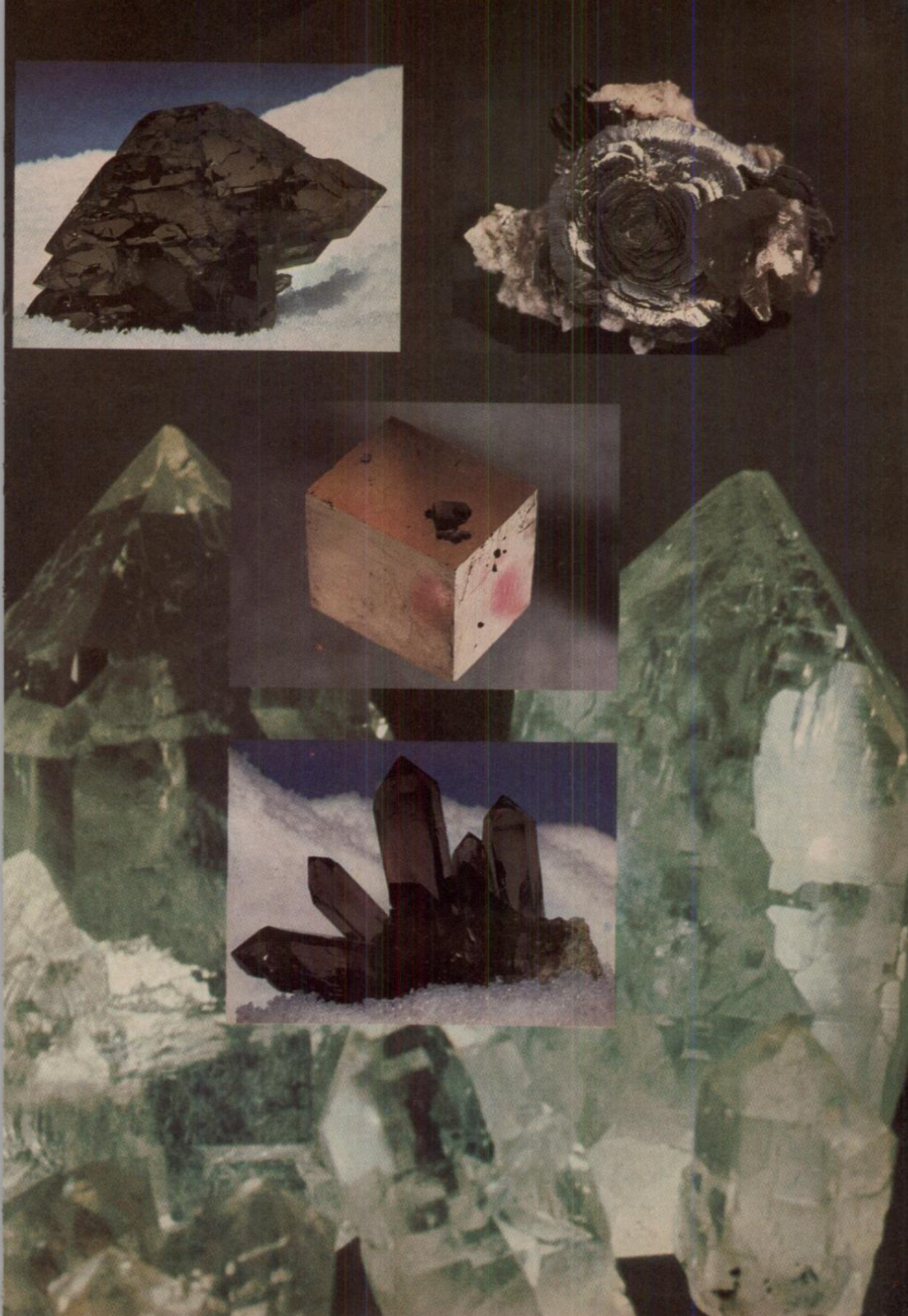

الكوارتز الذي يظهر كصخر بلوري شفاف. وعندما يتلون الكوارتز بإشعاع صادر عن الصخور المجاورة يتحول جَمَشْتاً بنفسجي الظلال. وأقل شهرة هو حجر القمر الجميل، البلورة البيضاء التي تعطي بريقاً فضياً، والامْيَنْت او الاسبستوس المنسوج من إبرَ بيض حريرية، والميكا الصفراء أو بيريت الحديد (٢).

ولقد وجد عامل منجم، في نفق لمحطة ماجيا للطاقة الكهربائية في منطقة تيشينو، مكعبات متألقة بلون الذهب ووضعها في جيبه. وفي ما بعد تعرف اختصاصي الى مكعب كامل من البيريت كان بينها. ولأنه نادر جداً اشتراه فوراً، وهو اليوم معروض في "متحف التاريخ الطبيعي" في برن.

قصر البلور. تخبىء جبال الالب كنوزاً لا توجد في مكان آخر: أوكسيد الحديد المتشكل مثل الورود، وفلورسبار و"غويندل" تترجّح ألوانهما بين الزهري الباهت والفريزي (الفراولي) الضارب الى السواد، وبلورات كوارتز جميلة التلولُب. وفي العام ١٩٧٤ اكتشف عمال يحفرون نفقاً لمحطة أوبرهاسلي للكهرباء في منطقة غريمسل (مرتفعات برن) مغارة مليئة بمئات البلورات المذهلة والفلورسبار الوردي. فوضعت حكومة كانتون برن المغارة تحت الحماية الرسمية. وموّلت الدولة، بالاشتراك مع واهبين كرماء، بناء نفق جديد مواز يتيح للزائرين الوصول الى نافذتين منفتحتين على "قصر بلوري" يبهر الانفاس.

كان صيد البلور في الايام الخوالي يؤمِّن لقاطني الجبال مصدراً جيداً للدخل، أما اليوم فضربات الحظ السعيد نادرة جداً. ومع ذلك فلا بد من أن يكون المنقبون من أرومة عنيدة. بول ممبريني، مثلاً، أمضى مرة ثمانية أسابيع في منطقة تشينجلستوك فوق ديزانتي ينقب جدران الغرانيت على ارتفاع ٢٧٠٠ متر. وفي الليل كان يرقد في خيمة صغيرة نصبها فوق دثار من الثلج. واضطر الى مغادرة المكان قبل أن يجد شيئاً ذا شأن. وهو يقول: "لكن المرء سرعان ما ينسى الخيبات. فالامل في العثور على عرق صخري واعِد أقوى كثيراً من الاستسلام."

من متطلبات النجاح المعرفة والعين الحادة والعزم الاكيد. والى ذلك، يضيف ارنست روفيباخ الذي ظل صياد بلور طوال ٣٠ سنة في أوقات فراغِه، "أن الحظ يؤدي دوره ايضاً. فلقد اجتزتُ احدى البقع عشرين مرة على الاقل، ثم شاهدتِ فجأة شيئاً يتوهج تحت الشمس، ورأيتني أقبض بيدي على حجر كريم من أوكسيد الحديد الوردي الجميل!"

في أحد أيام أغسطس (آب) ١٩٨٦ بدأ روفيباخ رحلة من بلدة غوتانن في الخامسة صباحاً، ومعه مطرقة وإزميل وقضيب معدني مستدق الطرف. وبعدما غادر النطاق الشجري تسلق منطقة جبلية شديدة الانحدار. وكانت عيناه تتفحّصان الصخور بدقة وتبحثان في المناطق التي تلتقي فيها عدة طبقات صخرية. وعندما

(٢) Adularia, amianthus, and yellow mica

من أعلى اليمين) كوارتز "غويندل"، حجر وردي
ن أوكسيد الحديد، مكعب من البيريت، كوارتز
دخن، بلورات من مجلدة نهر الرون.

Photos (From top left): Ernst Rufibach; Ernst Rufibach; Fernand Rausse
Ernst Rufibach; Natural History Museum Berr

Photo: Heinz Nickel

مغارة جرستنغ البلورية في منطقة غريمسل.

رأى الماء والرمل يرشحان من أحد الشقوق وسَّعه بازميله ومخله المعدني. وإذ بمنظومة مدهشة من الصخور البلورية تتدلى من سقف الغار. وبعدما أخذها الى بيته ونظفها بالماء والصابون والحمض تجلت تشكيلة كاملة من البلور الباهر الجمال. وتمكن رؤيتها في متحفه البلوري في غوتانن.

خطر الموت. تزعم الاسطورة أن الاقزام والحوريات والضفادع تحرس قصور البلور بيقظة شديدة، وأن الإحسان الى هذه الكائنات يُكافأ والإساءة اليها تُعاقَب. وأحياناً يكون صيد الكنوز خطِراً. ففي العام ١٩٦٨ وجد كاسبار فاهنر من بلدة هاسليبرغ، قطعة كوارتز دخناء في منطقة غالنستوك في كانتون أوري. فجأة بدأت الصخور الصغيرة "ترجمه". وتجنب بأعجوبة انجرافاً صخرياً هدر صوبه كالتيهور (٣). والحادث الاكثر مأسوية وقع في العام ١٩٧١ عندما كان منقِّبان ينقلان صخراً بلورياً أدخن يزن ٣٠٠ كيلوغرام من منطقة زينجنستوك على ارتفاع ٨٠٠ متر فوق بحيرة غيمسل. فقد أفلتت كتلة صخرية فجأة فقضى أحد المنقبين وابناه التوأمان ومساعدان.

واليوم، على رغم المخاطر، لا يزال منقبون كثيرون يعالجون جوانب الجبل. أمسكْ بيدك صخراً بارداً وانقر سطحه الاملس. تأمَّلْ تلاعب الضوء واللون في بلورة تتلألأ في ضوء الشمس. اذذاك تؤخذ بهذا السحر فتفهم حماسة عدد لا يُحصى من المنقبين الذين يرودون جبال الالب بحثاً عن كنز دفين.

بربارة فوناربورغ ■

(٣) التيهور هو ما انهار من رمل أو حجار.

تأملات معاصرة

في اليسر يُعرف الصديق

يقولون إن المرء لا يعرف مَن هم اصدقاؤه الا في وقت الشدة. لكني أقول إنه يعرفهم في أيام اليسر. فاذا كان رجل صديقك حقا فلسوف يُسرُّ بلا تحفظ بما أنت فيه من نعمة. أما اذا كان زائفاً فكل خطوة لك في طريق النجاح سوف يعتبرها خزياً له بل حتى إهانة، وستدخل دودة الحسد قلبه وتعمل فيه نخراً.

ألبرتو مورافيا، روائي ايطالي

بين "لا" و"نعم"

رغبة المرء في ان يكون حسن السمعة تجعله كارها قول "لا" لكل واحد يطلب شيئاً ما. علينا ان ننمي القدرة على قول "لا" للنشاطات التي لا نملك لا الوقت ولا الموهبة للقيام بها، ولا نرى فائدة منها او لا تعنينا حقاً. فاذا تعلمنا قول "لا" لامور كثيرة سنتمكن حينئذ من قول "نعم" للامور التي تهمنا بالاكثر.

كاتب مجهول

التطوُّر سُنة الحياة

ليس عديم الكفاية من يدمِّر مؤسسة. فعديم الكفاية لا يصل أبداً الى مركز في مؤسسة يسمح له بتدميرها. ان من يعوقون تطور المؤسسة هم أولئك الذين حققوا بعض الانجازات فيها ويريدون أن يناموا على أمجادهم. فلكي تحافظ على نقاء صناعة، عليك أن تبقيها في اختمار دائم.

هنري فورد، صناعي أمريكي

العالم الداخلي

شكسبير وليوناردو دا فنشي وبنجامين فرنكلين وابراهام لينكولن ما شاهدوا قط فيلما ولا سمعوا راديو ولا شاهدوا تلفازاً. كان عندهم "عالمهم الداخلي" وعرفوا كيف تعاملوا مع وحدتهم. ولم يخشوا قط ان يكونوا وحيدين لانهم عرفوا ان طبعهم الخلاق لا يبدع الاّ في سكون العزلة.

كارل ساندبرغ
(شاعر امريكي ١٨٧٨ - ١٩٦٧)

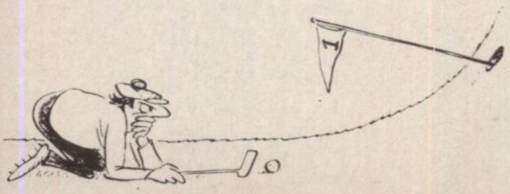

كارثة جويّة:

ماذا يحصل حين تتحطّمُ طائرة؟

في الساعة ٨،٣٤ من بعد ظهر يوم الاحد ١٦ أغسطس (آب) ١٩٨٧ أعطيت الاشارة في مطار مترو في ديترويت بولاية ميشيغان للانطلاق في الرحلة ٢٥٥ لشركة "نورثوست" الى فينكس بولاية أريزونا، فدرج القبطان جون موس (٥٧ عاما) ومساعده ديفيد دودز (٣٥ عاماً) بطائرتهما، وهي من طراز "ماكدونيل دوغلاس م د - ٨٠" الى المدرج الرقم ٠٣ وفي الساعة ٨،٤٢ كان دودز يعلن: "سيداتي، سادتي، ها نحن على أهبة الانطلاق في رحلتنا. سنقلع خلال بضع دقائق."

في أقل من ثانية بعد الاقلاع ظهرت أولى اشارات الخطر في الطائرة. اهتز عمود القيادة. وكان في الطائرة ١٤٩ راكباً وستة ملاحين. فارتفعت ببطء ومالت يميناً ثم انعطفت بحدة الى اليسار. وفيما حاول موس ضبط الطائرة المتمردة سُمع في قمرة القيادة صوت نسائي صادر عن دماغ الكتروني يقول: "توقف... توقف... توقف...".

بعد ١٤ ثانية من الاقلاع، حين كان يجب أن تكون الطائرة على علو ١٨٠ متراً، اصطدمت بعمود كهرباء في موقف لتأجير السيارات. فتمزق من جناحها الأيسر خمسة أمتار ونصف متر، وتسرّب

Condensed from Life (April '88), © 1988 by Time Inc., New York, N.Y.
Photos: © 1987 Detroit Free Press / Black Star; inset: © Enrico Perorelli / DOT

...لة "نورثوست ٢٥٥" هي ثانية
...سوأ الكوارث الجوية في تاريخ الولايات
...متحدة. وهنا تفاصيل التحقيق الذي
...ري لكشف مسبباتها

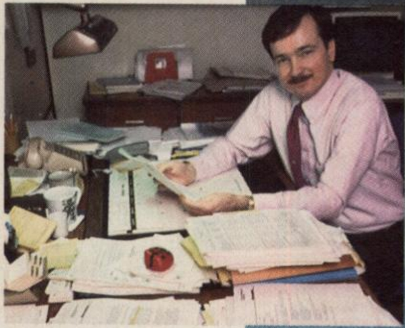

جاك درايك رئيس فريق التحقيق في المجلس الوطني لسلامة النقل، يتفحص الادلة.

الوقود من محرّكها الأيسر واندلعت فيه النار. واصطدمت الطائرة بعمود ثان وانحرفت ٣٥ درجة الى اليسار، فكشطت سقف بناء وهوت على جسر. فانفصل ستة أمتار من مقدمها وانزلق في الطريق ناثراً أجزاء معدنية وأجساداً بشرية.

يد تحت الحطام. كان كورت دوبسون (٢٨ سنة) يحب الذهاب الى مسقط رأسه ديربورن في ميشيغن حيث كان لا يزال يعد بطلا بعد انقضاء عشر سنين على تسميته أغلى لاعب في فريق كرة القدم بمدرسته الثانوية. وفي جامعة ميشيغن المركزية ذُكر على لائحة الشرف الوطنية كلاعب في خط الدفاع. وبعد تخرّجه عام

١٩٨١ ونيله شهادة في التجارة تعاقد مع فريق "أريزونا رانفلرز". لكن كسراً في يده أنهى نشاطه الرياضي.

مكث دوبسون في أريزونا يعمل مع عم له في تجميل الاراضي. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٧ خطب تشيريل كولاكوفسكي واتفقا على أن يكون لهما ولدان.

في عطلة نهاية الاسبوع في ١٦ أغسطس (آب) طار دوبسون الى ديترويت ليكون شاهداً لقران رفيقه في الكلية. وخلال العشاء التقليدي الذي يسبق العرس قال لرفيقه: "جو، أرجو عند بلوغك الخمسين من عمرك أن تتذكر هذه الاوقات الحلوة التي قضيناها معاً."

وفي الغد اصطحبه والداه الى المطار وعادا لمشاهدة ابنهما الاصغر يلعب في مباراة بايسبول. وفيما كان الوالدان يغادران المكان لوّح كورت بيده مودعاً، فقالت أمه: "أليس ابننا وسيماً حقاً؟"

قبل الفاجعة بدقائق شاهد أحد مراقبي حركة الطيران الطائرة "نورثوست ٢٥٥" تترنّح كعصفور جريح، فأطلق صفارة الانذار في محطة الاطفاء في المطار. وما هي الا دقائق حتى كان المنقذون يفتشون حطام الطائرة المحترقة بين لعب الاولاد وحقائب الثياب المتناثرة والاجسام الممزقة.

سمع الاطفائي دان كيش أنيناً. فمضى هو ورفيقاه جون تيدي وروي برندامور يبحثون وسط الحطام. فرأى جون ذراعاً تتحرك تحت أحد المقاعد. ويقول برندامور: "كانت هناك طفلة."

مزّق الطبيب الفستان الابيض ليتبين علامات الحياة. وبعد ١٥ دقيقة من سقوط الطائرة كانت الطفلة الشقراء ذات الاربع السنوات، بضفيرتها المعقودة وأظفارها المطلية باللون الارجواني، في طريقها الى المستشفى. كانت سيسيليا سيشان الناجية الوحيدة من الطائرة، وكانت جثث والدها ووالدتها وأخيها الى جانبها.

فيما كان جاك درايك عائداً الى بيته مع زوجته وأولاده الثلاثة، بعد قضاء يوم الاحد في منزل والديه بالقرب من بلتيمور، انطلقت صفارة جهاز الاتصال الالكتروني الذي يحمله. فتوقف في أحد المحلات واتصل بمكتبه. فأفيد أن طائرة مقلعة من ديترويت قد هوت، وأن عدد الضحايا كبير.

تبادل المعلومات. ظهر الاثنين وصل أكثر من ١٠٠ محقق من شركات "نورثوست" و"ماكدونيل دوغلاس" و"برات أند ويتني" (صانعة المحركات) و"جمعية طياري الخطوط الجوية" وسواها من الافرقاء المعنيين. فنظمهم درايك في عشر مجموعات يقودها أعضاء فريقه.

رسمت مجموعة التركيب خريطة الحطام ومساره البالغ ١٠٤٤ متراً. وللتحقق من امكان حصول تحطم خلال الطيران أدى الى الكارثة، مشّط متطوعو دورية الطيران المدني المدرج البالغ طوله ٢٥٩٠ متراً والطريق الى العمود الكهربائي الاول، بهدف العثور على قطع ربما سقطت من الطائرة أثناء اقلاعها. فلم يجدوا شيئاً.

ثم بدأت مجموعات فحص الحطام ودراسة السجلات واجراء مقابلات مع شهود عيان ومع مراقبي الطيران وأصدقاء الملّاحين وعائلاتهم. وراحت تجتمع ليلياً لتبادل المعلومات.

وفيما عمل مجلس السلامة على ضمّ التفاصيل التقنية للاحجية كان عدد من الاختصاصيين بعلم الامراض والمحققين والخبراء القضائيين يعملون ١٦ ساعة يومياً في مشرحة موقتة. كان عليهم التعرف الى الجثث من خلال الاسنان والمجوهرات وحتى الاحذية. وانتظر بعض الاقارب ستة أيام، وأخيراً غادرت سيارات نقل الموتى السوداء أرض المطار في رحلتها النهائية.

في اليوم التالي عثر فريق العمل على دليل مهم في الدواسات بقمرة القيادة: وضع مقبض الجنيحات المتحركة

الناجية الوحيدة سيسيليا سيشان (٤ سنوات) في سريرها في المستشفى. (أعلى اليمين) الضحية كورت دوبسون، نجم كرة القدم سابقاً. (أسفل اليمين) ماري سكوت وحفيدها سام.

ودرايك (٤٣ سنة) مفتش في "المجلس الوطني لسلامة النقل" ينقب وسط حطام الطائرات لمعرفة سبب حصول الحوادث. ففي اثر كل حادث رئيسي ينطلق "فريق عمل" من مجلس السلامة يضم اختصاصيين بمجالات تراوح بين المحركات والاحوال الجوية وعلم النفس. كان درايك طياراً في سلاح البحرية، واستهواه التحقيق في الحوادث على أثر مقتل صديق عزيز له خلال طيران تدريبي. وبات درايك يعمل قائد فريق.

طار درايك وتسعة من أفراد فريقه من مطار واشنطن الى ديترويت، فوصلوا في الثانية صباحاً. وبعد تلقي شرح موجز للحادث توجه درايك مباشرة الى مكان وقوعه.

Photo of Cecelia Cichan: Sygma

والاضلاع. عند اقلاع الطائرة تُبسط الجنيحات والاضلاع في الأطراف الخلفية والأمامية للجناحين لتحسين ارتفاع الطائرة وتسييرها. وبسطها عند الاقلاع شأن روتيني مماثل لضبط المرآة الخلفية للسيارة حين الرجوع الى الوراء. لكن مقبض جنيحات الطائرة واضلاعها وُجد في وضع الضمّ، وعدم بسطها يبطىء الارتفاع الى حد خطير.

وسيظهر الفحص لاحقاً ما اذا كان المقبض مضموماً حين الاقلاع أم ان الصدمة سببت ضمه. وقد شهد طيار في "نورثوست" أنه رأى الجنيحات والاضلاع مبسوطة حين الاقلاع. لكن المسجل الالكتروني لمعلومات الطيران(★) الذي يحفظ معلومات عن سير الطائرة لمدة ٢٥ ساعة، أظهر العكس. ومسجلة الاصوات في القمرة، أي "الصندوق الاسود" الذي يسجل محادثات الملاحين، لم تحتوِ على قراءة اللائحة الاساسية التي يتلوها الطيار ومساعده ويدققان بموجبها في الترتيبات الضرورية قبل الاقلاع.

فلماذا لم يطلب قائد الطائرة موس قراءة اللائحة حسبما يقتضي النظام؟ وحين أهملها موس، لماذا لم يبادر دودز الى قراءتها بنفسه حسبما هو مطلوب منه أن يفعل؟

وسُمع نداء واحد من الانذارين: "توقف!" ولم يسمع تحذير بشأن الجنيحات والاضلاع. وتنبعث الأصوات بواسطة جهاز مصمم لانذار الملاحين الى المشاكل. فهل كان جهاز الانذار السمعيّ معطلا؟ كان في وسع الانذار اعطاء الملاحين الوقت الكافي لبسط الجنيحات والاضلاع أو لاجهاض الاقلاع في حال تعذر ذلك.

بعد خمسة أيام أنهي التحقيق في موقع الكارثة. وأرسلت أجزاء محطمة ذات أدلة حاسمة الى المختبرات. ثم أمر درايك بتنظيف المكان. وفي اليوم التالي أقفلت المشرحة الموقتة. وبقيت أشياء لم يطلبها أحد، كنظارات مكسورة وصور متفحمة وعدسات لاصقة وساعات يد محروقة.

وبعد ثمانية أيام من قدومه رجع درايك الى واشنطن في طائرة لشركة "نورثوست". كان فحص الحطام انتهى، وبدأ التحقيق.

أسئلة بلا أجوبة. كانت ماري سكوت (٥٢ سنة) بحسب افادة احدى صديقاتها، "جارة قديمة العادات لا شغل يمنعها من الزيارات." كانت تدعو الغرباء الى مشاركتها في الاحتفال بالاعياد. وكانت في معظم هذه المناسبات تنسى الحلوى في الفرن وتتركها تحترق. كانت تحب الخياطة. وهي خاطت حراماً لكل مولود في الجوار.

كانت متزوجة فلويد سكوت ولها ثلاثة أولاد. لكن محور اهتمامها كان حفيدها سام (٨ سنوات). وتقول والدته كيم وهي ابنتها الكبرى: "والداي يعطيان سام أكثر كثيراً مما أقدر عليه أنا."

في يوليو (تموز) اصطحبت ماري حفيدها في عطلة الى ميشيغن دامت ثلاثة أسابيع سعيدة، لعب فيها سام مع أولاد عمه على طوف أصفر في بحيرة غول.

(★) Digital Flight Data Recorder

وفي ١٦ أغسطس (آب) أخذ عم فلويد ماري وسام الى المطار. وقد قالت ماري مودعة: "لا تقلق. نحن في مؤخر الطائرة. سنكون على خير ما يرام".

في واشنطن بدأ اختصاصيون كبار في مجلس سلامة النقل دراسة الطائرة التي بلغ عمرها ٥ سنوات. وانتفى عامل الطقس كمسبب للكارثة. وكان أفيد عن عواصف رعدية على بعد ٣٠ كيلومتراً شمالا، ولكن سقطت رشة من المطر ما لبثت ان انقطعت قبل اقلاع الطائرة. وهكذا كان شأن التحذيرات عن تغيّر خطير في سرعة الريح واتجاهها. وسافر المحققون الى شركة "ماكدونل دوغلاس" في لونغ بيتش بكاليفورنيا حيث فككوا قاعدة قمرة القيادة وعثروا على علامات تدل على أن مقبض الجنيحات والاضلاع لم يتحرك من وضع الضم بفعل الصدمة.

فلماذا لم يتم بسط الجنيحات والاضلاع؟ بحسب التسجيل الالكتروني للمعلومات كان موس ودودز بسطاها ست مرات في ذلك النهار خلال رحلات سابقة.

لدى اجراء اختبار عمل جهاز الانذار السمعيّ من دون أي خلل. ويتذكر ربان "نورثوست" روبرت بريت الذي ركب الطائرة في رحلتها من ديترويت الى ساغينو ساعتين قبل الكارثة، أنه سمع الانذار في شأن الجنيحات أثناء لفة عنيفة. كانت تلك هي التجربة الاولى لبريت في قمرة القيادة، ويتذكر أنه فكر: إن الطائرة تكلمك! فلماذا اذاً لم "يتكلم" الجهاز في رحلتها الاخيرة المشؤومة؟

واستكشف مجلس السلامة ما اذا كان قاطع الدائرة الكهربائية، الذي يحفظ جهاز الانذار السمعيّ، معطلا أو مفصولا أو محملا فوق طاقته. فهل نزع موس ودودز قاطع الدائرة لتجنب إزعاج الانذارات؟ ذلك لم يكن من صفاتهما، لانهما لم ينزعاه في الاقلاعات سابقاً.

بحسب احصاءات مجلس السلامة كان خطأ الربان سبباً رئيسياً أو عاملا في ٤٧ في المئة من حوادث الطائرات التجارية بين ١٩٨٠ و١٩٨٥. ولكون كثيرين من محققي مجلس السلامة ربابنة سابقين فانهم لا يستسيغون عبارة "خطأ الربّان". يقول درايك: "إنها تعني أن هناك تفسيراً سهلا يعزى اليه سبب الكارثة. ولكن هناك عادة أمر أهم يجدر أخذه في الاعتبار."

ويضيف ستيفن موتس وهو ربان سابق حائز شهادة في علم النفس ورئيس "فريق الانجاز البشري" الذي تعمّق في دراسة حياة جون موس وديفيد دودز: "نقول ان إنساناً ارتكب خطأ. دعونا نكتشف لماذا."

لم يعثر لدى تشريح الجثتين على أي أثر للمخدرات، أو الكحول. والنقطة السوداء الوحيدة في سجل دودز خلال ثماني سنوات كانت تغريمه للطيران فوق ملعب كرة قدم من دون ترخيص أثناء مباراة. وكان سجل موس خلال ٣١ سنة نظيفاً. ومع أنه شعر بالخيبة لدى خفض راتبه بعد اندماج شركتي الطيران "نورثوست" و"ريببلك" عام ١٩٨٦، إنما ذلك لم يكن دليلا وافياً لينسب اليه أي هبوط في قوة التركيز.

"سبب محتمل." بعد أقل من أسبوع على الكارثة رفعت دعاوى ضد "نورثوست" و"ماكدونيل دوغلاس" و"برات أند ويتني." وبلغت التعويضات ملايين الدولارات. ووافق معظم المحققين على أن الجنيحات والاضلاع كانت مضمومة، ولم يكن هناك جواب على السؤال: لماذا؟

واخيراً، في اجتماع عام في مايو (أيار) ١٩٨٨، أعلن المجلس رسمياً السبب "المحتمل" (وهذا التعبير يتسم بالحذر دائماً) الذي يعزى الى سلسلة اخطاء الملاحين بما فيها اهمال قراءة قائمة الضبط وبسط الجنيحات والأضلاع. كذلك عامل انقطاع التيار الكهربائي، الذي لم يوجد له تفسير، عن جهاز انذار الطائرة عند الاقلاع. أما قول المجلس بسبب "محتمل" في تحديد المسؤولية فلا يؤخذ في الاعتبار بموجب القانون. وقد عينت مواعيد المحاكمات بين يونيو (حزيران) وأغسطس (آب) ١٩٨٩.

على رغم اكتمال التحقيق فان الحزن لا يزال مسيطراً.

بلغ والدة كورت دوبسون نبأ الكارثة حين أدارت جهاز التلفزة حال رجوعها الى المنزل من مباراة البايسبول. فقالت: "أول ما خطر لي كان أن أبتهل كي لا تكون الطائرة هي ذاتها التي هو فيها. ثم قلت في نفسي: لا، ليس في امكاني أن أتمنى ذلك لاي شخص آخر." وقد عثر المنقذون على خاتم جامعة ميشيغن المركزية التي درس فيها دوبسون. ويضعه والده في اصبعه حاليا.

وبعد الكارثة انفصمت حياة فلويد سكوت لبعض الوقت، فانقطع عن العمل ومكث في البيت برفقة كلب سام. ووهب مدرسة سام أربعة آلاف دولار ثمناً لكتب ولشجرة خرّوب. يقول سكوت: "إنها شجرة حسنة للتسلق، كتلك القائمة أمام منزلنا والتي غالباً ما كانت ممتلئة بسام وأصدقائه."

أما الطفلة سيسيليا سيشان، التي أصيبت بكسر في رجلها وترقوتها وبجروح في رأسها وكسر في جمجمتها وحروق من الدرجة الثالثة غطت ٣٥ في المئة من جسمها، فقد لازمت المستشفى لمدة ٥٤ يوماً. وجمعت لها تبرعات بلغت ١٥٠ الف دولار مع تمنيات بالشفاء. وأرسلت اليها ٣٢ الف بطاقة ورسالة و٢٠٠٠ هدية ذهب معظمها الى مستشفيات الاطفال، وبينها لعب وحلى. ومنها أيضاً ٢٥ زجاجة طلاء أرجواني للأظفار، وهو الذي طلت به جدتها أظفارها والذي أدى الى كشف جدّها هويتها بعد الكارثة بيوم واحد.

وفي ٩ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ ركبت سيسيليا طائرة، في رحلة هذه المرة الى منزلها الجديد بالقرب من برمنغهام بولاية ألاباما حيث تسكن مع عمتها وعمها.

اما السؤال الأحجية الذي يتردد بالحاح فهو: كيف نجت سيسيليا من الموت؟

يقول درايك: "كانت الطائرة محطمة الى حد جعل البقاء قيد الحياة مستحيلا. لا أحد يعرف كيف نجت سيسيليا. أنا لا أدري كيف تتم العجائب."

جورج هاو كولت
وجين بريغز - بانتنغ ■

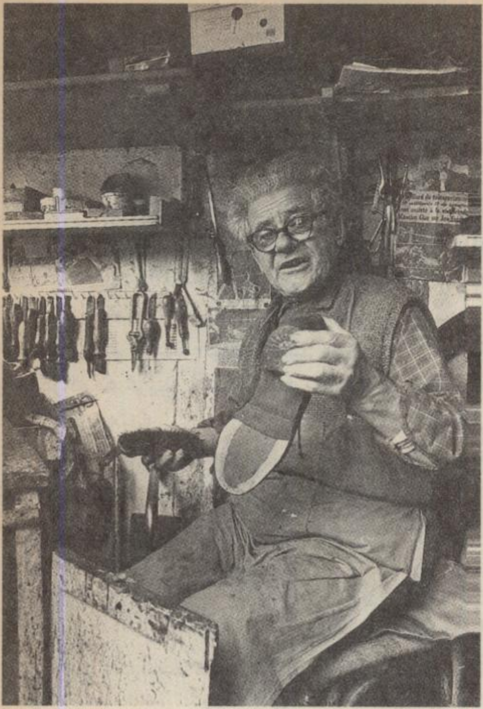

الإسكافي الشَاطِرُ

ينبع رضاه الاعمق من فخره بانجاز عمل جيد

هو اسكافي قديم يملك حانوتاً في ماريه وهي منطقة تاريخية في باريس. لمّا أتيته بحذائي قال لي أولا: "ليس لديّ وقت. خذه إلى الاسكافي في الشارع المجاور فيصلحه بسرعة."

لكنني كنتُ تنبّهت الى محله قبل مدة واستنتجت أنه حرفي ماهر بمجرد أن نظرت الى أدواته وقطع الجلد على مقعده. فأجبت: "لا، الاسكافي الآخر سيرقعه حتماً فيفسده."

والاسكافي الآخر من الحانوتيين الذين يصلحون أعقاب الأحذية ويصبّون المفاتيح بسرعة خاطفة فيما أنت تنتظر، من دون أن يلمّوا كفاية باصلاح الاحذية أو صبّ المفاتيح.

أدرك هذا الاسكافي أنني لن أستسلم، فابتسم ومسح يدَيْه بوزرته الزرقاء. تفحّص حذائي وطلب مني أن أكتب اسمي بالطبشورة على النعل، وأخيراً قال: "إرجع بعد أسبوع."

Condensed from Le Figaro (July 24, '84), © 1984 by Le Figaro, Paris.
Photo: Rapho / Y. Jeanmougin

وفيما كنتُ أهمُّ بالرحيل تناول عن الرف جزمة رائعة من الجلد الطري وقال لي بفخر: "أرأيت ما في وسعي فعله؟ لا يقدر على عمل من هذا النوع إلا ثلاثة من زملائي." وأضاف بفخر: "انني أعمل للحرس الجمهوري."

لمّا عدتُ الى الشارع بدا لي العالم جديداً. فكأن هذا الاسكافي يبرز من احدى أساطير القرون الوسطى. هذا الحرفي القديم يتكلّم بلهجة أليفة لا يُحدّ مصدرها ويعتمر قبعة غريبة مغبّرة. ومع ذلك يفخر بممارسة مهنته.

في هذه الايام تكمنُ أهمية الأحداث في خاتماتها، ويعمل المرء بحسب أي طريقة ما دامِ عمله يكسبه ربحاً، ويعتبر الناس العملَ سبيلا الى مردود مادي وليس وسيلة يبرهنون من خلالها مقدراتهم الفعلية. في زمن كهذا يندر العثور على اسكافّي ينبع رضاه الاعمق من فخره بانجاز عمل جيد

العمل الجيد عنوان نبل، إذ ان العامل المخلص الصادق الذي يؤدي واجبه، مهما يكن عمله، من دون أنْ يطمحَ الى أكثر من المحافظة على احترامه الذاتي، هو في منزلة فنان شهير. فلا ارستقراطية وراثية، الاشخاص المحترمون هم الارستقراطيون الوحيدون.

آرييل ماريني ■

ثقة غير كهربائية

كنت أمد أنبوباً لتصريف المياه في حرم احدى الجامعات تنفيذاً لعقد التزمته شركة بناء كنت أعمل لديها. وفي أثناء الحفر بان لنا سلك كهربائي ممدود في طريقنا. فاشتبهت بأنه خط قديم مهمل. غير أني زيادة في الحيطة اتصلت بقسم الكهرباء في حرم الجامعة وطلبت كهربائياً لتحديد حقيقة السلك.

وصل الكهربائي ونظر الى السلك وأكد أنه غير مكهرب قائلا: "اقطعه فقط وأزحه من طريقك."

فسألته: "أمتأكد أنت من أن لا خطر في ذلك؟"

- نعم، أنا أكيد.

"حسناً، هَلّا قطعته أنت إذاً؟"

تردد لحظة وارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء وقال: "لست واثقاً الى هذا الحد."

و.غ.

بريد الشعب الراقي

عندما كان الروائي الفكاهي البريطاني بيلهام وودهاوس (١٨٨١ - ١٩٧٥) في مدينة لندن، حلّ مسألة المسيرة الطويلة الى مكتب البريد بقذفه رسائله خارج نافذته. فهو ارتأى أن الشخص العادي، اذا وجد على الرصيف رسالة معنونة وعليها طوابع بريدية، فسوف يضعها في أقرب صندوق بريد. ولم يخب ظنه مرة واحدة.

س.ف.

كان وحيداً
وخائفاً في الظلمة
عندما أتاه فجأة
صوت عميق

صَديُق في الظلام

عندما تقاعد لاري غتمن كان يملك كل شيء: زوجة محبة، ثلاثة أولاد ناجحين، حلقة من الاصدقاء، وبيتاً جميلا على قمة جبل في كلارمونت بولاية نيوهمشير.

ثم اكتشف أنه في طريقه الى العمى. ذات يوم جلس هو وزوجته جوني يائسين ساعات طوالا على شرفتهما الخارجية ذات المناظر الجبلية التي لم يعد بمقدوره أن يشاهدها، يحاولان أن يقررا ماذا يجب أن يفعل. جرَّب الجراحة، لكن خمس جراحات مؤلمة في عينيه باءت بالفشل.

واستجابة لإلحاح جوني تسجل في مركز "كارول" للعميان في نيوتن بولاية مساتشوستس. وهذا المركز ذائع الصيت في تعليم العميان العناية بأنفسهم. لكن لاري كان ممتلئاً بالهواجس.

كان الحضور في المركز أشد ايلاماً مما توقع. انه ملزم متابعة ثماني حصص دراسية يومياً، وهو يكرهها كلها: العصا البيضاء، الآلة الكاتبة بطريقة "بريل" للعميان، الدماغ الالكتروني المتكلم، تمارين الكاراتيه، المبارزة بالسيف، كل هذه ملأته يأساً.

خلال أسبوعين في متابعة البرنامج حل الغضب محل اليأس. لقد تدفقت عليه أمور كثيرة جديدة في وقت قصير جدا، وما زال أمامه أربعة عشر أسبوعاً. وكان أسوأ التمارين التدريب الحسّي: ترفع المعلمة يدها قريبة من خده وتقول: "هل هذا هو الجانب الايمن أم الايسر؟" ومن المفترض فيه أن يشعر بحرارة يدها. أو تأخذه الى ساحة مسوَّرة وتقول: "أشر الى الفتحة في الحائط." وكان عليه أن يحدد الفتحة بالاصغاء الى حركة المرور. قالت له المعلمة: "خلف الحائط تُسمع حركة المرور مكبوتة أو مختلطة. أمام الفتحة تتوضح، ثم تعود فتختلط. كل ما عليك أن تفعله هو أن تتعلم الاصغاء."

في المترو. كابوس أن تكون أعمى، أما أن تخفق في اختبار تلو اختبار فهذا اذلال. حين عزم لاري على ترك المدرسة أبلغته معلمة الحركة أنه جاهز لاعظم اختبار حاسم: عليه أن يسافر وحده في القطار النفقي (المترو) الى بوسطن، ويمشي الى محطة الحافلات، ويأخذ حافلة الى منزله لقضاء عطلة الاسبوع.

أخبرها لاري بفتور أنه لا يستطيع ذلك.

© 1987 by Nardi Reeder Campion. Condensed from Valley News (December 9, '87), West Lebanon, N.H.

أخيراً اذعن لاري قائلا: "سأحاول، لكنني اذا ما أخفقت فأذهب الى البيت نهائياً."

قالت المعلمة: "احفظ الشمس الى الجانب الايمن من أنفك، وفي المترو عدّ أربع محطات واخرج. واحذر الاشخاص الذين يعرضون المساعدة. ان العميان عرضة للمهاجمة دائماً بقصد السلب، وهم لا يستطيعون وصف مهاجميهم."

انطلقا معاً، لكن المعلمة ودعته بعد أربع عمارات. لم يشعر لاري قط أنه وحيد هكذا. واذ سار الى الامام أصغى الى السيارات تعبر بجانبه.

حينذاك شعر بيد على كتفه. قالت المعلمة: "كنت أتبعك يا لاري، أنت تفعل حسناً. تذكر أن ركوب القطار يستغرق نصف ساعة، ثم تخرج في المحطة الرابعة من النفق. ولن يحصل لك أي سوء."

فكّر لاري بمرارة: اهذا صحيح؟ وزجَّه الجمهور المتدافع في القطار. شعر لاري بالقطار يدخل النفق، لكنه توقف مراراً ليسمح بعبور قطارات اخرى. وخاطب لاري نفسه: لا تهلع، فلن تضيع. ثم توقف القطار وأحس لاري هواء بارداً يتدفق عبر المقطورة. فكر: شكراً لله على أنه الشتاء.

أحصى ثلاثة دفقات أخرى من الهواء البارد وخرج من القطار.

كانت محطة الحافلات على بعد ثلاث عمارات فقط، لكن لاري لم يجد السلالم للخروج من النفق. ساعدته امرأة في صعود الدرج ووجهته نحو المحطة.

صوت ويد. وجد لاري المحطة، لكنه لم يعرف كيف يتوجه. وقف وسط المحطة مذعوراً. وشعر بقلبه يهبط عندما أدرك أن الوصول والاقلاع كانا يعلنان عن يمينه بدلا من يساره حيث قالت المعلمة انهما سيعلنان. يبدو أنني دخلت عبر الباب الخلفي.

سار حذراً بجانب الحائط محاولا تعيين مكان يضع فيه حقيبته ما دام سينتظر الحافلة ساعتين ونصف ساعة. فجأة سمع صوتاً عميقاً: "أتبحث عن خزانة فارغة؟"

هز لاري رأسه.

"اذاً سنجد لك واحدة." جاء الصوت من فوق، مما يدل على أن الرجل طويل القامة. "هل لديك قطع نقدية بثلاثة أرباع دولار؟"

أخرج لاري محفظته، فاختطف الرجل النقد الورقي وانصرف وهو يدمدم: "سآتي بالفكّة."

فكر لاري: لقد ذهب ولن يعود. وفي بضع دقائق عاد الغريب ومعه النقود المعدنية. دفع الحقيبة الى الخزانة ثم أخذ بيد لاري وقال: "مرحباً، أنا بيلي."

شكره لاري ودعاه الى شرب فنجان قهوة. وبينما هما جالسان معاً سأله لاري الى أين كان متوجهاً. فأجاب: "يجب أن أعود الى نيويورك بطريقة ما."

وفيما كان لاري يتمعن في الجواب قال بيلي بهدوء: "تستطيع أن تقول انني في الحضيض. ولا أرى أن تغييراً ما سيحصل في حياتي." ثم انجلت لهجته وأضاف ضاحكاً: "لكنني لا أشعر بسوء، فتلك هي حالي دائماً. وأنت يا لاري؟ آه، لقد عاد الشرطي."

قطع حديثهما صوت تهكمي: "هل وجدت صديقاً يا بيلي؟ قلت لك انني

أريدك أن تخرج من هنا. هيا!" ومضى الشرطي متبختراً.

قال بيلي: ذلك الشرطي يصعب علي الامور يا رجل. لقد أمضيت الليلة هنا، ولن يستقبلوني ليلة أخرى. تعال، سآخذك الى خزانتك.

قرب الخزانة أمسك بيلي بيد لاري فأحس هذا قوة تسري فيه. قال بيلي: "أصبر يا رجل، وتذكر أنك إن تكن خسرت نظرك فحياتك حتماً لم تنته." ثم ذهب.

وجد لاري حافلته. وحين اتكأ في مقعده شعر بأنه في وضع جيد وكثير الرجاء. فكّر: انها حتماً لم تنتهِ.

سيتابع الدروس المضنية في مركز كارول. وقد يصبح بعد ذلك رجلا أعمى مستقلا ومعتمداً على نفسه.

أنهى لاري غتمن المنهج الدراسي. أتقن الضرب على الآلة الكاتبة الخاصة بالعميان، وأتقن حفظ الاوراق ومسك الدفاتر والخياطة والطبخ. انه الان يستطيع أن يسافر وحده بسهولة.

وهو مأخوذ بكلمات مأثورة: "الايمان جوهر الاشياء المرجوة، ودليل على الاشياء غير المرئية." وهو أيضاً يفكر يومياً في كلمات بيلي، انه شاكر مقابلة الرجل الذي ساعده ليفهم وضعه، الرجل الذي ساعده ليرى.

ناردي ريدر كامبيون ■

عيادة المنتظرين

استولى التعب عليّ وعلى زوجي بعد يوم طويل أمضيناه في عيادتنا المتخصصة بعلاج الاعصاب. ورحنا ننتظر حضور زبوننا الاخير في ميعاده في السادسة مساء. ودقت الساعة السادسة ولم يأتِ الزبون. وانتظرنا الى السادسة والربع ثم الى السادسة والنصف، ولا زبائن.

أخيراً قال زوجي بسخط: "حين ينسى الناس مواعيدهم عليهم أن يتذكروا واجب الاتصال هاتفياً لاعلام المنتظرين."

ج.ب.هـ.

المرأة والغوريلا

في حديقة الحيوان في سان دييغو بولاية كاليفورنيا غوريلا معروف عنه أنه "يمثّل" أمام الزائرين. توجهت الى قفصه مع عائلتي، لكن أملنا خاب لأن القرد الكبير لم يحلُ له في ذلك اليوم غير التمدد في الشمس. ومن شدة حماستي لجعله يؤدي "تمثيليته المعهودة" أخذت أؤدي بعض التهريجات التي سبق أن شاهدت السعادين تفعلها. وفي غمرة دوراني سمعت رجلا واقفاً في الجوار يقول لزوجته: "غلاديس، دعي الغوريلا وشأنه وخذي صورة لهذه السيدة."

م.م.ج.

أصيب المتزلج الشاب في ركبته، لكن عزمه الصلب وارادته الجبارة مكناه من الفوز

متزلج لا يعرف اليأس

كيتزبيول، ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥. يقترب بيرمن زوربريغن من المنحدر الأخير في سباق هاننكام المخيف للمنحدرات بسرعة تفوق ١٢٠ كيلومتراً في الساعة. فهذا الشاب ابن الحادية والعشرين وبطل العالم في التزلج لموسم ١٩٨٣ - ١٩٨٤ يريد أن يكرر الحدث المثير الذي شهده اليوم السابق. كما يريد أن يكون الاسرع مرة أخرى من الناحية التقنية، في أصعب سباق انحدار في التزلج الألبي.

بعدما وصل إلى حافة هوزبورغ انعطف بحدة نحو حلبة التعرج. فأحسّ فجأة بتكسّر في ركبته اليسرى. الا أنه انتصب بعزم خارق مندفعاً ليجتاز الامتار المئة الأخيرة من السباق الوعر.

Foto Key - color / Keller

وألقى نظرة خاطفة على لوحة التوقيت: إنه متقدم أخطر منافسيه، النمسوي هلموت هوفلنر بفارق جيد هو عُشرا ثانية.

إلا أنه عندما انحنى ليخلع مزلجتيه انتابه ألم حاد في ركبته. فعرج بطل كيتزبيول متأوهاً وغادر نقطة الوصول يساعده بعض الاصحاب.

وعاين طبيب الفريق السويسري الدكتور هانس سبرينغ ركبة بيرمن في الفندق. وارتاب في أن أذى لحق الغضروف المفصلي وربما أربطة الركبة. فكان لا بد من إجراء جراحة. وفي اليوم التالي اصطحب مريضه الى عيادة رينبان في موتينز بالقرب من مدينة بال، حيث كان في انتظاره اختصاصيون بالطب الرياضي.

خُدر بيرمن تخديراً كاملاً. وأُدخل مجسّ عبر شق صغير في جلد ركبته، فتبين أن هناك تمزقاً نصف دائري في الغضروف المفصلي الأيسر. إلا أن اربطة الركبة لم تتأذّ لحسن الحظ. فانتزع جرّاحٌ بعناية الغضروف المتأذي البالغ طوله ثلاثة سنتيمترات. وانتزاعه لن يعيق حركة الركبة.

وقال الأطباء ان في وسع زوربريغن العودة الى التزلج بعد أسبوعين على الأقل. ولكن هل هذا الوقت كافٍ للتمرن قبل سباقات بطولة العالم التي ستجرى في بلدة بورميو الايطالية في الثلاثين من يناير (كانون الثاني)؟ لم يرغب الاطباء في المغالاة في بعث الأمل، فقالوا لاصحاب زوربريغن ومدربيه: "عليكم ألا تنتظروا معجزات."

سباق خيالي. وُلد هذا الشاب الموهوب في ٤ فبراير (شباط) ١٩٦٣ في ساس ألماجيل أنأى القرى في وادي ساس، لأبوين يديران فندقاً. انتعل بيرمن مزلجتين للمرة الاولى وهو في الثالثة من عمره. وبعد سنتين تلقى مزلجتين حمراوين مصقولتين هدية في عيد الميلاد. ولما كانت العائلة تقيم بالقرب من مصعد للتزلج، فقد كان بيرمن يمضي ايامه على المنحدرات باستثناء اوقات يشاهد فيها سباقات المنحدرات على شاشة التلفاز.

وعندما كان بيرمن لا يزال تلميذاً بعد، كان يهرع الى البيت فور انتهاء الصفوف ويصنع بنفسه منحدرات متعرجة، اذ تكون المصاعد متوقفة، ويتمرن حتى حلول الظلام. وفي الثامنة من عمره، عندما يكون الثلج قليلاً أو الطقس رديئاً، كان يستعمل الدبابيس لتعيين حدود سباق التعرج الطويل ومنحدراته على الطاولة في غرفة نومه، ثم يشق طريقه بينها في مخيلته.

ولم يمضِ وقت طويل حتى بدأ أبوه آلوا، وهو نفسه متزلج ممتاز، يصطحبه كل نهاية أسبوع الى السباقات التي ينظمها فرع الناشئين في جمعية التزلج. وفي الثالثة عشرة من عمره كان بيرمن بطلاً للناشئين واشترك للمرة الاولى في سباقات اتحاد التزلج الدولي. ولم تمضِ أربع سنوات حتى فاز بكأس أوروبا في التزلج المنحدر في مورزين - أفورياز. وقُبل في منتخب سويسرا للدرجة الثانية. وفي ٢٤ مارس (آذار) ١٩٨٢، بعدما أصبح عضواً في المنتخب الوطني، احتفل

بتحقيق أمنية قديمة هي احراز أول انتصار له في سباقات كأس العالم للتعرج الطويل في سان سيكاريو بايطاليا.

إلا أن بيرمن خرج في العام نفسه من بطولة العالم التي جرت في شلادمينغ، في سباقي التعرج والتعرج الطويل، لكنه سرعان ما تجاوز خيبته هذه، أذ لم تمضِ ثلاث سنوات حتى أصبح من أنجح المتزلجين الذين أنجبتهم سويسرا.

ركبة الأمّة. موتينز، ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥. انهالت على عيادة رينبان مئات الرسائل تتمنى الشفاء العاجل لأشهر مريض في سويسرا. وتدفقت عشرات من باقات الزهر والطرود. لم يفقد بيرمن الامل بعد في الاشتراك في بطولة العالم، وأخضع عضلاته التي مر عليها وقت طويل من دون حركة، لعلاج كهربائي، كما استعمل الثلج لتخفيف الورم وزيادة وتيرة جريان الدم. وحسّن ليونته بالحركات السويدية، وبدأ في اليوم الرابع يلقي بعض وزنه على رجله المصابة.

وبعد الجراحة بعشرة أيام أخذه أبوه الى البيت. وفي صباح اليوم التالي كان الشاب المتعافي ينتعل مزلجتيه ويؤدي أول حركة دائرية. يا له من شعور. وعندما قام بمحاولتين أخريين على منحدرات التعرج بعد الظهر أحس بألم في ركبته. إلا أن الالم زال بعد استراحة قصيرة. ولم يرَ الطبيب الذي عاين "ركبة الأمّة" في المساء أي خطب يحول دون اشتراك بيرمن في بطولة العالم.

بيرمن زوربريغن بعد انتصاراته في بطولة العالم في بورميو عام ١٩٨٥.

وفي بورميو في الاسبوع الاخير من شهر يناير (كانون الثاني) شعر بيرمن بالألم مجدداً عندما انحنى ليثبّت حذاءي التزلج قبل بدء أول التمارين. وأخذ يراقب النمسوي انتون شتاينر يقفز في الهواء ليهبط على بعد ٥٠ متراً إضافية. فتساءل: هل تتحمل ركبتي صدمة كهذه؟ إلا أن ركبته كانت على ما يُرام في المنعطف الاول نحو اليمين حيث ألقى وزنه كاملاً على مزلجته اليسرى. وأدهش بيرمن منافسيه عندما سجل أفضل وقت خلال التمارين.

الا أن اليوم المنتظر في "السباق الملكي" (★) كان الاحد ٣ فبراير (شباط). ولكن في يوم الجمعة السابق

(★) Royal Discipline

Foto Huegin / RDZ

تنافس أفضل المتبارين في سباق انحدار منفصل، كما أجري بعد أربعة أيام سباق جماعي في مباراة تعرج حاسمة. حينذاك أثبت الرجل الآتي من ساس ألماجيل أنه لا يُقهر. فبتفوقة بعُشري ثانية على مواطنه بيتر لوشر أصبح واضحاً أنه سيحرز الميدالية الذهبية.

مساء السبت كان على بيرمن أن يكون البادىء في السباق. وهكذا لن يكون أمامه زميل في المنتخب يحذره من المنعطفات الصعبة. كما سيتعين عليه أن يتزلج على ثلج جديد مما يحد من سرعته. الا أنه وجد الثلج في التاسعة من صباح الاحد أقسى مما كان في اليوم السابق، وهذا ما يحتاج اليه المتزلج ليصل الى خط الوصول في وقت جيد.

ذهبية أولى. أمضى بيرمن الساعتين الباقيتين قبل السباق يؤدي تمارين لتحمية جسمه. فكان يتزلج قليلاً على منحدر قريب ويقوم بحركات سويدية. وفي الحادية عشرة والنصف أنجز آخر التمارين وانتعل مزلجتيه وأجال مخيلته في رحلة درس خلالها المنحدر مرة أخرى. لا تزال هناك مرحلة من السباق كان يخسر فيها وقتاً ثميناً خلال التمارين. وقد اكتشف المدرب سيب شتالدر السبب لدى مشاهدته شريط فيديو مسجلاً. ففي إحدى القفزات مال بيرمن إلى الخلف ثم عاد وانتصب لئلا يفقد توازنه، مما زاد مقاومة الهواء وأدى بالتالي إلى تخفيف سرعته.

في الساعة ١٢،٠١ أندفع بيرمن من نقطة الانطلاق بقوة عظيمة، وحبس نحو مليونين ونصف مليون من مشاهدي التلفاز السويسريين أنفاسهم. إن بيرمن يتزلج بتهور أكثر من العادة. إلا أنه أبقى جسمه منحنياً حتى في أصعب المراحل. وقبل القفزة الاخيرة واجهه هواء قوي، إلا انه طار من دون أن يحيد عن اتجاهه قيد أنملة، وهبط بسلام بسرعة مئة كيلومتر في الساعة. وتوقف جهاز التوقيت ليشير الى دقيقتين و٦،٦٨ ثانية. ولكن هل هذا كاف لاحراز ميدالية؟

تلت ذلك دقائق مقلقة. تأخر مواطن بيرمن بيتر مولر عنه ٠،١١ ثانية. ولم يشكل النمسوي فرانتز كلامر بدوره أي خطورة. هوفلنر سريع لكنه لم يهزم بيرمن في المرحلة الاخيرة من السباق. ثم وصل الامريكي المغمور دوغ لويس الى بداية "السحبة" الاخيرة بعد دقيقتين محتلاً المركز الـ... ثالث بفارق ٠،٠٣ ثانية عن مولر. لقد أحرز بيرمن زوربريغن ميدالية الانحدار الذهبية بعد مرور ثلاثة أسابيع تماماً على إجرائه الجراحة. وغمرت مواطنيه وعائلته سعادة كبيرة. (شقيقته هايدي الاصغر منه بأربع سنوات هي بدورها متزلجة وعضو في المنتخب الوطني للدرجة الاولى.)

والآن راح الجميع يصلّون لكي يحرز بيرمن الميدالية الذهبية في السباق المتنوع.

أخطأ الخبراء. قليلون جداً هم المتزلجون الذين نجحوا في التنقل من سباق الانحدار السريع الى سباق التعرج الذي يتطلب مهارات بهلوانية. قال سيب شتالدر: "ميدالية التزلج المتعرج لا تحق إلا لأفضل المتزلجين "الطائرين"

والقادرين على تكيف عقلي كلي." ولدى بيرمن كل ما تتطلبه. يساعده برنامج تدريب صيفي متعدد الأوجه للمحافظة على قوته غير العادية وقدرته على التحمل. وتؤمن له عائلته الراحة التي يحتاج اليها بعد تعب السباق. ويبعث فيه ايمانه شعوراً بالطمأنينة.

جرى سباق التعرج المتنوع في اليوم الذي تلا عيد ميلاده الثاني والعشرين. توجه بيرمن الى نقطة الانطلاق وهو مرتاح ومستعد تماماً. وما ان انطلق حتى تكيَّف كلياً. كان يشق طريقه بين القوائم المهتزة وهو مسيطر كل السيطرة على سرعته، ففاز بميداليته الذهبية الثانية. وحاز الميدالية الفضية في سباق التعرج الطويل بفارق ٠،٠٥ ثانية عن الالماني الغربي ماركوس فاسماير الذي أحرز فوزاً مفاجئاً.

بدأ المتزلجون يتخصصون إما بسباق التعرج وإما بسباق الانحدار، بعد فوز الفرنسي جان - كلود كيلي بالسباقات الالبية الثلاثة مجتمعة، وهو آخر متزلج حقق هذا الانجاز. وهكذا اشتد وطيس المنافسة في كل من هذه السباقات. واعتبر خبراء الرياضة أنه يستحيل على أي كان أن يحرز نتائج مشرفة في جميع السباقات. لكن بيرمن زوربريغن، الذي قال عنه جان - كلود كيلي إنه "رياضي قَبِل التحدي بين الانسان والجبال"، برهن خطأ اقوال الخبراء. هذا الشاب الاشقر البالغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً أصبح نجماً بفضل ارادته الصلبة وتمرينه الشاق وتشجيع معلميه.

إنه شاب لطيف فخور بميدالياته وممتن لأهله ومدربيه لدعمهم اياه وشاكر الله على عافيته. وله تصورات مستقبلية كثيرة، الا أن طموحه يكاد لا يظهر حين يقول بتواضع: "أود أن أتزلج جيداً لوقت طويل".

بربارة فونانبرغ ■

يشترك زوبريغن في سباقات كأس العالم للتزلج عام ١٩٨٩، وهو في طليعة المتبارين الى الآن.

المعرفة والجهل

تتذكر انجيليكا هيوستون فصلا من نماء شخصيتها في ظل والدها جون هيوستون، عملاق هوليوود:

في الصباح كان من عادتي ان اذهب الى غرفته حيث كان يحلو له ان يجعل مجلسه في الفراش. وكنت مع شقيقي طوني نقبع قربه ونلعب الورق ونتحدث في مشاريع يومنا. لكننا وجدنا أنه اكثر ميلا نحو أمارات الرشاد في الاولاد بدلا من تصرفاتهم الصبيانية.

مرة دار الحديث في غرفة الطعام على الرسام الهولندي فينسانت فان غوغ. فقلت بما يشبه قلة الاحترام إني لم احب فان غوغ. فعاجلني بالقول: "انتِ لا تحبين فان غوغ؟ اذاً سمي ستاً من لوحاته وقولي لي ماذا لا يعجبك فيها." طبعاً لم استطع تسميتها، لجهلي الموضوع. فقال لي: "غادري الغرفة الآن وعودي عندما تعرفين ما تتحدثين عنه. وحاذري ان تتحدثي الى المائدة عن امور تجهلينها."

دائرة المعارف

تتضمن الدائرة في هذا العدد صفات تختص بالنساء. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **آنسة**: مؤنسة - غير متزوجة - خجول - كثيرة النسيان.
٢. **بضّة**: رقيقة الجلد في سِمَن - طِفلة - بيضاء - طويلة الشعر.
٣. **رَزان**: بدينة - سيئة الخلق - ذكية - وقور.
٤. **عنقاء**: عنيدة - نمّامة - طويلة العنق - تتدخل في ما لا يعنيها.
٥. **ضاويةٌ**: سَكوت - نحيفة - لازمة بيتها - مشرقة الوجه.
٦. **شهلة**: سريعة - جميلة العينين - عجوز - طويلة القامة.
٧. **هيفاء**: ضامرة البطن - شابة - سمراء - عريضة الجبين.
٨. **صَناع**: حاذقة في الصنعة - خادمة - كريمة - كثيرة التبرُّج.
٩. **سليطة**: مهيمنة - غير هيّابة - نهمة - طويلة اللسان.
١٠. **بلهاء**: عوراء - ضعيفة العقل - بليغة - كبيرة الاذنين.
١١. **نَزُور**: بخيلة - صغيرة الانف - قليلة الولد - ثرثارة.
١٢. **خَوْد**: امرأة شابة - عروس - أخت - أمة.
١٣. **ناهد**: باسمة - كثيرة التنهد - راشدة - من أشرف ثديها.
١٤. **غادة**: جارية - امرأة لينة ناعمة - غزالة - شجرة بان.
١٥. **بَخْراء**: جدة - منتنة رائحة الفم - لطيفة - نظيفة اللسان.
١٦. **وَقاح**: ذات وقاحة - رصينة - كبيرة العينين - سافرة.
١٧. **كَرْواء**: طبّاخة - كريمة الاصل - ناعسة - ضخمة الذراعين.
١٨. **رَفْلاء**: متكبرة - غافلة - خرقاء - كثيرة طَرْف العينين.
١٩. **وَرْكاء**: عظيمة الورك - عرجاء - حبلى - لا اخوة لها.
٢٠. **طَفْلة**: جريئة - صغيرة - مزعجة - رخصة ناعمة.
٢١. **رعناء**: ثكلى - دائمة التشكي - حمقاء هوجاء - راعية.
٢٢. **ممصوصة**: لئيمة - مهزولة - فقيرة - بلا أسنان.
٢٣. **بَهْنانة**: كَذُوب - طيّبة الرائحة - جاهلة - كثيرة الكلام.
٢٤. **غانية**: عزباء - جميلة الصوت - متوردة - غنية بحسنها عن الزينة.
٢٥. **حَواريَّة**: حَضَرية - سوداء - عجمية - دميمة.

الأجوبة الصحيحة

١. **الآنسة**: الطيبة النفس. أيضاً: الفتاة غير المتزوجة.
٢. **بَضّة**: رقيقة الجلد ناعمته في سِمَن. بضّت العين: دمعت.
٣. **الرَزان**: الوقور. مذكرها رزين، ولا يقال رزينة.
٤. **العنقاء**: الطويلة العنق. عنقاء مُغْرب: طائر خرافي.
٥. **الضاويَّة**: النحيفة الدقيقة الهزيلة. الضاوي: الطارق والآتي ليلا.
٦. **الشَهْلة**: العجوز. الشهلاء: من خالطت سواد عينيها زرقة.
٧. **الهيفاء**: الضامرة البطن الرقيقة الخصر. مذكرها أهْيَف.
٨. **الصَناع**: الحاذقة في الصنعة والماهرة في عمل اليدين.
٩. **السليطة**: الطويلة اللسان الصخّابة.
١٠. **البلهاء**: الضعيفة العقل العاجزة الرأي. بَلْهَ: اسم فعل بمعنى دَعْ واترك.
١١. **النزور**: القليلة الولد أو القليلة اللبن. الوَلود: الكثيرة الولد.
١٢. **الخَوْد**: المرأة الشابة. جمعها خَوْدات وخُوْد.
١٣. **الناهد**: المرأة التي كعب ثديها وأشرف. أيضاً: الأسد.
١٤. **الغادة**: المرأة اللينة البَيِّنة الغيد أي النعومة.
١٥. **البَخْراء**: المنتنة رائحة الفم.
١٦. **الوَقاح**: (للمذكر والمؤنث) ذو الوقاحة. الموَقَّح: الذي أصابته البلايا.
١٧. **امرأة كَرْواء**: ضخمة الذراعين أو دقيقة الساقين.
١٨. **الرَفلاء**: الخرقاء في اللباس وكل عمل. الرَفِلة: المتبخترة.
١٩. **الوَركاء**: العظيمة الورك. وَرْكى الخبر: أصله.
٢٠. **الطَفْلة**: الرخصة الناعمة. الطِفْلة: البنت الصغيرة.
٢١. **الرعناء**: الحمقاء والهوجاء في كلامها. أيضاً: الطويلة الانف.
٢٢. **امرأة ممصوصة**: مهزولة. يقال "فلان مُصاص قومه" أي أخلصهم نسباً.
٢٣. **البَهْنانة**: المرأة الطيبة النَفس والرائحة واللينة في عملها ومنطقها والضحّاكة الخفيفة الروح.
٢٤. **الغانية**: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة. أيضاً: المتزوجة، والمستغنية.
٢٥. **الحَواريَّة**: الحضرية، سميت كذلك لبياضها. جمعها حواريات.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

وحدة دم خالية من الامراض أنقذت حياة ثلاثة أشخاص

الهبة الغالية

أوصلت سيسيليا فايك (٢٩ عاماً) ولديها الصغيرين الى المدرسة وتابعت قيادة سيارتها الى مركز الاسعاف الكائن في نيوبورت نيوز بولاية فيرجينيا. هناك استقبلت بابتسامة مميزة، إذ أنها المرة الرابعة تتبرع سيسيليا بالدم خلال ١٢ شهراً. لم تكن خائفة من الاصابة بمرض الايدز (١) أو بالتهاب الكبد، وكانت تقول لزوجها بيل: "كيف يمكن أن يلتقط المرء العدوى من طريق حقنة تستعمل مرة واحدة ثم ترمى؟" لذلك كانت سيسيليا مرتاحة عندما أدخل التقني الحقنة في شريانها.

انساب دمها بسهولة عبر أنبوب بلاستيكي يؤدي الى كيس وضع بجانبها، كان هذا الانبوب الذي يبلغ طوله متراً ونصف متر يمر عبر ميزان نقال يزن الدم المتجمع. وعندما امتلأ الكيس والانبوب معاً أوقفت أداة كالمخل جريان الدم. سحب التقني الحقنة بلطف من ذراع سيسيليا وأدخلها ثلاثة أنابيب مخبرية متصلة بكيس الدم المتجمع. فعبئت الانابيب بثلاث عينات ليتم فحصها في المختبر.

كل ١٢ ثانية يعطى شخص ما دماً في مكان ما. لكن سيسيليا كانت تتساءل عن مكان ذهاب هذه الكميات من الدم. لم يحتج أحد من أفراد عائلتها الى دم يوماً من الايام. وكانت تقول: "الجميع بصحة جيدة. ليست هناك مأساة طبية في حياتنا."

لكن سيسيليا فايك كانت على خطأ. فهي غادرت المركز بعد ٤٥ دقيقة من حضورها اليه صباح ٨ ديسمبر (كانون الاول) من العام ١٩٨٦. لكن دمها الذي رُقم "الوحدة هـ - ٢٩٢٧٧" كان على وشك ولوج سلسلة من المآسي الطبية.

عندما خرجت سيسيليا من الباب حُمل ما تبرعت به الى اثنين من التقنيين كانا ينتظران. أدخل الانبوب المثبت الذي كان لا يزال موصولا بالكيس آلة كبسته وختمته في مواضع يبعد الواحد منها عن الآخر ثمانية سنتيمترات. وبقي هذا

(١) هو داء فقدان المناعة المكتسبة.

"الحبل" المؤلف من قطع تشبه النقانق متصلا بوعاء التبرع، مما يتيح للمستشفى الذي يتلقاه التحقق من فئة الدم وهي «O» ايجابي.

في الحادية عشرة والنصف قبل الظهر حمل سائق متطوع دم سيسيليا، اضافة الى دماء ١١ متبرعاً آخرين، في صندوق داخل شاحنة مقفلة ونقلها الى مركز خدمات الدم التابع للصليب الاحمر الامريكي في نورفوك، فيرجينيا. كانت تلك بداية رحلة الوحدة هـ - ٢٩٢٧٧.

أخضعت عينات الانابيب الثلاث لفحوص مخبرية كاملة في المركز للتحقق من صلاح نقلها الى شخص آخر. وطوال فترة بعد الظهر أجريت للعينات عمليات طويلة من خفق وفصل وفرج بمواد كيميائية مختلفة. ترفض عادة سبع وحدات من كل مئة لاظهارها دلائل تشير الى وجود مرض معدٍ، أو لعدم ملاءمتها قواعد النقل السليمة. لكن دم سيسيليا خرج من هذه الاختبارات بنتائج ممتازة.

فككت الوحدة "هـ - ٢٩٢٧٧" السليمة ثلاثة أجزاء حيوية عبر العمليات الآتية: "أولا، خفق لطيف في ممخضة لمدة خمس دقائق ترك طبقة من الكريات الحمراء في قعر الكيس. وبعد نقل البلازما السائلة العائمة فوق الكريات الحمراء الى كيس آخر أضيفت مادة حافظة الى الكريات الحمراء، بعد ذلك خفقت البلازما الصفراء ثانية بسرعة أكبر لمدة ست دقائق، وأخيراً، "عصرت" في مكبس وأسفرت عن صفائح(٢) هي الجزيئات الاصغر والاكثر قابلية للتلف في دم سيسيليا.

وفي الصباح التالي وضعت العناصر الحيوية الثلاثة في دم سيسيليا فايك على رف مخزونة داخل أكياس بلاستيكية متينة. لقد باتت جاهزة للاستعمال بعدما صنفت وأعطيت رموزاً.

شفاء محروق

نظر المدير المساعد في مركز الاصابات الطارئة بمستشفى سنتارا نورفوك العمومي الى سجل لويس ستيفنسون وهز رأسه. لقد أصيب هذا الشاب الذي يبلغ الثالثة والعشرين من العمر بحروق استنشاقية وأخرى من الدرجتين الثانية والثالثة في ٧٥ في المئة من جسده بعدما انفجر أنبوب بخار داخل المصنع الذي يعمل فيه. ونظراً الى امتداد اصابته، قدر الطبيب حظه في النجاة بواحد في المئة.

وللحد من تدهور حاله كان ستيفنسون في حاجة الى سوائل: محلول الملح لتعزيز افراز البول، وبروتيينات سائلة لتعويض الوزن. والى هذا كله كان جسده في حاجة الى منتجات الدم وبكميات كبيرة جداً. فأرسل "بنك الدم" التابع للمستشفى يطلب امدادات طارئة من وحدات البلازما المجلدة من مركز خدمات الدم في نورفوك. فكانت وحدة سيسيليا فايك هي الاولى يتلقاها ستيفنسون.

دخلت البلازما من الوحدة "هـ ٢٩٢٧٧" جسد ستيفنسون الذي كان شبه جرح مفتوح. وبدأت تحارب الصدمة والالتهابات القوية والخسارة الكبرى للانسجة السليمة والسوائل الحيوية. لقد

(٢) صفائح أو لويحات (platelets).

أحرقت الحرارة اللافحة الغلاف الواقي المتمثل في جلد ستيفنسون ودمرت شبكة الشعيرات الدموية التي تنقل الدم الى الاعضاء الحيوية. وباتت تلك الشعيرات تسرّب الدم. فأخذ الجسد يقاوم بتعجيل الدورة الدموية، وهذه وسيلة تهدد الحياة التي تعمل هذه الدورة على خلاصها.

كان جسد الشاب خسر أكثر من ٩٠ في المئة من مائه. فبدأت البلازما المستخرجة من دم سيسيليا العمل على الفور لتعويض الكمية المهدرة. وأثناء مرورها في الشرايين والاوردة التي يزيد طولها، مجموعة، على ١٠٠٠ كيلومتر، كانت البلازما تحمل معها جنداً من المواد الشافية، منها المغذيات والهورمونات والفيتامينات لاعادة احياء الجسم وخلايا الدم البيضاء والبروتيين لمحاربة الالتهابات.

ومع أن لويس ستيفنسون كان غير مدرك للاعجوبة المتحققة داخل جسده فقد كان على وشك التغلب على احتمال الواحد في المئة حياة بفضل سيسيليا فايك.

نفحة حياة

أدخلت كونستانس كورتس (٩٢ عاماً) مستشفى سنتارا نورفوك العمومي لتحديد سبب اصابتها المتكررة بأعراض السكتة الدماغية وبنوب الاغماء التي تتعرض لها. وأظهرت الفحوص المخبرية اصابتها بفقر دم يهدد حياتها وسببه نزف داخلي. ولكن أين؟ وممَّ؟

وجدت آثار دم في براز كونستانس. فطُلب اجراء فحص للمعدة والامعاء بواسطة أنبوب مرن مجهز بمنظار. وكان من المحتمل أيضاً اخضاعها لجراحة. لكن قلبها كان مزوداً جهازاً ضابطاً للنبض(٣) لا يمكن الاعتماد عليه أثناء الجراحة في تزويد الجسم الدم اللازم. فكان على الاطباء الاهتمام بدورتها الدموية ما أمكن. ولتغذية الدم الذي يصل الى القلب أمر الاطباء بتزويدها كمية كبيرة من الخلايا الحمراء الآتية من دمِ سيسيليا ودماء سبعة أشخاص آخرين.

عندما دخلت خلايا سيسيليا الحمراء مجرى الدم انضمت الى ملايين الخلايا المحتواة في كل سنتيمتر مكعب واندفعت الى الرئتين لتزودها الاوكسيجين. هذه الخلايا الصغيرة جداً تحتوي على الهيموغلوبين الذي يتماسك مع الاوكسيجين وينقله الى خلايا الجسم. فعمدت جزيئات الهيموغلوبين داخل جسد كورتس الى طرح الاوكسيجين الواهب الحياة والتقاط نفاية ثاني أوكسيد الكربون لنقله الى الرئتين حيث يزفر خارجاً.

بالنسبة الى كونستانس كورتس كانت هبة سيسيليا فايك تعني نفحة الحياة.

فتح الجراح صدر هوراس كرلينغ العريض بينما راح مساعده يقطع جزءاً من وريد سطحي في ساقه اليمنى. سيستخدم هذا المقطَع لتطعيم الشريان التاجي في عملية لتحويل مجرى الدم(٤) هي الثانية من نوعها يخضع لها المريض. عُزل قلب كرلينغ الكسول وحول دمه الجاري الى جهاز يضخه الى الجسم.

---

(٣) Pacemaker
(٤) Coronary bypass

يالهَا مِن نكهةٍ غَنِيّةٍ ولذيذة !
Carnation®
Coffee-mate®
كريمة مُبيّضة للقهوة
كوفي-ميت يجعَل طعم قهوتك سَلِساً لذيذاً
ويُغنيك عن المواد الدَسِمة
كارنيشن
كوفي-مِيت
يُضيفي إلى قهوتكِ نكهة غنِيّة
مِن إنتاج Carnation كارنيشن
Carnation
Coffee-mate
NON DAIRY CREAMER
For better coffee flavor

استغرقت العملية ٤٥ دقيقة عمل الجراح خلالها بابرة معقوفة صغيرة لا يتعدى حجمها قرامة ظفر الابهام. بعد ذلك حُلت الملازم الطبية سامحة للدم بالجريان تدريجاً من خلال الممر الجديد. وأعاد تيار كهربائي النبض الى القلب.

وبينما كانت الحياة تسري في قلب هوراس كرلينغ، بدأت تمزقات صغيرة فيه تنز. وهي ظاهرة عادية بالنسبة الى جراحة التحويل التاجي، وفي تسع حالات من أصل عشر يتوقف النزف تلقائياً. لكنه هذه المرة لم يتوقف.

أمر الجراح بحقن هوراس عشر وحدات من الصفائح الدموية. فأرسلت على الفور وحدات من بنك الدم في الطبقة السفلى من المستشفى، وكانت احداها لسيسيليا فايك. وبينما عاود القلب المتعافي الضخ اندفعت صفائح "هـ ٢٩٢٧٧" داخل عضلته تحملها موجة من البلازما، فأطلقت مادة كيميائية في مواقع التمزقات الصغيرة، فأثارت هذه انتاج بروتيين يدعى "فايبرين". وبدأ النز يتخثر على الفور فزال الخطر عن هوراس كرلينغ.

▫ عاد لويس ستيفنسون الى المستشفى بعد مرور تسعة أشهر على خروجه منه، لكنه أتى هذه المرة للتخفيف عن مريض حديث الحروق. وكان جذع ستيفنسون ملفوفاً بكساء ضاغط مطاط يساعد على تشكيل البشرة الملتئمة تحته. وعلى رغم أن جراحات أخرى كانت في انتظاره، فان جلده المحروق كان تجدد بنسبة الثلثين، وما تبقى من البشرة أبدل بجلد مستأصل من مناطق في الجسم لم تمس في الحادث. وباستثناء قشرة جرح في أنفه وبقعة غير مندملة في أحد خدّيه، خلا وجهه من أي شائبة. وكان مجمل ما تلقى من مشتقات الدم ١٧٧ وحدة.

▫ في شهر فبراير (شباط) من العام ١٩٨٧ استأصل جراح ورماً سرطانياً في حجم قبضة يده من أسفل الامعاء الغليظة (القولون) لكونستانس كورتس بعدما تم تحديده بواسطة الجهاز المزود منظاراً. وبعد تنشيطها بالكريات الحمراء المستخرجة من دم سيسيليا وسواها خرجت كونستانس من الجراحة متعافية وعادت الى بيتها.

▫ تقاعد هوراس كرلينغ من عمله. وهو يتعاطى اليوم أعمالا موقتة بغية التسلية ويشعر بالامتنان للفرصة التي سنحت له ويقول: "تبرعت بنحو ثمانية ليترات من الدم في شبابي. وأشكر الله اذ توافر لي دم آخرين عندما احتجت اليه."

لويس ستيفنسون وكونستانس كورتيس وهوراس كرلينغ لم يلتقوا سيسيليا ولا أياً من الواهبين الآخرين. وقد لا يلتقونهم أبداً. لكنهم يعلمون جميعاً أنهم مدينون بحياتهم لكرم متبرع غريب.

جاك فينشر ■

نحن نحب أولئك الناس الذين يعطون بتواضع أو يقبلون من دون تكلُّف.

فرييا ستارك، كاتبة بريطانية

أرضُ الأساطير

في مكان ما وراء الافق تقع أراضٍ أسطورية. لا يمكننا أن ننكر وجودها على رغم أن حدودها هي حدود رؤانا الداخلية، وهذه هي الحال مع دروم بروفنسال (★) في فرنسا، نقطة الالتقاء بين دوفينيه وبروفانس، بين الشمال والجنوب، صنعها التاريخ وصنعتها الاسطورة. تبدو كأنها تتردد في مكان ما بين الماضي

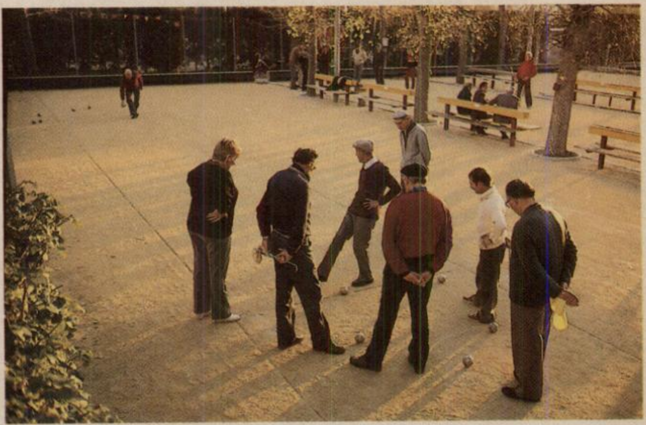

(أقصى اليسار) قرية بويه – لافال القديمة المهيمنة على وادي جبرون ملتصقة في جنب جبل "بويه". هنا في القرن الثاني عشر أنشأت كتيبة فرسان كبرى المقاطعات العسكرية في بروفانس.

(في الوسط) ورق الزيتون يلمع تحت نور بروفانس.

(فوق) في نيون، كما في كل قرية أخرى في دروم بروفنسال، تعتبر لعبة الكرات الحديد التسلية المفضلة.

والمستقبل. كأنها مكان في الحاضر يمد جسراً بين شاطئين.

انها جغرافية الخيال. ان دروم بروفنسال بلد بلا حدود واضحة، لكن له حدوده الداخلية الذاتية. هذه الارض المستديرة كرحم خصب تبدو كأنها تلد بروفانس.

أرض "ديوليفي" و"تريكستان" و"نيونسيه" و"باروني" رباعية الاضلاع بسبب طبيعة أنهارها. وكل من هذه

(★) Drome Provençal

Condensed from «The Legendary Land of Drome Provençal,» © 1986 by Jean-Michel Mathonière, Published by François Isler & Le Centre International de Santé de Dieulefit, France
Photos: © 1986 by François Isler & Le Centre International de Santé de Dieulefit et Saint Paul-Trois-Châteaux / J.M. Mathonière

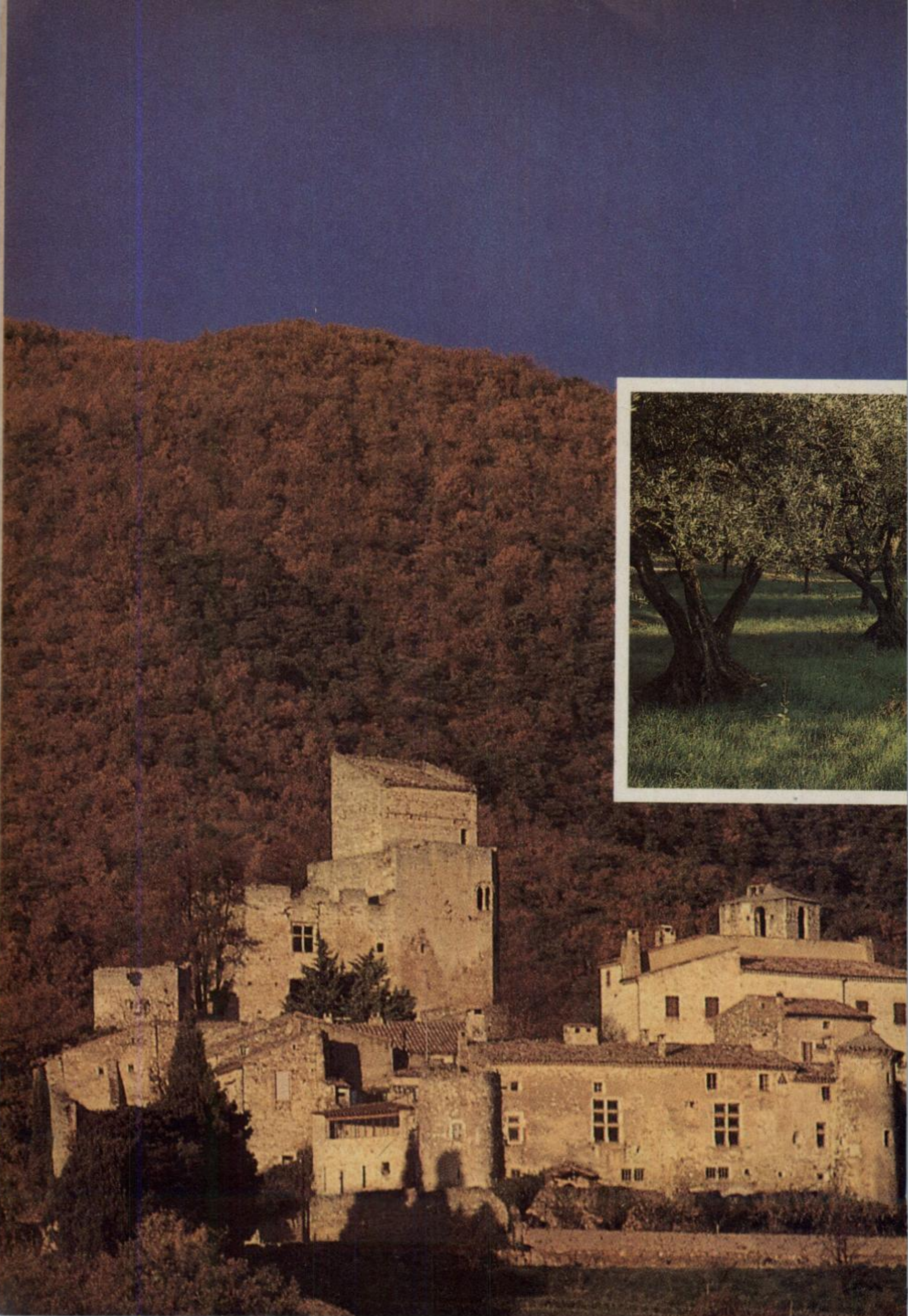

عصر يوم هادىء في ديسمبر (كانون الاول)
على جسر من القرون الوسطى في نيون.
متنه الممتد ٤٣ متراً
يتقوس فوق نهر ايغ.

(الصورة الدخيلة) سوق ديوليفي التي
أنشئت في القرون الوسطى احتفظت بحي
فيال القديم بشوارعه الضيقة
المرصوفة بالحصى.

الاجزاء يشبه احدى المجموعات الاربع في ورق اللعب (الشدة أو الكوتشينة)، فيشكل مملكة هي جزء من كل. هناك التكامل والتنافر، الوحدة والاختلاف، وظلال من القوى الحية. ان تلك الارض هي أرض التقاليد حيث تركت القرون أثرها في معابد وقلاع وقرى، كمجموعة حراس تخفر حقول الخزامى وأشجار الزيتون.

يوماً بعد يوم جمع فرنسوا ايسلر صوراً هي لحظات في حياة الناس يتلاعب فيها الضوء والظل. ان جمال صوره الفوتوغرافية ذاتي التعبير، وكل منها يحمل رسالة خاصة. ومن هذا الايحاء تنبثق دروم بروفنسال كما هي اليوم، حية نابضة.

ج.م. ماتونيير ■

ى اليسار) في نيون التي تسمى "نيس الصغيرة" بسبب مناخها وشمسها شرقة، لا تزال هناك بقايا استحكامات ديمة وقلعة اقطاعية من القرن الحادي عشر وأبراج قديمة وممرات ضيقة محفورة في الصخر.

وق) من بين ٨٠ مشغلا للاواني الخزفية كانت تستعمل طين وادي جبرون في سط القرن التاسع عشر، لا يزال مشغل راند - شومينيه" في بويه - لافال ينتج خزف ديوليفي.

سَاعاتُ الجَسَدُ تنظمُ حَياتنا

أنت في التاسعة صباحاً شخص مختلف كثيراً عما ستكون في الثالثة بعد الظهر. هنا دليل يفيدك متى يكون أداؤك أفضل وشعورك أحسن وتفكيرك أعمق

كل شيء يتهاوى. مي أم شابة تعمل في مكتبة عامة. بدأت تأكل أكثر وتشعر غالباً بالنعاس. ومزاجها عَكِر أيضاً، خصوصاً عندما تستيقظ صباحاً، فهي تبذل كل طاقتها لتنتشل نفسها من الفراش. وظلت هذه الاعراض مثابرة حتى ابريل (نيسان) عندما بدا أن دفء الطقس وطول النهارات راقا مزاجها وخففا شهوتها الجامحة الى الطعام والنوم.

يوسف مهندس في الثامنة والاربعين من عمره يعمل لدى شركة للادمغة الالكترونية. يشعر بارهاقٍ عصبي في الصباح الباكر. ولكن مع تقدِّم النهار يغدو صدوقاً وخدوماً أكثر.

كل الكائنات الحية، من الرخويّات الى الرجال والنساء، تنطوي على دورات

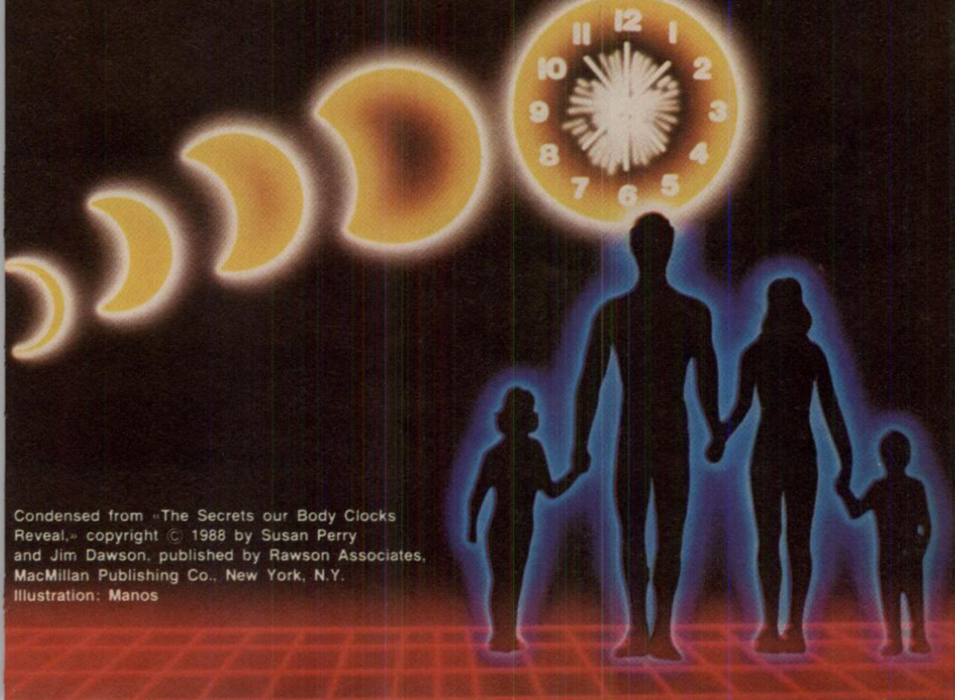

Condensed from «The Secrets our Body Clocks Reveal,» copyright © 1988 by Susan Perry and Jim Dawson, published by Rawson Associates, MacMillan Publishing Co., New York, N.Y.
Illustration: Manos

بيولوجية. بعض هذه الدورات قصير يمكن ان يُقاس بالدقائق أو الساعات. وبعضها يدوم أياماً أو أشهراً. فذروة حرارة الجسم، التي تحدث عند معظم الناس في الصباح، هي جزء من دورة يومية. والطمث الانثوي جزء من دورة شهرية. وازدياد الفاعلية الجنسية في الخريف - وليس في الربيع كما يريدنا الشعراء أن نصدّق - هو نمط من دورة فصلية أو سنوية.

إنها لفكرة مستجدة تلك التي تقول إن أجسادنا هي في مدّ ثابت، وهي تخالف التنشئة الطبية التقليدية. في الماضي تلقّى أطباء كثيرون تعليماً ينصّ أن للجسم بيئة داخلية متزنة ومستقرة. وكانت التقلبات الملحوظة فيها تعتبر عارضة ولا تحمل ما يؤهلها لتُدرس.

بيد أنه في الاربعينات اعترض بعض العلماء على فكرة الاستقرار المتزن في الجسم. فلاحظ فرانتس هالبرغ، العالِم الاوروبي الشاب العامِل في الولايات المتحدة الامريكية، أن عدد خلايا الدم البيض في فئران المختبرات كان يرتفع أو ينخفض على نحو ملحوظ تبعاً لاوقات اليوم. وتعمَّم مثل هذا البحث تدريجاً ليشمل دراسة دورات أخرى في أشكال حياة أخرى، وكانت الاكتشافات مثيرة أحياناً. فعلى سبيل المثال، الوقت الذي يتلقى خلاله المرء أشعة سينية (إكس) أو علاجاً بالعقاقير للسرطان يمكن أن يؤثّر في منافع العلاج وأن يعني الفرق بين الحياة والموت.

ذروة التيقظ. يُدعى هذا العلم الجديد "البيولوجيا التوقيتية" (١) والبيِّنة التي يعتمدها تزداد إقناعاً. ومع مرور الوقت بدأت الاوساط العلمية والطبية تعيد النظر في أفكارها حول طريقة عمل الجسم البشري، وشيئاً فشيئاً أخذت الجامعات الكبرى والمراكز الطبية في أنحاء العالم تدرِّس ما كان يُعتبر قبل سنوات قليلة علماً قليل الاهمية.

اليوم يعلمنا باحثو البيولوجيا التوقيتية، استناداً الى نتائج أبحاثهم، أموراً قد تغيِّر حياتنا بمساعدتنا على تنظيم أنفسنا بحيث نستطيع العمل بموجب دوراتنا الطبيعية لا ضدها. ومن شأن ذلك أن يجمِّل نظرتنا الى الحياة مثلما يعزِّز أداءنا في العمل واللهو.

ولأن الدورات اليومية أسهل سبراً وقياساً، فهي معروفة أكثر من ضروب الدورات الاخرى. وأشهرها وضوحاً دورة النوم فالاستيقاظ. لكن هناك دورات يومية مثل الحرارة وضغط الدم ومستويات الهورمون. فبين هذه والدورات المتغيِّرة الاخرى في الجسد قد تكون أنت في التاسعة صباحاً انساناً مختلفاً عما ستكون في الثالثة بعد الظهر. كيف تشعر؟ ما مقدار حسن أدائك لعملك؟ ما مستوى تيقّظك؟ ما حدة حاسَّتَيْ الذوق والشم لديك؟ الى أي درجة تستمرئ الطعام أو تستسيغ الموسيقى؟ كل هذه تتبدَّل خلال اليوم.

يتراءى لمعظمنا أنه يبلغ ذروة تيقُّظه قرابة الظهر، ثم سرعان ما يهبط نشاطه الى أن يراوده النعاس عصراً.

تكون ذاكرتك القصيرة الاجل فضلى خلال الصباح، وفي الواقع تزداد فاعليتها

(١) Chronobiology

بنسبة ١٥ في المئة قياساً على أي وقت آخر من اليوم. لذلك، أيها الطلاب، أعيروني انتباهكم: عندما تُواجَهون بامتحان صباحي، يفيدكم حقاً أن تراجعوا مذكّراتكم قبيل الامتحان مباشرة.

أما الذاكرة الطويلة الاجل فمختلفة. فبعد الظهر هو أفضل وقت لتعلّم المواد التي تريد استرجاعها بعد أيام أو أسابيع أو أشهر. والسياسيون ورجال الاعمال وسواهم ممن ينبغي لهم حفظ خطبهم يتصرفون بحذق إن هم استظهروها في ذلك الوقت من النهار. واذا كنتَ طالباً جامعياً فمن الحكمة أن تدرج المقررات الاكثر صعوبة في جدول بعد الظهر وليس في الصباح. وعليك أيضاً أن تحاول انجاز معظم درسك في فترة بعد الظهر، بدلا من ان تؤخره الى المساء. فكثير من الطلاب يعتقدون أنهم يستظهرون على نحو أفضل في آخر الليل لان تذكّرهم القصير الاجل يكون خلال الساعات المبكّرة جداً من الصباح أفضل من تذكرهم بعد الظهر. لكن الذاكرة القصيرة الاجل لن تساعدهم كثيراً بعد عدة أيام عندما يواجهون الامتحان.

على نقيض ذلك، ننزع الى أداء أفضل في المهمّات الادراكية - كتلك التي تتطلّب التلاعب الفكري بالكلمات والصور - خلال ساعات الصباح. وقد يكون هذا هو الوقت الافضل لموازنة دفتر الشيكات.

حمائم وخفافيش. في ساعات بعد الظهر تبلغ ذروة مهارتك اليدوية، أي السرعة والتنسيق اللذين يميزان انجاز مُهمّات معقّدة بيديك. فأعمال مثل النجارة او الطباعة على الآلة الكاتبة أو الخياطة تكون اسهل قليلا في ذلك الوقت من النهار.

ماذا في شأن الالعاب الرياضية؟

خلال بعد الظهر والصباح الباكر يكون تناسقك في ذروته وتكون قادراً على ردود فعل سريعة على محرّض خارجي، مثل كرة مقذوفة في اتجاهك. كذلك بيّنت الدراسات أنه في ساعة متقدمة من النهار، عندما تبلغ حرارة جسدك أوجها، ستلاحظ أن التمرين الرياضي يكون أسهل وأقل إتعاباً، أكان حقيقة كذلك أم لا. هذا يعني أنك قد تتمرن أكثر اذا تدربت في ساعة متقدمة من بعد الظهر أو في المساء الباكر، وبالتالي تفيد أكثر من تدريبك. والدراسات التي شملت السبّاحين والعدّائين ورماة كرة الحديد والمجذفين أظهرت بثبات أن الاداء في الصباح أفضل منه في المساء.

والواقع أن كل أحاسيسك - الذوق والبصر والسمع واللمس والشم - قد تكون على أشدّها خلال بعد الظهر المتقدم والمساء المبكّر. ولربما فسَّر ذلك لماذا نستسيغ الوجبة الرئيسة في اليوم - غداء كانت أم عشاء - أكثر مما نستسيغ فطور الصباح، ولماذا تزعجنا الاضواء الساطعة في الليل.

حتى ادراكنا للوقت يختلف من ساعة الى ساعة. فالوقت لا يبدو متسارعاً عندما تكون في ساعات لهوك فقط، بل يبدو أكثر تسارعاً اذا كنت تلهو في ساعة متقدمة بعد الظهر أو مبكرة مساء، عندما تكون حرارة جسدك في أعلى درجاتها.

وفيما نتبع جميعاً النمط العام ذاته

في صعودنا وهبوطنا، يتغيّر التوقيت الصحيح من شخص الى شخص. فكل الامور تتعلق بطريقة تنظيم يومك "البيولوجي" وبمدى انتمائك الى فئة الحمائم النهارية أو الخفافيش الليلية. فبمقدار ما يبدأ يومك البيولوجي باكراً، يرجح بلوغك – أو تجاوزك – المبكّر ذروة نشاطك ومنتهى أدائك مهمات شتى. فالشخص "الصباحي" قد تكون له دورات يومية تفرق بضع ساعات عن دورات شخص "مسائي."

في وسع كل منا أن يزيد معرفته بدوراته الفردية. تعلَّمْ كيف تصغي الى نبضات قلبك الحميمة. دعْها تحدِّد سرعة يومك، فتحيا حياة أكثر صحة وأكثر سعادة. ألم تقرأ هذه الحكمة الخالدة: لكل أمر أوان ولكل غرض على الارض وقت؟

سوزان بيري وجيم داوسون ■

تعقيدات الدماغ الالكتروني

بينما كنت اشتري من الصيدلية عقاقيرَ وُصفت لي، لاحظت اني دفعت ثلاثة دولارات زيادة على المبالغ المدونة على علب العقاقير. فقال لي الصيدلي إنه سيبقي المبلغ الزائد في ذاكرة الآلة الحاسبة ويحسمه في الشراء المقبل.

وبعد اسابيع عدت الى الصيدلية فنسي الموظف حسم المبلغ من قيمة مشترياتي فاشرت عليه ان يراجع الكومبيوتر فتوجه رأسا اليه. كانت المعلومة هناك، لا غبار عليها: فقد أُلصقت بمرقاب الكومبيوتر قطعة ورق مسوَّدة كتب فوقها: "نحن مدينون للسيد ت.هـ. بثلاثة دولارات."

ت.هـ.

بريد العجوز

فيما كان زوجي يوزِّع البريد لاحظ أن عدداً كبيراً من صناديق البريد الموضوعة امام المنازل واقع أرضاً أو مصاب بأضرار، كنتيجة بيِّنة لرعونة السائقين أو لاعمال تخريب متعمد. ثم بلغ صندوقاً قديماً في حال مثالية. ولم يستطع اكتشاف السبب حتى أسقط فيه الرسائل ومضى بسيارته، إذ لاحظ من خلال مرآته الخلفية امرأة كهلة تتجه الى الصندوق وتسحبه من مكانه وترفعه الى كتفها ثم تسير بهمة صعوداً في الطريق المؤدية الى بيتها.

ج.ل.

الآداب هي وعي حسّاس لمشاعر الآخرين. فاذا ملكت هذا الوعي فأنت امرؤ ذو أدب، أياً تكن الشوكة التي تأكل بها.

اميلي بوست، خبيرة بآداب السلوك

مُهندسَة شغلتْ أورُوبَّا

Lizzie Himmel

تعمل أولنتي على تجديد قصر مونتهوش الوطني في برشلونة.

في أقل من عشر سنين
ترك أسلوبها الفريد وتجديداتها الفذة
أثراً باقياً في تصميم المتاحف

Condensed from The New York Times Magazine (November 22, '87),
© 1987 by The New York Times Co., New York, N.Y.

كانت غاي أولنتي آخر من وصل الى الاحتفال، في منتصف ليلة منعشة من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٧ في مدينة ميلانو الايطالية. وقد توافد الضيوف في ملابس حرير عصرية وبذلات أنيقة الى منزل مضيفهم المصمم ماريو بيليني، وهو قصر كبير يعود الى القرن التاسع عشر.

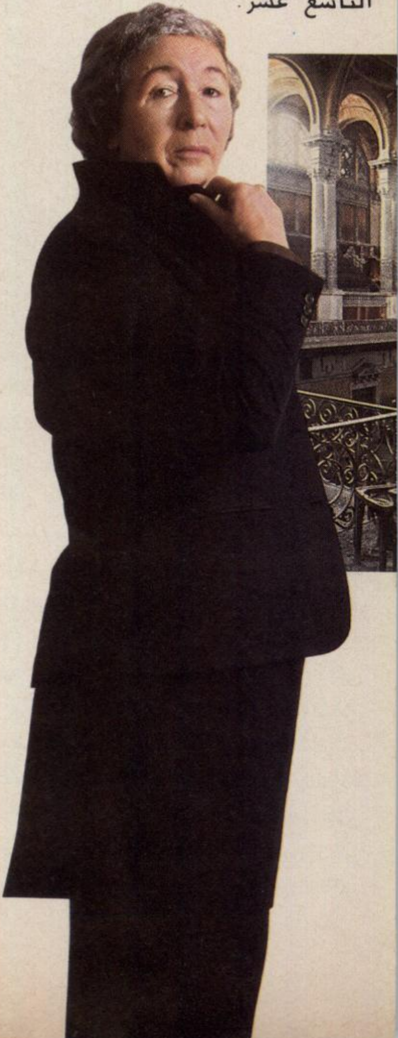

بالنسبة الى الذين لا يعرفون أولنتي - وهذه فرضية مستحيلة في مجموعة من المهندسين والمصممين المجتمعين عشية معرض ميلانو الدولي للمفروشات - كان يمكن دخولها الهادىء أن يبدو غريباً. كانت ترتدي تنورة قاتمة ذات مربعات غير عصرية وسترة فضفاضة زرقاء وخفين مسطحين. ولفتت النظر فور دخولها. وفي الحقيقة، يبدو أنه أينما حلت مهندسة ايطاليا التي يكثر الحديث عنها، فانها تحدث عاصفة من الجدل.

همس أحد الضيوف: "ان أسلوب غاي هو أن تأتي متأخرة. فهي دائمة الانشغال." واصطفّ ضيوف آخرون ليسلموا عليها ويهنئوها على تجديدها قصر بيليني ويقدموا اليها المديح على تحويلها "غار دورسي"(١)، وهي محطة قديمة للقطار في باريس "متحف دورسي." ففي صباح اليوم التالي كانت أولنتي ستطير الى باريس حيث سيقلدها الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران "وسام الشرف" من رتبة فارس تقديراً لمساهمتها في احياء التراث الفرنسي. كانت واحدة من المهندسات القليلات اللواتي لقين هذا التكريم.

قالت بعد بضعة أيام وهي تتحدث عن مشروع "غار دورسي" الذي بدأته عام ١٩٨٠: "ان النظر الى ما تحقق خلال السبع السنوات الاخيرة يبدو مدهشاً." ثم أضافت: "ان الاشهر الستة الاخيرة كانت الاكثر إرضاء والاكثر ايلاماً."

ان تصنيفها في "العصبة العالمية للمهندسين" قد يقبل الجدل، أما

---

(١) Gare d'Orsay

Serge Hambourg

"غار دورسي"
بعدما حولته أولنتي
"متحف دورسي."

شهرتها فثابتة. ولكل فرد رأيه في أولنتي البالغة الحادية والستين من العمر. كثير من الرجال الفرنسيين يتحولون نقاداً لاذعين عند ذكر اسمها، مدعين أنها جلبت السخرية الى مَعْلم "غار دورسي" الذي يعود الى القرن التاسع عشر والذي صممه فيكتور لالو. لكن كثيراً من الايطاليين يدافعون عنها بحماسة وغيرة لانها مواطنتهم. أما الاسبان فبعدما شاهدوا انجازها الاخير في برشلونة يمكن اعتبارهم من محترميها... ولكن بحذر.

موهبة فذة. يدعي النقاد أن عمل أولنتي هو أساساً الترميم الداخلي. وفعلا، باستثناء المساكن الخاصة لم تصمم أولنتي أي مبنى جديد على الاطلاق. ولكن في أقل من عشر سنين تركت أثراً مميزاً في تصميم المتاحف الاوروبية لم يسبقها اليه أحد، وهو قصة نجاح شخصية تزامنت ومشاريع لاحياء المتاحف في العالم أجمع.

ومع ازدياد اهتمام الناس بالفن على نحو مثير تغير مفهوم الدور التقليدي للمتحف كمؤسسة ثقافية خاملة. فشهدت متاحف كثيرة ترميمات رئيسية واعادة بناء. فيعمل ريتشارد ماير، مثلا، على تشييد بناء جديد لمتحف "غيتي" في لوس انجلس. ويرمم إ. م. باي حالياً قسماً من متحف "اللوفر" في باريس.

بينما يعمل روبرت فانتوري على توسيع متحف "ناشونال غاليري" في لندن. وقد كلفت أولنتي تجديد أربعة متاحف منذ العام ١٩٨٠: متحف دورسي، ومجموعة المعارض الدائمة في مركز بومبيدو في باريس، وقصر غراسي في البندقية، ومشروعها الاخير قصر مونتهوش الوطني(٢) في برشلونة.

وفيما الالتزامات والعقود تتلاحق، أسرع نقاد أولنتي الى الاشارة الى أن سجلها لا يشبه سجل ماير أو باي، بل هو ينبع من بيئة ميلانوية محدودة انتقائية وفريدة. لكن أولنتي اجتذبت لفترة طويلة مؤيدين مهمين من بينهم جيوفاني أنييلي رئيس شركة "فيات" الذي كلفها ترميم قصر غراسي الذي تملكه الشركة وتصميم مستجَمّ للتزلج له في سان موريتز بسويسرا. يقول أنييلي: "التقيت غاي قبل ٣٠ سنة. ومنذ ذلك الوقت اتضح لي انها ستكون شخصية مهمة وموهبة فذة."

وعلى رغم أن غاي ينقصها السجل المعماري المصطلح عليه فأنها ليست دخيلة على الساحة العالمية اطلاقاً. يقول رنزو بيانو وهو مهندس معماري ايطالي اشترك في تصميم مركز بومبيدو في السبعينات: "عندما شرعت غاي في أعمال ضخمة مثل أورسي أتتها شهرة واسعة. لكن كفايتها تعود الى سنوات من العمل اليومي في كل الميادين. انها تعرف الفن، وقد طوّرت أسلوباً عملياً."

بالنسبة الى أولنتي لا علاقة لتصنيف التصميم بالموضوع: "من غير الممكن تحديد أسلوب ما في عملي." والموضوع الأكثر أهمية هو انسجام تصميم ما مع العمل الفني الذي سيتكيف واياه. نظرياً، هذا الاتحاد الذي تسميه أولنتي "الشرط المزدوج" لتجديد هندسة المتاحف يجاور بين عناصر الماضي والحاضر.

مهندسة وفنانة. على رغم أن أولنتي قلما تذعن لناقديها فهي ترد الضربة في حينها. تقول في ردود الفعل على موضوع "غار دورسي": "ان الفرنسيين ليسوا متطورين في تفكيرهم الهندسي، اذ انهم عادة يعارضون كل جديد في تصميم المباني. ففي باريس كانت الصحافة قاسية جداً في نقدها لعملي، ولكن كان هناك أكثر من ١٢ ألف شخص يقفون يومياً في الطابور ينتظرون دورهم للدخول."

في العام ١٩٧٨ صدر قرار رسمي يقضي بتحويل "غار دورسي" متحفاً، فكانت منافسة محدودة، أوكل المشروع الى شركة «ACT» الهندسية الباريسية. ثم أجريت مباراة أخرى لاعادة تجديد المبنى من الداخل اشتركت فيها أربع شركات معروفة عالمياً، ففازت أولنتي. يقول ميشال لاكلوث، وهو الآن رئيس متحف اللوفر والعقل المدبر لفكرة المتحف الجديد: "أولنتي تفهم الفن كما تفهم الهندسة المعمارية."

كانت مهمة أولنتي وموظفي المتحف مربكة. انه مشروع بقيمة مليار و٣٦٠ مليون فرنك لترميم محطة قطار وفندق بمساحة ٣٥ ألف متر مربع لاستيعاب

(٢) Palacio Nacional de Montjuich

٢٣٠٠ زيتية ومائية و٢٥٠ لوحة باستيل و١٥٠٠ منحوتة و١١٠٠ قطعة فنية و١٣ ألف صورة فوتوغرافية تعود الى القرن التاسع عشر. يقول لاكلوت: "وضعنا برنامجاً يحدد مكان كل قطعة وتناقشنا في خططنا يومياً لمدة سنتين، وقد تخللت أحاديثنا بعض المناقشات الحامية. وأذكر أن غاي في نهاية أحد الايام الشاقة نظرت الي وقالت: "متعب للمرء أن يضطر دائماً الى أن يكون قوياً."

ثقافة متنوعة. نشأت غاي أولنتي في بلدة بييلا في شمال ايطاليا حيث كان والدها يعمل مستشاراً في ادارة الاعمال. وتتذكر: "كان أهلي يريدونني حقاً أن أكون فتاة مجتمع لطيفة. لكنني كنت متمردة، فالتحقت بمدرسة للفن المعماري." وفي السن الخامسة والعشرين تخرجت أولنتي في مدرسة ميلانو للهندسة المعمارية حيث كانت واحدة من الاناث القلائل في الصف. وفي العام ١٩٥٧ عملت في مجلة "كازابيلا" في ميلانو وهي مجلة طليعية عن الفن المعماري، حيث بقيت في قسم التحرير قرابة عشر سنين.

خلال بحث أولنتي وزملائها المعماريين الميلانويين عن اسلوبهم الجديد وهويتهم الخاصة، توصلوا الى معرفة ثقافية متنوعة. تقول أولنتي: "في ايطاليا تسير النظرية والتطبيق جنباً الى جنب، يطلب منا أن نتعلم كل وجوه التصميم، اضافة الى الفلسفة والتاريخ والفن والموسيقى. نحن نعتبر دائماً أن عملية التلقيح بين فروع المعرفة مهمة جداً."

عندما كانت أولنتي تصمم متحف "دورسي" مثلا قصدت صديقاً قديماً هو المؤلف الموسيقي سلفاتوري شيارينو بغية الافادة من وجهة نظره. تقول: "الموسيقى والفن المعماري يعتمدان المنطق والشكل. والتعرف الى طريقة عمله ساعدتني في تصميمي."

بدوية. بدأت أولنتي عملها في أواسط الستينات عندما كانت ميلانو مركزاً للتصاميم الخلاقة. وكانت واحدة من مصممات الاثاث المختارات في ايطاليا. كما انها أوجدت تصاميم لمسارح دور الاوبرا الكبرى في اوروبا. تقول: "انها تجربة غنية، لان التصميم المسرحي يجبرني على مواجهة تعقيدات معمارية بطريقة مختلفة."

في سنواتها الاولى كمهندسة معمارية كانت الاعمال تأتيها من أصدقائها. أحد أوائل أعمالها كان تصميم مبنى قرميدي من طبقتين يحتوي على اسطبلات وعلى جناح للسكن، يخص ايلينا كوماني التي تعمل حالياً مديرة لمكتب أولنتي. بعد ذلك أشرفت أولنتي على اعادة تصميم حديقة من القرن الثامن عشر في ضاحية قرب فلورنسا يملكه مصمم الازياء اميليو بوتشي.

أما منزل أولنتي الخاص الذي صممته بنفسها فمتعدد السطوح، يحوي جناحاً للسكن ومكتباً ويقع في "بيازا سان ماركو" في ميلانو. يحتوي القسم المخصص للسكن على اريكات مريحة وتحف فنية. وتقود سلّم معدنية الى حجرة للجلوس وحديقة على السطح.

ومع أن أولنتي تزوجت مرتين فانها تعيش الآن وحيدة، وإن تكن ابنتها جيوفانا بوزي وحفيداها يزورونها دائماً.

يعم المكتب جو عائلي. وفريق العمل المؤلف من ١٣ مهندساً معمارياً موزع حالياً: "يعمل ثلثاهم في مكتب ميلانو والباقون في برشلونة. وتقسم أولنتي وقتها بين المدينتين.

الانوثة لا تمنع. تعمل أولنتي في برشلونة على نطاق واسع. فقد بني قصر مونتهوش الوطني النيو - كلاسيكي الضخم ليكون مكاناً احتفالياً للمعرض الدولي عام ١٩٢٩. وفي السنوات اللاحقة كان يحوي متحف كاتالونا للفنون. وعندما ينتهي تصميم أولنتي ستصبح مساحة المعرض ١٨ الف متر مربع تعرض فيها آثار فنية وزخارف من القرن الثاني عشر الى اليوم.

لكن الاسس ضعيفة والمبنى كله في حاجة الى ترميم. تقول جوان سوريدا مديرة متحف كاتالونا: "من الناحية المعمارية، المشاكل القائمة تشبه مشاكل متحف دورسي الباريسي. لذلك وجدنا في غاي الاختيار الطبيعي كمهندسة معمارية. انها تفهم الابنية القديمة."

وفي حين تحاول أولنتي الابقاء على أصالة المظهر الخارجي فان الاقسام الداخلية ستتغير جذرياً. وستقسم مساحة ٥٠٠٠ متر مربع من ساحة مقببة، طبقات ومنصات للعرض يخصص كل منها بعهد مختلف.

بدأت أولنتي وفريقها العمل على هذا التصميم في أواخر العام ١٩٨٥. وهي تسترشد في عملها بخطة وضعها أمناء المتحف وتراجع دائماً الخرائط التي تظهر المكان الصحيح لكل قطعة فنية. وتقول: "نحن ندرس كل عصر على انفراد ونقدر المساحة المطلوبة، ثم نصمم الجزء المحيط بكل قطعة فنية، هذه هي الطريقة الوحيدة التي توحد بين الفن والهندسة المعمارية."

عرفت برشلونة منذ القدم بدعمها للفن المعماري المتطور لكن أولنتي ستكون المهندسة المعمارية الانثى الاولى التي تترك أثراً في المدينة. لم تعتبر أولنتي يوماً أن الانوثة معضلة: "هناك كثير من المهندسات المعماريات الموهوبات، ولكن يظهر أن معظمهن يرتبطن بالرجال. لقد عملت دائماً لنفسي. وكان ذلك تثقيفاً كبيراً لي."

ويقول جيوفاني أنييلي: "كانت أولنتي ستواجه رد الفعل ذاته والحسد ذاته من زملائها لو كانت رجلا. لقد أثارت حولها جدلا لأنها ناجحة جداً، وهذه هي مشكلتها الكبرى حالياً."

كارول فوغل ■

المعلم العظيم لا يجهد نفسه لشرح رؤياه، بل يكتفي بدعوتك ببساطة الى الوقوف بجانبه لكي تنظرها بنفسك.

ر.إ.

المشاهير والنساك

يا له من عصر ترى المشاهير فيه يكشفون كلّ تفاصيل حياتهم

على الطريق التي تؤدي الى ساحل المحيط الهادىء يمرّ قطار عبر جبال ولاية يوتا. وفي سفح أحد هذه الجبال كهف صغير يؤوي ناسكاً.

ولقد لفتني إليه قاطع تذاكر أمضى سنين وهو يجوب تلك الطريق في القطار، إذ قال لي: "لا أعرف اسمه، لكنه تناهى إلى مسامعي أنّه كان يعيش في إحدى المدن ويشغل وظيفة ناجحة. وقبل بضع سنوات تخلّى عن ذلك كلّه. واني رأيته يخرج من كهفه عندما يمرّ القطار في محاذاة الجبل. فيقف هناك ويتفرج من دون أن يومىء إلينا أو يأتي حركة."

واقترح عليّ صديق كنت أسافر في صحبته: "لمَ لا تنزل من القطار في طريق العودة وتستأجر سيارة وتذهب لاجراء مقابلة معه؟ قد تأتينا برواية مدهشة، فالنسّاك الحقيقيّون باتوا نادرين."

تأملت الأمر ملياً ثم أدركت أنها فكرة سيئة، ليس لأنني شككت في أنها ستثمر قصة شائقة، بل لأنني فطنت إلى عواقبها. فلو أجريت المقابلة لرأيت جحافل من الصحافيين والمصورين التلفزيونيين يحذون حذوي ويتسلّقون الهضبة بعناء طالبين معرفة السبب الذي جعل الرجل يفضّل الكهف على البيت الفخم. ومن يدري؟ لربّما انهالت عليه بعد ذلك عروض لنشر كتاب عن سيرته. وقد ينتهي الأمر بصديقنا المسكين إلى الظهور في إحدى المجلات التي تنشر أخبار المشاهير. ومن يقدّر عاقبة ذلك؟ ربما آل به الأمر إلى عالم الفن أو إلى عالم الدعاية والاعلان.

لا، لن أجازف باجراء المقابلة، فليس هناك عدد كاف من الراغبين في تحاشي الظهور أو التكلّم علناً، ولا يجوز أن نزعج تلك الفئة الضئيلة من الناس. فنحن في أمسّ الحاجة إلى عدد أكبر من النساك وعدد أقل من المشاهير. نحتاج إلى مزيد من الذين يقولون: "لا تعليق،" بدلا من أن يقولوا: "عقدت هذا المؤتمر الصحافي لأعلن نهجي في ما يختص..."

لكننا ويا للأسف نعيش في عصر التشهير بالذات، اذ نرى المشاهير يكشفون جميع تفاصيل حياتهم لكلّ من يصغي إليهم. وتشمل نزعة التشهير بالذات "الصرعات" الآتية:

صرعة الحب والاطفال. عندما تحمل إحدى الممثلات، ألا يمكنها أن ترتاح

Condensed from Chicago Tribune (September 30, '85) © 1985 by the Chicago Tribune / Tribune Media Services, Orlando, Fla.

وتلزم بيتها؟ أهي ملزمة أن تستدعي المصوّرين كي يأخذوا لها صوراً وهي حبلى؟

صرعة الاستشفاء من ادمان الكحول أو المخدرات. وهي أكثر الفضائح تداولا. فالممثلة "أ" تعترف بأنها كانت تشرب ليتراً من الجن في اليوم الواحد وستدخل أحد مصحّات كاليفورنيا للتخلّص من الرعشات التي تصيبها. والممثلة "ب" التي لا تريد أن تظهر مظهر المغلوب على أمره تعلن هي أيضاً أنها كانت تشرب ليتراً من الفودكا في اليوم وتبتلع حنجوراً من المسكّنات وستدخل المصحّ نفسه لتعالج زوغان عينيها. وتسمع أيضاً نجم كرة المضرب "ج" يقول إنه يشمّ كليوغراماً من الكوكايين في اليوم الواحد وسيدخل المصح ليفيق من ذهوله.

ربّاه! لمَ لا يلازمون الفراش كلّهم صباح يوم أحد ويرثون لحالهم بصمت كأي شخص آخر؟

صرعة المذكرات. لا بدّ من أن هذه أسوأ الصرعات، خصوصاً عندما يبدأ النجوم الذين تقدموا في السن الكتابة عن كلّ من التقوه لحظات، أو عندما يبدأ أولاد النجوم يشرحون في مذكّراتهم سوء معاملة آبائهم وأمهاتهم لهم. ان قراءة مثل هذه الكتب تجعلك تتمنى لو أدّت حقارة أولئك الآباء والامهات إلى رمي أطفالهم من النافذة.

لا شك في أن السبب الذي يحدو المشاهير على التشهير بأنفسهم هو أن التشهير أصبح يلقى سوقاً رائجة.

فلنأخذ مثلا كتاباً ألّفته زوجة الفيس برسلي السابقة وبيعت منه ملايين النسخ. وتتساءل لمَ التهافت على شرائه. الجميع يعلم اليوم أن برسلي أدمن المخدّرات حتى الموت وأنه عاش حياة غريبة وأطلق العنان لأهوائه وشهواته. لكن الكتاب يلقى رواجاً لان السيدة برسلي تسرد فيه تفاصيل حياتهما الحميمة. وترى أولئك الذين لم يقرأوا كتاباً منذ انهائهم المرحلة الابتدائية يتلهّفون للنظر عبر نافذة برسلي الضيقة.

نعم، يمكنني أن أتفهم حاجة المرء الى اقتسام هذه التفاصيل الحميمة مع شخص آخر، ربما مع صديق على فنجان قهوة. ولكن أيقتسمها مع ألوف الغرباء؟ أتستدير أنت نحو الشخص الجالس إلى جانبك في الحافلة وتسأله: "هل أخبرك بما نفعله أنا وزوجتي؟".

ما نحتاج اليه في عصرنا هو المزيد من النسّاك. وقد يكون هذا الاسراف في التشهير بالذات هو الذي حدا صاحبنا في ولاية يوتا على أن يصبح ناسكاً. فهو أيضاً لم يعد يحتمل الاصغاء الى المزيد.

مايك رويكو ■

العنف في المدارس

يؤكد عالم نفساني أسوجي رائد أن للعنف بين الاطفال نتائج مدمرة تتجاوز سن الطفولة

□ في ضاحية من ضواحي استوكهولم عاصمة أسوج (السويد) خرج بيتر، البالغ من العمر عشر سنين، من مدرسته وقفز الى دراجته. واذ بولدين من عمره يثبان من وراء عليقة ويدفعانه عن دراجته ويرميانه أرضاً. اختطف أحدهما نظارتيه بعنف، ولف الآخر ذراعه خلف ظهره. ولما اقترب معلم فرّا تاركين بيتر متكوماً على الارض وهو ينشج.

□ في دوسلدورف بألمانيا الغربية كان ايمانويل البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً يسير في ملعب المدرسة عندما قبض عليه فجأة ثلاثة طلاب أكبر منه سناً. وفيما ثنى أحدهم ابهامه طلب الآخر مالاً، فأذعن ايمانويل. وذات يوم عندما رفض اعطاءهم المال تناوبوا على رفسه ثم جروه في الملعب وهو يبكي وألقوا به في صندوق نفايات.

ان اعتداءات كهذه تحدث يومياً في أروقة المدارس وملاعبها في أنحاء العالم. وينزع المعلمون والآباء الى التغاضي عنها. فهم يشعرون بأن "الاستئساد" ليس الا طوراً يمر به الاولاد.

أما البروفسور دان اولويوس، العالم النفساني الاسوجي البارز والمحاضر في جامعة برغن في النروج، فيزعم أن الامر ليس كذلك. ودراساته المتطورة عن مستأسدي المدارس في أسوج وضحاياهم، التي بدأها في العام ١٩٧٠ وهي تشمل مقابلات مع مئات من الاساتذة والاهلين وألوف الاولاد، جاءت بمفاجئات عدة. والامر الاكثر اقلاقاً هو أن للاستئساد تأثيرات مدمرة تتجاوز سنوات الدراسة، على المستأسد والضحية معاً. "أن تكون مستأسداً في مدرسة خطوة أولى وقوية للتصرف الاجرامي والمشاكل الكحولية في المستقبل." هذا ما يقوله اولويوس الذي برهن أن أربعين في المئة من أولئك الذين أثبت أنهم مستأسدون قد حُكم عليهم بثلاث جرائم على الاقل وهم في الرابعة والعشرين من العمر. وهذا العدد من الجرائم هو أربعة أضعاف ما يقترفه غيرهم من تلاميذ المدارس.

مرض متفشّ. بدأ ليونارد إرون، من جامعة ايلينوي، دراسة في العام ١٩٦٠ متتبعاً مسار ٨٧٥ تلميذاً من السن الثامنة حتى بلغوا الثلاثين. في السن التاسعة عشرة ترك المدرسة التلاميذ الذين كانوا أكثر تعدياً من سواهم وهم أطفال، وكانت لهم سجلات اجرامية. وفي الثلاثين نزع الذين كانوا اعتدائيين وهم في الثامنة من العمر الى تنشئة اطفال اعتدائيين أيضاً، محدثين حلقات مؤسفة من الفساد.

ان النتيجة دمار الضحايا والمستأسدين بالتساوي. يقول أولويوس: "انهم يعانون البؤس سنوات، وشخصياتهم مجروحة أبداً."

وفي الاحوال القصوى قد تكون للمضايقة نتائج محزنة. في العام ١٩٨٢، عندما انتحر ثلاثة أولاد تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة في شمال النروج، ثبت أن الاستئساد ساعد في موتهم. وفي العام ١٩٨٥، في اليابان، دُفع تسعة طلاب دون الرابعة عشرة من العمر الى الانتحار في سنة واحدة، أحدهم صبي هادىء تحرش به باستمرار سبعة من رفقاء صفه. ضربوه وجعلوه يبتلع حشائش كريهة وحليباً ممزوجاً بمادة مطهرة. وعقدوا حبلا حول عنقه وطافوا به كحيوان أليف. أخيراً شنق نفسه يأساً. وعندما أُوقف معذبوه قالوا انهم لم يقصدوا الا "المداعبة."

الاستئساد مشكلة تمس عشرات ألوف الطلاب في أنحاء العالم. وفي دراسات حديثة شملت أكثر من ١٥٠ ألف طالب أسوجي ونروجي، اكتشف البروفسور

أولويوس أن سبعة أو ثمانية في المئة من تلاميذ المدارس الابتدائية هم مستأسدون وأن عشرة في المئة هم ضحايا. وهذا يعني أن نحو ١٤٠ ألف ولد في أسوج وثمانين ألفاً في النروج هم متأثرون.

وفي العام ١٩٨٣ في الولايات المتحدة الامريكية أظهر مسح أجرته الجمعية الوطنية لرؤساء المدارس الثانوية أن الهم الاعظم للتلاميذ في المدارس كان الاستئساد. وفي العام ١٩٨٥، في اليابان، قدر أن هناك مستأسداً في واحد من كل ثلاثة صفوف في المدارس الابتدائية والثانوية البالغ عددها نحو ٤٢ ألفاً. ويقول كازوكو فوكايا العالم النفساني السريري والاستاذ في جامعة غاكوجي في طوكيو: "هذا يدل على أن المرض متفش بين اولاد اليابان."

عنف مشؤوم. كان أولويوس خبيراً في دراسة العدائية ومديراً لمؤسسة "اريكا"، وهي معهد تدريبي لطب الاطفال النفساني السريري في استوكهولم، عندما قرر في أوائل السبعينات أن يبحث في تأثير الاستئساد على الصغار وعلى ضحاياهم. وصدم بالمعدل المرتفع للاجرام في أسوج الى ثلاثة أضعاف ما كان في السنوات العشرين السابقة، ورأى امكان وجود صلة.

يتذكر أولويوس، وهو والد ابنتين راشدتين: "عندما بدأت في أسوج كان العنف في المدارس موضوع بحث محرّماً. وقد قال المعلمون والمديرون انه لم تكن لديهم مشاكل من هذا النوع."

أما اولويوس وباحثوه فاكتشفوا أن "الاستئساد ليس وحده مشكلة، بل ان الاولاد أنفسهم كانوا يهاجمون الآخرين تكراراً. ووجدنا أيضاً أن الضحايا سيكونون على الارجح ضحايا بعد سنوات."

وكان لأولويوس في أيامه المدرسية صديق كان هدفاً للاستئساد. يقول أولويوس متذكراً اعتداءات عدة: "ان تلك الاحداث سهلت لي الشعور مع الضحايا، وأظهرت أنهم لا يستطيعون حل هذه المشاكل بأنفسهم."

ويوضح البروفسور: "ليس كل نزاع بين الاطفال استئسادا. الاستئساد هو مضايقة شخص واحد أو أكثر للآخرين تكراراً وعلى مدى وقت طويل."

قد يكون الاستئساد هجوماً، كالدفع أو الضرب أو الرفس، وهو الشكل الاكثر شيوعاً في الصفوف الدنيا وبين الصبيان. أما الفتيان الاكبر سناً فيستعملون غالباً أساليب أكثر شؤماً. علّق بريطانيان مراهقان رفيقاً لهما من رسغي قدميه على علو خمسة عشر متراً مهددين اياه بتركه يسقط. وفي ألمانيا الغربية حجزت جماعة من الفتيان صغيراً في التاسعة من عمره في المرحاض، وأمسكوا برأسه وغطسوه في الحوض وجذبوا سلسلة السيفون فراح يشهق طالباً الهواء.

أما في الصفوف العليا، وبين الفتيات، فتأخذ المعاملة السيئة شكلا شفوياً أكثر، كنعت غير لائق. قد يغيظ الطلاب بعضهم بعضاً بما يقولونه عن الملابس أو عن صفات جسمانية غير عادية، أو عن غرابة في التكلم أو اللهجة. وقد يخفون ممتلكات شخصية أو يتلفونها.

اسباب الاستئساد. من هم هؤلاء الاولاد الذين يروّعون أقرانهم؟ ولماذا يفعلون ذلك؟

وفقا لاكتشافات أولويوس، ينزع الفتيان المستأسدون الى أن يكونوا أقوى من أترابهم الذين هم في سنهم (وذلك أقل حدوثاً بين الفتيات). وهم ينظرون الى ضحاياهم كمن لا قيمة لهم. ومما يحيّر أن لهم نظرة ايجابية معتدلة الى أنفسهم، وهو اكتشاف يحطم الظن السائد أن الاستئساد هو تعويض للشعور بعدم الامان.

ان الاسباب التي تجعل الصغير يستأسد تعود في معظمها الى الطريقة التي يعامل بها في البيت. اذا ما كانت علاقاته المبكرة بوالديه واهية، واذا ما أظهرا هما اهتماماً قليلا به، فهو على الارجح سينتهي فتى مستأسداً. واذا لم يضع الاهلون قواعد واضحة تحدد تصرف ولدهم الاعتدائي، فهذا التصرف سيستمر على الارجح. أما الاهلون الذين يستعملون القصاص الجسماني فهم أيضاً يزيدون من احتمال صيرورة ولدهم مستأسداً.

يقول أولويوس: "ان الابوين الغيورين اللذين يضعان قواعد واضحة يكون لهما غالباً أولاد غير اعتدائيين، مستقلون ومنسجمون مع محيطهم." وان برامج التلفاز العنيفة وافلام الفيديو تزيد هي أيضاً من النزوع الى الاستئساد.

من جهة ثانية، يكون الضحايا غالباً أضعف جسمانياً من المعدل، قلقين، غير واثقين بأنفسهم. ويشرح أولويوس: "انهم يرون أنفسهم كمن لا قيمة لهم، غير جذابين، وغير ناجحين، وكأنهم يبعثون باشارات صامتة تقول: أنا غير خطِر، يمكنك أن تهاجمني."

ما العمل؟ مع أن أولويوس أجرى جميع أبحاثه في أسوج، ففي النروج وضع كل اكتشافاته قيد الاستعمال. فانتحار ثلاثة فتيان في العام ١٩٨٢ حرك وزير التربية النروجي، فنظم في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ حملة وطنية واسعة على الاستئساد بلغت تكاليفها مليون كرونر (١٥٠ ألف دولار).

بمساعدة أولويوس وُضع برنامج تدخل اصلاحي متطور، من أدواته كتيّب باثنتين وثلاثين صفحة يظهر للمعلمين كيف يعالجون الاستئساد في الصف وفي ساحة المدرسة، ونشرة وزعت على ٦٠٠ الف من أولياء تلاميذ المدارس الابتدائية تشرح لهم كيف يساعدون المستأسدين والضحايا معاً.

ولما كان هناك أهلون كثيرون يستطيعون كبح التصرف الاستئسادي أو منعه، قدم أولويوس الاقتراحات الآتية في كتابه "مشاكل المستأسدين والضحايا - ماذا نعرف وماذا يمكننا أن نفعله":

□ ضعوا قواعد عائلية وواظبوا عليها. كتب أولويوس: "اذا ما تعلّم الاولاد الطاعة في المنزل فستكون الطاعة أسهل في المدرسة." ومتى اتبعوا القواعد فأظهروا لهم استحساناً، أما اذا لم يتبعوها فليكن هناك بعض القصاص غير الجسماني، كحرمانهم امتيازاً أو خفض مصروف جيبهم.

□ شجعوا الصغار على البحث عن نشاطات في أوقات الفراغ. الرياضة

جيدة، خصوصاً لان الاولاد يتعلمون أن يلعبوا ضمن قواعد. والتدريب الجسماني يرفع أيضا ثقتهم بأنفسهم بحيث لا "يستجلبون" المضايقة.

□ أقضوا وقتا اكثر مع أولادكم. ابحثوا عن النشاطات التي تستطيعون مشاركتهم فيها، كالرياضة والهوايات والنزهات وزيارة مواقع محلية.

□ على ذوي الضحايا أن يساعدوا أولادهم على التفاعل مع أقرانهم، فيشجعوهم على دعوة صديق الى طعام أو الى قضاء ليلة أو الى رحلة عائلية.

□ قاوموا النزوع الى أن تكونوا وقائيين وحُماة أكثر من اللزوم، وادعموا سعي أولادكم الى الاستقلال.

يقدم أولويوس في كتابه أيضاً برنامج تدخل اصلاحي لاساتذة المدارس:

□ على المعلمين أن يوضحوا أن الاستئساد غير مسموح به، واذا ما حدث فيجب أن يكون العقاب غير جسماني. أما اذا لم يتدخل المعلمون فسيُعتبر ذلك اشارة استحسان.

□ عينوا مشرفين راشدين كافين للمراقبة في أوقات الاستراحة ولكتابة تقارير عنها. واجعلوا ملعب المدرسة أكثر تشويقاً، بزيادة تجهيزات وتنظيم مباريات ونشاطات أخرى، لان الاستئساد يزداد مع الملل.

□ ابحثوا في موضوع الاستئساد اثناء الصف. ويلاحظ أولويوس: "ان هذا يضغط اجتماعياً على المستأسدين ليوقفوا تصرفهم."

□ أقيموا خطاً هاتفياً خاصاً للاتصال بعالم نفساني في المدرسة أو بمعلم أو مرشد اجتماعي، وحضوا الاهلين والاولاد على الاتصال، من غير ذكر الاسم اذا ما أرادوا، لبحث مشاكلهم. في مايو (أيار) ١٩٨٥ أنشأت شرطة طوكيو خطا هاتفياً "ساخناً"، وتلقت ١٢٤١ مكالمة هاتفية في الاشهر الستة الاولى.

كانت للحملة التي شنت في النروج نتائج مشجعة. ولمراقبة فاعليتها أجرى أولويوس مسحاً على ٢٥٠٠ طالب في ٤٢ مدرسة حول برغن، فوجد ان الاستئساد نقص منذ العام ١٩٨٣ اكثر من خمسين في المئة. وفضلا عن ذلك انخفضت أيضاً السرقات الصغيرة، وعمليات التخريب وحالات السكر. وأهم من ذلك أن التلاميذ بدوا أكثر اقتناعاً بحياتهم المدرسية.

يقول أولويوس: "أنه اذا ما تحقق الاهلون من هذه المشكلة وعملوا مع المعلمين على حلها، فلنا حظ في اعادة الحياة السعيدة الى عشرات الالوف من الاولاد. وهذا حقاً أمل سار."

ديبورا كاولي ■

منذ البداية حارب الناس الطبيعة جيلا بعد جيل. والآن، على امتداد حياة جيل واحد، يتعين علينا أن نستدير ١٨٠ درجة ونغدو حُماة الطبيعة.

جاك ايف كوستو، مستكشف بحري
وكاتب ومنتج أفلام فرنسي

كتاب الشهر

ممر الموت

صُوَر مأسَويّة من أيّام
«حَرب المخيّمات»
في بَيروت

بقلم بولين كَاتنغ

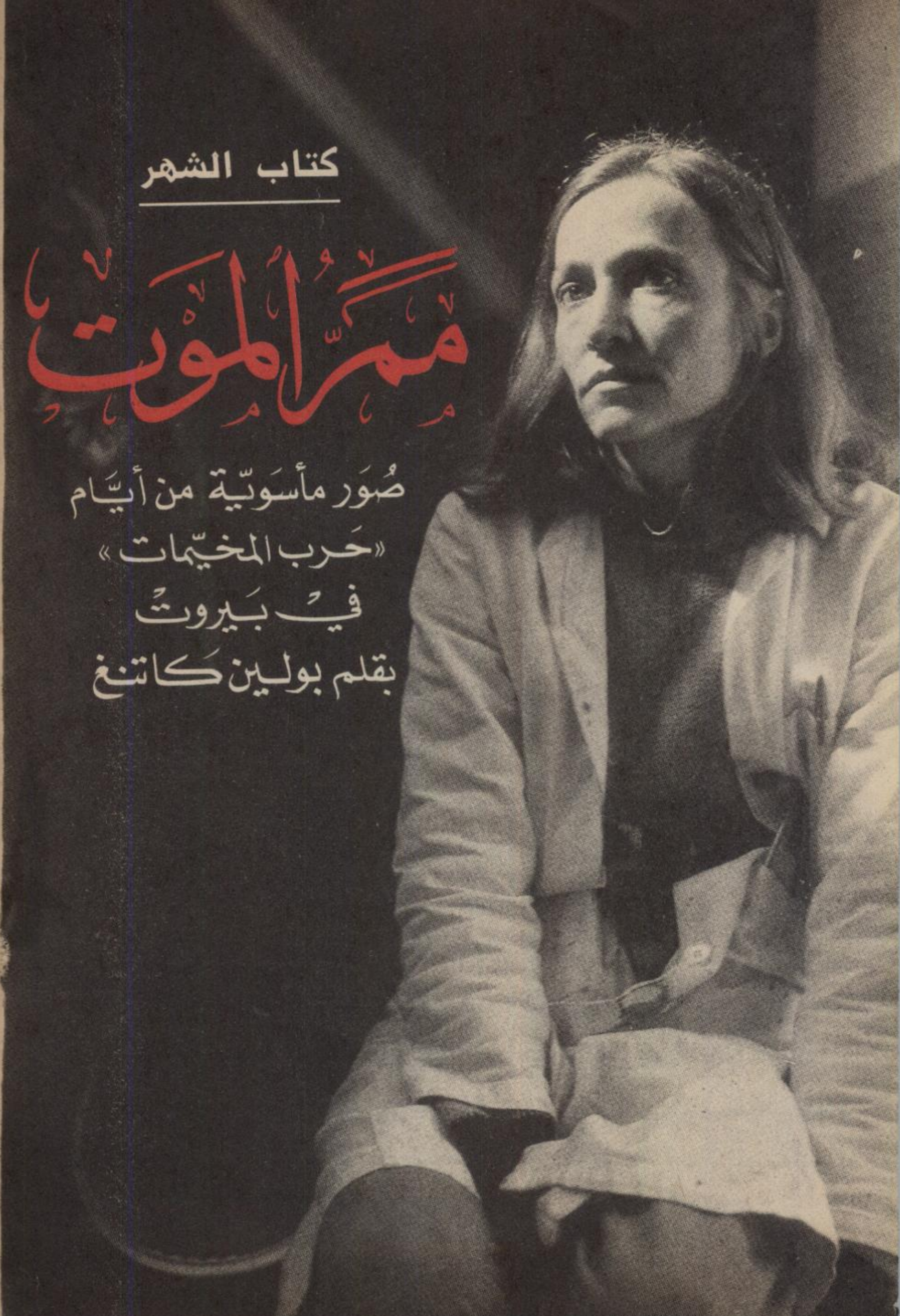

ممر الموت

كان المستشفى المشرف على مخيم للاجئين الفلسطينيين في بيروت رمزاً للعنفوان والتحدي. وعلى رغم اصابته بقنابل المدافع والدبابات وبالصواريخ ورصاص القناصين، وافتقاره الى الادوية والتجهيزات، فقد أمكن معالجة عدد كبير من المصابين وكانت اصابات كثيرين منهم خطرة.

وحين ضاق الحصار وجدت الجرّاحة البريطانية المتطوعة بولين كاتنغ نفسها مهددة بالموت، ومع ذلك لم تكن نادمة على بقائها في المخيّم.

وسط القذارة والجوع وخطر الموت كانت تشارك سكان المخيم في روحهم العالية وارادتهم الصلبة في الصمود والبقاء على قيد الحياة. وكتابها "أولاد الحصار" هو القصة المثيرة لذلك الكفاح الذي أنقذ حياة كثيرين في احوال تكاد تقرب من المستحيل. انها قصة فريدة في ذاتها تحمل كل معاني الشجاعة والمشاركة والايمان.

في ٢٦ مايو (أيار) ١٩٨٦، منذ الخامسة والنصف صباحاً، تعرض مخيّم اللاجئين في برج البراجنة ببيروت الغربية للهجوم. حتى في الطبقة التحتية للمستشفى كنا نسمع أصوات الطلقات النارية والانفجارات. وبصفتي الجرّاحة الاولى كان علي اتخاذ قرار مؤلم.

لم نكد ننتهي من اجراء جراحات لأربعة من المدافعين الفلسطينيين المصابين ونجلس لتناول الشاي العربي المحلّى، حتى أُدخل جريحان في حالة الخطر الشديد. كان أحدهما، ويدعى فادي، مصاباً بجروح في بطنه وفي جنبي صدره. وكان تنفّسه مخنوقاً وهو يتلهف لاستنشاق الهواء. أما خالد الجريح الآخر، فكان اسوأ حالا، واقتضى أن يتنفس بواسطة أنبوب وكيس تهوئة كان يضغطه ديرك فان دوبين الطبيب البلجيكي الشاب.

كانت لدينا غرفة عمليات صغيرة واحدة وآلة تخدير واحدة وطبيب تخدير. لذا كان علينا اجراء الجراحات افرادياً. وكان الجريحان على شفا الموت، وربما أمكنني انقاذ احدهما. ولكن أيهما أنقذ؟ علي أن اتخذ قراراً فورياً.

قرّ رأينا على انقاذ فادي لانه أوفر حظاً في النجاة، اذ كان تنفّسه ذاتياً. ودامت الجراحة ست ساعات وكانت أول اختبار لي في معالجة جروح الرصاص والشظايا المعقدة. ولكن لم يكن ثمة مجال للتردد. فاستأصلنا طحال فادي واحدى كليتيه وقطّبنا ثقباً في الشريان الأبهر وآخر في الامعاء، ورأبنا تمزقاً في الحجاب الحاجز. وتوقف قلب فادي مرتين خلال العملية، فأعدنا خفقانه بالتدليك. وحقنّاه خمسة ليترات دماً فبقي حياً.

لكن خالداً توفي، فشق ذلك كثيراً على الدكتور ديرك اذ شعر بأنه لم يعمل كفاية لانقاذه. فحين أدخل الجريحان المستشفى أعطي فادي أنبوب الاوكسيجين الوحيد لدينا بسبب الجرح في صدره.

وقد لاحظ خالد ذلك فقال محشرجاً: "تريدونني أن أموت؟" ثم انهار وفارق الحياة. ومع علم ديرك بما يقرب اليقين أنه لم يكن في الامكان انقاذ حياة خالد، فانه أبى أن يتعزى.

استقبلنا خلال ثلاثة أيام ما يزيد على ٥٠ جريحاً، كثيرون منهم في حالة الخطر الشديد وأربعة منهم توفوا قبل الوصول الى المستشفى. وبلغ مني الارهاق حداً لم أعد معه قادرة على أن أتذكر أيهم أجريت له جراحات في الليل وأيهم في النهار. واذا بالدبابات تتمركز وتضرب حصاراً حول المخيم. وفي ٣١ مايو (أيار) استيقظت باكراً

ولدت الكاتبة عام ١٩٥٢. ودرست في جامعة ليفربول ببريطانيا. وبعد نيلها شهادة عضوية الكلية الملكية للجراحين عملت مستشارة في مستشفى ميدواي في غيلينغهام. وقبل سفرها الى لبنان كانت طبيبة في قسم الحروق والجراحة التجميلية في مستشفى كوين ماري في سوثمبتون. وكثيرون ممن ورد ذكرهم في كتابها لا يزالون مقيمين في بيروت، انما أبدلت أسماؤهم حفاظاً على خصوصياتهم.

Condensed from «Children of the Siege,» © 1988 by Pauline Cutting,
used by permission of Marsh & Sheil Ltd., London. Photographs: Times Newspapers;
Topham Picture Library; Ben Alofs; Tom Stoddard / Frank spooner Pictures; Julian Nieman

مذعورة اذ تلقى المستشفى اصابة مباشرة بقذيفة استقرت فوق غرفتي الارضية. فأحسست لطمة على صدري لشدة الصدمة. ووسط جلبة تحطّم الزجاج والطوب المتناثر سقطت قذيفتان مباشرتان اخريان.

ومن المدهش أن أحداً لم يصب في المستشفى. وأخبرني ولد مصاب بكسر في رجله بلهجة مثيرة كيف اخترقت قذيفة زجاج نافذة غرفته منطلقة تحت سريره عبر الباب الى الممشى فالى غرفة وضعت فيها امرأة مسنّة، ودفنت في الجدار من دون أن تنفجر.

وفيما استمر القتال أخبرني أحد الممرضين أن قنابل الدبابات تنطلق في خط مستقيم حين اطلاقها، فتصيب طبقات المستشفى العليا البارزة فوق المنازل المحيطة به، بينما تنطلق قذائف مدافع الهاون صعوداً ثم تسقط على نحو شبه عمودي.

وذات يوم كنت أعالج مصاباً بشظية في صدره حين سقطت قذيفة هاون، على الارجح، كادت تودي بحياتي. وكنت أستعد لسحب الدم النازف من صدر الرجل وهو ملقى على فراش تحت النافذة حين حدث التماع ودوى انفجار قوي في الممشى الملاصق.

انهمرت علينا الحجار وعلا الغبار. فنهضت وتحققت من أن أحداً لم يصب، ونقلت الجريح الى سرير آخر. وانتهى كل شيء قبل أن أعي ما حدث تماماً. وكان خوفي من سقوط قنابل بالقرب مني أخف وقعاً مما تصورت.

ميدان المعركة

بدأت رحلتي الى لبنان ذات مساء من صيف ١٩٨٥ اذ كنت أتصفح المجلة الطبية "بريتيش ميديكال جورنال" ووقعت على اعلان للجمعية الخيرية البريطانية «MAP» (١) تطلب متطوعين للعمل في مخيمات اللاجئين.

وكانت لي معرفة قليلة بلبنان، لكن الوظيفة أوحت إليّ التحدي. وكجرّاحة مؤهلة متخصصة بالحالات الطارئة، رأيت أن مهارتي ومؤهلاتي قد تكون مفيدة. لقد راعني وحزّ في نفسي أن هناك مرضى يموتون بسبب غياب العناية الطبية في مستشفى.

زوّدتني «MAP» معلومات عن التعقيدات السياسية في لبنان، ونبهتني الى ترقب مواجهة الخطر والقلق. ولكن ليس من وصف، مهما يكن دقيقاً، يهيىء المرء للمأساة الفاجعة التي تعانيها بيروت.

تبدو المدينة من الجو جاثمة على صخور رأس بيروت البارزة، تحتضنها سلسلة جبال لبنان المكلّلة بالثلوج، فتوحي إلى الناظر جمالا أخّاذاً سرمدياً. لكن هذه الصورة الرائعة سرعان ما تلاشت حين حطت الطائرة في مطار بيروت. فقد تجلّت آثار عشر سنين من الحرب المدمّرة في الابنية المهدّمة المحيطة بالمطار. وكان رجال

(١) Medical Aid For Palestinians وتعني "إعانة طبية للفلسطينيين."

الميليشيات منتشرين على مفترقات الطرق، وآثار الرصاص ظاهرة على سيارة الاسعاف التي أرسلت لتنقلني الى المخيّم.

كان مخيّم برج البراجنة أحد أربعة مخيمات في بيروت الغربية، تحولت ساحات قتال في ما عرف بـ"حرب المخيمات." ولدى وصولي صدمتني مشاهد البؤس والعوز والقذارة في هذا المخيم القائم منذ الخمسينات ومساحته عشرون هكتاراً. وقد بني بالطوب وأصبح مدينة أكواخ مزدحمة مهدّمة بفعل القنابل، تخترقها أزقة ضيقة تعج بالاولاد الذين يلعبون وسط مجار مكشوفة للمياه القذرة تفوح منها الروائح الكريهة وتنتشر فيها الجراثيم والاوبئة.

أما "مستشفى حيفا" الذي تديره جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني فهو في شكل «L» ويتألف من أربع طبقات، وهو يقع في طرف المخيّم الذي تصله به طريق ترابية ضيقة. وقد أصيبت الطبقتان العلويتان بأضرار حالت دون استخدامهما. ويجاور غرفة العمليات في الطبقة التحتية للمستشفى مختبر وغرفة طوارىء وغرفة للاشعة.

وكانت "وحدة العناية الفائقة" مجرد غرفة حُشر فيها خمسة مرضى كانوا يتماثلون بعد جراحات رئيسية، ومضاءة بمصباح كهربائي عار من أي غطاء. وفي زاوية، طاولة للممرضة وضعت حجار اسمنت في مكان احدى قوائمها. أما أكياس المصل فكانت مثبتة بمسامير في الجدران.

كانت في المستشفى ثلاثون ممرضة يعملن بأقصى طاقاتهن في فرق مناوبة تضم كل منها عشر ممرضات. كنا نجري الجراحات يومياً في محاولات لانقاذ مصابين ميؤوس منهم، أملا بنجاح غير مرتقب.

كانت عائلات الجرحى عوناً لنا وعائقاً في آن. كان الاقرباء يأتون بالثياب والطعام، لكنهم كانوا عثرة في طريقنا. وكانت الامهات والزوجات والعمات والخالات والاخوات ينمن بين الاسرة وتحتها وبين أنابيب التمييل وقوارير أنابيب الصدر. وقد ألغينا هذه العادة عندما انقلبت احداهن وهي نائمة ففصلت أحد الانابيب عن قارورته.

عالَم بكامله كان يفصل بين مستشفى حيفا و"مستشفى كوين ماري" في روهامبتون في بريطانيا حيث عملتُ. وعلى رغم كوننا ستة أطباء في المستشفى، منهم جراحان زميلان كنت أبحث معهما في تعقيدات المرضى، فلم يكن لي مرجع من الاختصاصيين المتمرسين الجأ اليهم للاستنارة بنصائحهم.

وغالباً ما شعرت بوحدة موحشة قاتلة.

فترة راحة

صباح يوم سبت، مباشرة بعد اتخاذ القرار بمعالجة فادي، سقطت على المخيم ١٥٠٠ قذيفة في ثلاث ساعات.

أثناء قتال كهذا كنا نضطر الى سحب المرضى، على سبيل الوقاية، الى المماشي

الداخلية. وكان بين المرضى رجلان مصابان بكسرين في فخذيهما ومربوطان الى جهاز مصّ. وكانا دوماً مرحين. وكلما اشتد القصف ازدادا مرحاً وزادت نكاتهما التي أنعشا بها من حولهم وساعداهم على الاحتفاظ برباطة جأشهم. وذات مرة تصنّع أحدهما الارتجاف خوفاً وناداني لمشاهدته، فغلب علي الضحك وقهقهت عالياً.

في ١١ يونيو (حزيران) بعد قتال دام أكثر من ثلاثة أسابيع أُعلن التوصل الى اتفاق لوقف النار. وكتبت في مذكراتي اليومية: "أجْلَوا ثلاث نساء ورجلين. ثم بدأ قصف المخيم من جديد، فأسرع المسعفون الى مغادرة المخيم من دون أن يأخذوا المريض الذي كان في حاجة ماسة الى معالجة في الخارج. اللعنة!"

وعلى رغم وصول قوة فصل في ٢٤ يونيو (حزيران) تكررت المأساة بعد أربعة أيام اذ عاد القصف فجأة فطاول السكان وهم في الشوارع خارج بيوتهم. وما هي الا بضع دقائق حتى وفدت الينا تسع اصابات. الجرحى يملأون المقاعد في غرفة الطوارىء ومدخل المستشفى والمماشي. والدماء في كل مكان. وزاد في المأساة صراخ الاهل والاصدقاء الذين رفضوا مغادرة أحبائهم المصابين. وقد توفي ثلاثة من الجرحى حالا، وتبعهم آخر، واحتاج اثنان الى جراحة فورية.

وبعدما أنهينا كل ما وجب عمله سمعت أحد اطبائنا يتمتم مرتعشاً: "هذا فظيع، فظيع جدا."

كان الممرض الهولندي بن ألوفس الذي أصبح صديقاً حميماً لي، غادر مخيم برج البراجنة قبل ١١ يونيو (حزيران) تاريخ وقف اطلاق النار، للعمل في مستشفى آخر في بيروت. ثم رجع وأخبرنا عن الجرحى الذين تم اجلاؤهم من المخيم.

قال: "أخذوا اولا الى "مستشفى بيروت." ثم جاء مسلّحون واندفعوا داخل المستشفى شاهرين مسدساتهم واقتادوا الجرحى الى مستشفى آخر بادارة نسيب لأحد المسلحين، وهذا طلب مالا لمعالجتهم. فغلب علي الأسى.

متطوعون جدد

ثبت وقف اطلاق النار فأجلي ٤٥ مصاباً بواسطة الصليب الاحمر الدولي. وكانت تسمع أصوات المطارق طوال النهار فيما سكان مخيم برج البراجنة يصلحون بيوتهم. وركّب لنا درويش، وهو سمكري بدين، بضعة أنابيب جديدة، فتوافر لنا الماء الجاري ثانية. وأصلح بن ثقوب الشظايا التي أصابت خزان الماء المخصص للاسعاف الاولي في العيادة على بعد ١٥٠ متراً من المستشفى، مستنبطاً وسائل لسدّها من مطاط القفازات والخشب والعلكة.

في آخر يوليو (تموز) طرت الى بريطانيا لزيارة والديّ ولتقديم تقرير الى جمعية «MAP». وكما في زيارتي السابقة في فبراير (شباط) لم يغب عن فكري ما أنجزت في بيروت، كشفاء ندب في قدم فتاة عمرها ١٣ سنة، وتدعى سوزان مما مكّنها من انتعال حذاء للمرة الاولى في حياتها. ولم أنسَ كل ما ينتظر عودتي، كجراحات لمرضى

آخرين. فلازمني شعور بأنني أضيع وقتي في بريطانيا. ووافقت «MAP» على رجوعي الى برج البراجنة لمدة ثلاثة أشهر.

وصلت الى مطار بيروت في أغسطس (آب) وكان بن في استقبالي في جو لاهب. وكنت مسرورة لعودتي الى بيروت على رغم الخطر الماثل دائماً، فقد اجتذبني، كما اجتذب سواي من الذين عملوا في لبنان، حسن ضيافة السكان ومحبتهم وعزمهم وقدرتهم على الاستمرار وسط ظروف الحرب القاسية.

ثم وصلت الى مخيم برج البراجنة سوزي وايتون وهي عاملة صحية اسكوتلندية، وهانس وهو نمسوي خبير في العلاج الفيزيائي، كمتطوعين من «MAP». وكانت اقامة ديرك وزوجته لسنة واحدة في لبنان شارفت نهايتها، وكانت البلاد على أحسن ما عرفت من الهدوء. فاعتزمت أنا وبن أخذ عطلة قصيرة قبل مغادرتهما. وذهبنا نحن الاربعة الى جبل الشوف.

في قرية بيت الدين زرنا قصر الامير بشير الشهابي، وهو آخر الامراء اللبنانيين الحاكمين وكانت وفاته عام ١٨٥٠. وفي سهل البقاع الخصب توقفنا في بعلبك حيث رحب بنا العاملون في عيادة للهلال الاحمر هاتفين: "أهلا وسهلا." وشددوا على أن نتناول وجبة لبنانية من البيض المسلوق والخبز والحمّص والزيتون.

يحكى أن بعلبك كانت مأهولة منذ خمسة آلاف سنة وأن سيدنا آدم عاش قريباً منها وأن سيدنا نوح دفن في قرية كرك نوحٍ الواقعة غرب بعلبك.

أمضينا أربعة ايام جميلة في الريف، وبتّ أعرف شيئاً عن تاريخ هذه الارض العريقة. لكنني لم أتوصل الى فهم "حرب المخيمات" التي حاول بن شرح أسبابها، ووجدت أن تفهمها يفوق ادراكي، اذ كان لكل فريق تفسيره الخاص.

لكن الواضح أن العداء بين الافرقاء كان تعمّق وبلغ حدا من المرارة جعل معاودة القتال أمراً لا مفرّ منه. واذا بالميليشيات تتجمع حول مخيم برج البراجنة يوم الاحد ٢٩ أكتوبر (تشرين الاول).

المستشفى الملجأ

عصر ذلك اليوم سمعت الناس يركضون صارخين: "افتحوا الطريق." واذا بأربعة رجال يحملون على نقالة مصاباً يغطي الدم وجهه. وكانت الكهرباء مقطوعة – كما يحدث تكراراً – فوضعنا الجريح في مدخل غرفة الطوارئ حيث كان النور شحيحاً.

جثوت الى جانبه فوجدت نبضه متوقفاً. فمسحت الدم المتخثر من فمه وعنقه وبدأت انعاشه بالتنفس من الفم الى الفم. وكان بن يدلك قلبه.

وكان ثمة أناس في حال هيجان يزدحمون حولنا ويحجبون ما تبقّى من الضوء. فهتفت أن علينا نقل الجريح الى غرفة العمليات حيث لدينا مصباح كهربائي يضاء ببطارية. هناك تفحّصت حلقه بمنظار الحنجرة لأتبين إمكان ادخال أنبوب للتنفّس، فوجدت ثقب رصاصة في جنب رقبته الايسر وثقباً أكبر في الجنب الايمن، وهذه هي

الجروح النموذجية المخيفة التي تحدثها بندقية "إم - ١٦،" اذ تنطلق الرصاصة بسرعة فائقة فتولّد ما يشبه موجة صادمة تخترق الجسم فتسبّب أضراراً هائلة.

كانت حنجرة الرجل متلفة كلياً. كان ميتاً.

وحصل قتال عنيف آخر. وفي تلك الليلة، على سبيل الوقاية، وضعت خزانة الثياب بين النافذة وفراشي الممدود على الارض لتوفّر لي بعض الحماية.

كانت هناك ٣٠ عائلة تحتمي في مدخل المستشفى. وقد جاء أفرادها لكون منازلهم لا تحتمل اصابة مباشرة أو لأنهم يسكنون في أطراف المخيم. كان المستشفى لهم الملجأ الأمين، فوفدوا اليه حاملين الحرامات والطعام ومواقد الكاز.

والى المصابين في القتال، كان هناك مرضى في المخيّم يحتاجون الى عنايتنا، منهم امرأة جبرت ذراعها بعد جراحة لمرفقها، وفتاة من عائلة فقيرة تعالج بسلسلة من الجراحات بغية تصحيح تشوه في رجلها سببه الشلل.

كان المسلحون يمرون أمام المستشفى ليتخذوا مواقعهم القتالية في أطراف المخيّم، وقد شاهدت بينهم أولاداً لا تتجاوز أعمارهم ١٢ سنة. وشرح لي أحد الرجال قائلا: "هذا هو واقع حياتهم. يشبّون في مناخ من العنف والحرب ويريدون أن يكونوا كآبائهم. انهم لا يقاتلون، بل يذهبون الى الجبهة للتدرّب على النظام ونبذ الخوف. إنهم الجيل الطالع الذي سيتولى حمايتنا، فالافضل لهم أن يتمرسوا في القتال منذ الآن."

خلال احدى دورات القتال العنيف شاهدت فتى جعد الشعر في الخامسة عشرة من عمره يدخل المستشفى راكضاً في بدلة القتال الجديدة ويجلس في مقعد وبندقيته في يده. بدا خائفاً والعرق يتصبّب منه بغزارة. وأخذ يتطلع الى غبار المعركة من خلال الباب. وما هي خمس دقائق حتى نهض وهو يصر بأسنانه، فتنفّس عميقاً ورجع راكضاً الى موقعه. وقد رأيته مراراً في ما بعد، انما ليس في حال ذعر كما كان في المرة الاولى.

مغامرة جراحية

في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني)، وعلى رغم اعلان وقف اطلاق النار، سقطت قنبلة في احدى الساحات حيث كان أولاد يلعبون، فكانت الفاجعة. هرع الينا الاهل ملتاعين، حاملين أولادهم وهم ينزفون.

فاستقبلنا ١٥ مصاباً كدفعة أولى. وكان منظر الاولاد والدماء تسيل من أجسادهم الطرية يفتت الاكباد.

وكانت الحصيلة ٢٥ ولداً جريحاً وثلاثة قتلى. وقد دعونا ذلك اليوم "يوم مجزرة الاولاد."

في الليلة التالية تلقى بيت درويش السمكري قنبلة أدت الى أصابة زوجته بجرح بالغ في رأسها كشف الدماغ الذي استقرت شظايا داخله. اتصلنا بالميليشيا

المحاصرة لاسلكياً طالبين السماح باخراج المرأة لاجراء جراحة عاجلة لها. فلم نلق جواباً.

أمام هذا الواقع لم يعد أمامنا سوى خيارين: فاما أن نجري نحن الجراحة واما أن نترك المرأة تموت. لم يسبق لاحد من أطباء المستشفى أن أجرى جراحة في الدماغ. ولكن كانت لي خبرة نظرية في هذا المجال. فتباحثنا في الامر مع درويش وقرّ الرأي على اجراء الجراحة.

ساعدني الدكتور رضا، مدير المستشفى، وهو فلسطيني في أوائل الثلاثينات من عمره. كنت في غاية الخوف، فلدينا عدّة جراحية غير متقنة لمثل هذا العمل الدقيق. وكانت الممرضة الشابّة نُهى التي تشرف على غرفة العمليات، شهدت اجراء جراحات دماغية في لندن وباريس، فكانت خير عون لي.

وفيما كنت أشق رأس المرأة نصحتني نهى: "يجب أن توسّعي الشق أكثر لاجراء الجراحة بسهولة أكثر."

انتزعنا بالكلّابات شظايا القذيفة والعظم المحطّم، وأزلنا نسيج الدماغ التالف بجهاز مصّ منخفض القوة. وبيّنت لنا نهى كيف نوقف النزف باستخدام محلول "هيدروجين بيروكسيد."

استغرقت الجراحة خمس ساعات وانتهت في الرابعة والنصف صباحاً. ولم اشعر بألم الظهر والارهاق والتيبّس الا عندما بدأت المرأة تستعيد وعيها.

وشفيت زوجة درويش. ويعود الفضل في بقائها حية الى نهى.

أصدقاء في الضيق

في الاسبوع التالي انقطع التيار الكهربائي عن المخيم كله، فاعتمد المستشفى مولّدين يعملان بالديزل. ومن حين الى آخر كانت تسقط قذائف على المستشفى فيصاب خزان الماء فيجري منه الماء الى المماشي ويتجمّع بعمق بضعة سنتيمترات يستحيل معها الحفاظ على الاقدام جافة. وعقّد المطر المشكلة.

في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) دوّنت في مفكرتي: "كان الطقس بارداً ورطباً طوال خمسة أيام. والى استحالة تجفيف ملابسي المبللة، كانت ملابسي الجافة تتحول رطبة. ولكم حلمت بالجلوس أصطلي بنار تتوهج في الموقد فتبعث فيّ الدفء، وبطبق يخنة شهية وزلابية تشدد عزيمتي المتراخية. بدأت أشعر بالوهن يدب في نفسي ومفاصلي. لقد سئمت هذه الحرب الفارغة إلّا من هدف الهيمنة والخطف والارهاب وقتل الأبرياء وهدم بيوتهم على رؤوسهم. هؤلاء السكان الغارقون في ظلام اليأس والعتمة باتوا رهائن في لعبة القوى الدولية المتصارعة، وضحايا سياسة التفرقة التي تفجّر الأحقاد والصراع بين أبناء الشعب الواحد والوطن الواحد والمذهب الواحد بغية التسلّط. فعسى أن تكون معاناتهم وآلامهم قرابين تشفع بهم فيخلصون ويخلّص لبنان من الجحيم الذي زجته فيه الأطماع والمؤامرات الدولية والاقليمية.

عائلة فلسطينية في كوخها داخل المخيم.

كنت قلقة على بن. وحين جيء بثلاثة قتلى في ذلك اليوم حدثتني نفسي أن أتطلع تحت البطانيات لاتأكد من أن بن لم يكن أحدهم. لذلك بت أدرك شعور أهل المصابين حين يصرّون على البقاء خارج غرفة الطوارىء لشدة لهفتهم لمعرفة حال أعزائهم.

بدا المستشفى كأنه أصبح هدفاً متعمداً للقصف. ففي ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) انتقلت الى الطبقة التحتية مع العاملين في غرفة العمليات بعدما حطمت الشظايا نوافذ غرفتي. كذلك فعل الدكتور رضا مدير المستشفى. وكان عشرة منا ينامون في تلك الرقعة الضيّقة على أسرّة وفرش معدة للمخيمات. كان المكان أكثر دفئاً ووداً. انما الافتقار الى الخصوصية كان مصدر ازعاج كبير في كثير من الاحيان.

فشلت المساعي لوقف القتال وبقي المخيم صامداً. واستمر القصف على مستشفى حيفا فتحطمت النوافذ التي

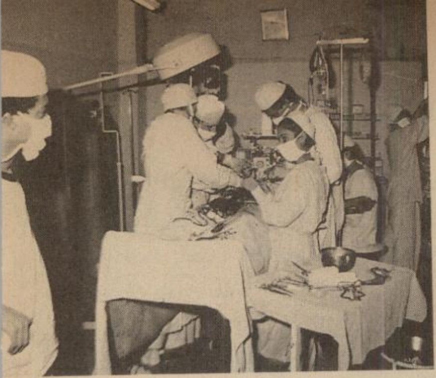

في غرفة العمليات.

امرأة فلسطينية تحتضن الدكتورة كاتنغ امتناناً.

كانت لم تزل سالمة. وبترت احدى القذائف قدم فتاة كانت تلعب في مدخل المستشفى، وطاولت شظايا سيارة اسعاف متوقفة. وبعد قصف طويل بقذائف الدبابات انهارت الطبقة العليا من المستشفى.

وحين قدم أحد القادة الفلسطينيين ذات ليلة الى غرفة العمليات ليرى ما نحن في حاجة اليه، سألته نهى كم سيستمر الحصار. فأجابها: "تسعين يوماً على ما أعتقد."

"مستشفى حيفا" بعد فك الحصار.

هجمات انتحارية

كانت رؤية الاولاد المصابين يستعيدون عافيتهم مكافأة طيبة لجهودنا. والاولاد يتماثلون أسرع من البالغين. ولكن ما ان استعادت الدفعة الاولى منهم نشاطها حتى أصيب آخرون بجروح. وفقدت ابنة ١٨ شهراً بصرها من جراء شظية صغيرة مثلّمة في حجم حبة فستق اخترقت احدى عينيها وخلفيّة أنفها وأتلفت عينها الثانية واستقرت تحتها.

وأصيب بالتفجير ذاته صبي عمره ١١ سنة في صدره وبطنه. فأجريت له جراحة. وعندما أفاق غلب عليه الأسى حين رأى ثمانية أنابيب مربوطة بجسمه. فكان يبدو رزيناً كلما نزعت عنه أحد الانابيب ويحاول الظهور مظهر الرجال. لم يصرخ

الدكتورة بولين كاتنغ والعاملة الصحية سوزي وايتون في برج البراجنة.

ولم يتأوه مرة وأنا أغيّر ضماداته، بل كان يساعدني في نزع قطب جروحه وهو يضحك.

كان القتلى يسقطون في المخيم بمعدل قتيل واحد يومياً. وبعد اقامتي هناك لمدة سنة بت أعرف كثيرين من السكان. وكان الحزن والالم يكادان يصعقان الدكتور رضا كلما مات قريب له أو صديق.

كان التبرع بالدم في مستشفى حيفا أفضل منه في مستشفيات أخرى لأن عائلات المصابين وأصدقاءهم في المخيم كانوا جاهزين للتبرع في أي لحظة بدم جديد. وحين أصيب شاب بشظايا قنبلة خلفت فيه ٥٠٠ جرح من رأسه الى قدميه، نقلنا اليه ستة ليترات من الدم (علماً أن الجسم يحتوي على أربعة ليترات فقط) وبذلك أمكن إنقاذه.

واذا احتجنا الى مزيد من الدم كان النداء يعلن في مكبّر صوت في الجامع، وسرعان ما يفد المتبرعون للعطاء. ولم تُجْدِ توسلاتنا المتكررة للسماح لنا بنقل الطفلة الضريرة الى مستشفى آخر. وكان أحد الاطباء يوليها عناية دائمة، فينظف عينيها يومياً ويمسحهما بمرهم مطهّر. وبعد أسبوعين فتحت عينيها قليلا وظهر أن في امكانها الرؤية بإحداهما، فاذا حُرك شيء أمام عينيها كانت تتابعه بتحريك رأسها.

كان هانس، الاختصاصي بالعلاج الفيزيائي، مؤمناً تقياً. فأخذ يبكي. وقد أخبرني لاحقاً أنه كان يصلي بحرارة ويطلب من الله أن يشفي الطفلة.

في أوقات الهدوء كنت اتحدث الى نهى التي، ادراكاً لمسؤوليتها، نادراً ما غادرت مركز العمليات التي تشرف عليه. فسألتها ذات مساء عن أهلها.

قالت لي: "قتلت شقيقتي خلال إحدى الغارات الإسرائيلية. وذهب والدي يفتش عنها فعثر عليها ميتة. وفي طريق عودته الى البيت قتل بانفجار سيارة ملغومة. وقد قررت ألا اتزوج وأنجب، لأن الاولاد والازواج يموتون بكثرة في هذه البلاد."

لم أدرِ ماذا أقول لها. وتابعت: "فكّرت في أن أواصل عملي في "مستشفى غزة" في مخيم صبرا. لكن الاسرائيليين جاؤوا ودمروا كل شيء. ثم أعيد بناء المستشفى. لكنه وقع لاحقا تحت سيطرة الميليشيات. وفي الشهر الاول لحرب المخيمات نُهب المستشفى وحطمت المعدات ثم أحرق البناء. وقد قتل بعض العاملين والمرضى في المستشفى وهرب الباقون. ومستشفى غزة خال تماماً الآن."

وتبادر الى ذهني: وسيلقى مستشفى حيفا المصير ذاته. لكنني حاولت كبت هذه الأفكار التشاؤمية التي راودتني.

تضييق الحصار

ثم برزت مشكلة دفن القتلى. في بعض الاحيان كان البراد الذي يتسع لستّ جثث يحمّل فوق طاقته فتحشر فيه ١٥ جثة كانت تدفن دفعة واحدة. وذات مرة خلال دفن جماعي في المقبرة الواقعة في طرف المخيم، وقف أحد الحمّالين في مكان مكشوف.

وما ان صرخ رفيق له محذراً حتى دوى طلق ناري فسقط على وجهه يعضّ الرمل ومات لاحقاً. على أثر هذا الحادث أصبح الدفن يجرى في بقعة مصوّنة قريبة من المستشفى.

بدأ الحصار المرهق ينال من الشباب المدافعين عن المخيم. كانوا يتناوبون القتال لفترات طويلة في خط الدفاع الاول، ويشاهدون رفقاءهم يموتون الى جانبهم، ويتساءلون عمن سيليهم. وطلب بعض المقاتلين مسكّنات من بن في عيادة الاسعافات الدولية، بحجة أن أمهاتهم وشقيقاتهم لا يستطعن النوم.

كان سكان المخيم على قسط وافر من الاخلاق العالية والسلوك القويم، انما كانت هناك تجاوزات وانحرافات.

قرابة نهاية ديسمبر (كانون الاول) أصبحت الاحوال المعيشية قاسية جداً واستمر القصف عنيفاً من دون توقف. وكانت مئات العائلات تجمعت في الملاجىء والطبقات السفلى طوال شهرين. وكانت النساء من دون غيرهن يخاطرن بالخروج لجلب الماء من صنابير في أطراف المخيم. ولم تكن للملاجىء أية نوافذ أو وسائل صحية أو اضاءة. وزارت سوزي وايتون بعض المرضى في تلك الملاجىء وقالت ان الروائح فيها لا تطاق.

جُمعت النفايات في الساحات وفي مواقع المنازل المهدّمة، وكانت الجرذان تسرح وتمرح في كل مكان. وذات يوم بعد الظهر جيء بامرأة مسنّة الى المستشفى كانت مقعدة بسبب سكتة دماغية (فالج) ولازمت فراشها ثلاث ليال. ولكونها عاجزة عن طلب المساعدة فقد أكلت الجرذان إصبع احدى قدميها. وأنقذها أهلها أثناء فترة توقف القتال ونقلوها الى المستشفى. لكن الالتهاب السام كان تفشى في قدمها الى حد أنها توفيت بعد عشرة أيام.

وزادت صعوبة الحياة بعدما انهارت الطبقة الثالثة من المستشفى، اذ دُمّر خزان الماء ولم يعد الماء الجاري متوافراً لدينا. وكاد وقود الديزل للمولّدات الكهربائية أن ينفد. لذلك كنا نستخدم الكهرباء للحالات الطارئة فقط. وكان المستشفى، وأكياس الرمل تسدّ نوافذه، مظلماً حتى في النهار.

وحين نفدت كل شموع الاضاءة لديّ زوّدنا بن شموعاً مصنوعة في المنازل من مادة دهنية للطهو جرى تذويبها وسكبها في فناجين قهوة وصنعت فتائلها من الشاش. حاولت وبن أن نكون متحفظين، لكن ابنة أم جمال التي كانت تعمل في التنظيف أحبت بن. وكانت الطفلة في السادسة من عمرها، واسمها شمس، تصحب والدتها الى المستشفى، وكانت تسألني بصوت عال كل يوم: "هل سيأتي بن ليقابلك؟" وكانت امها تنهرها لكي تلزم الصمت.

كانت الخضر نفدت قبل وقت طويل، في ما عدا القليل من البصل والبطاطا. وأصبحت وجباتنا مزرية. كان غذائي اليومي رزاً مسلوقاً وبرغلا وعدساً، فضلا عن بعض أطباق كان يجلبها لنا الاصدقاء أحياناً، ووجبات سريعة يحضرها بن بخبز مقلي محلى بالسكر والزبدة والحليب.

كان موضوع حديثنا المفضّل في أي من المطاعم سنأكل بعد انتهاء القتال. وكنا

نعدّ الوجبات والمآكل الشهية التي تناولها كل منا في مناسبات كثيرة، فيسيل لها لعابنا.

وفيما اقترب عيد الميلاد بدأنا نحن الاربعة الاجانب العاملين في المستشفى تحضير بطاقات معايدة بما تيسر لنا من علبة الالوان لدى سوزي وكرتون العلب وأقلام الحبر الملوَّن. فرسمتُ لصديقي بن مستشفى حيفا وفوقه نجمة الميلاد والقذائف تتساقط عليه. وابتدعت سوزي روزنامة رسمت فيها صورة من وحي العيد. وصنع هانس بطاقات كتب فيها آيات جميلة. وكان بن يهيىء طعام العيد. ولم تكن هناك أية هدايا نتبادلها.

عشاء لا يُنسى

كانت مهمتي الاولى صباح عيد الميلاد مساعدة الطبيب المولّد في جراحة قيصرية عسيرة. ولدت الطفلة في الثامنة والنصف صباحاً، وذهبت بعد ذلك لتفقد عماد، الشاب الذي بترت ساقه.

تبعنا نظاماً يقضي باخلاء الغرف من الزائرين في أوقات تغيير ضمادات الجرحى، أكثرهم لم يريدوا كشف أجسادهم. وإذ تباطأ الزوار هتف عماد بنزق: "اخرجوا كلكم." وكان الى جانب سرير عماد شاب يدعى صافي كانت عيناه مضمدتين على أثر سفع رملي ولده انفجار كاد يفقده بصره. فنادى أصدقاءه: "هاي، الى أين أنتم ذاهبون؟"

فرد عماد بغضب: "ان هذا أوان تغيير ضماداتي." فاحتج صافي واحتدم الجدل بين الشابين. فهتف عماد مهدداً: "أسكت والا قطعت رأسك."

فصرخ صافي: "أسكت أنت والا قطعت رجلك."

عندئذ ساد الوجوم الجميع. فهمست في أذن عماد بالعربية: "هل يعلم أنك فقدت ساقاً؟"

أجابني: "نعم، وهو ينوي بتر الساق الاخرى!"

وتنفست الصعداء حين عادا بعد قليل الى الضحك والممازحة.

وبعد الظهر أُدخل شابان على عجل غرفة الطوارىء. وكان أحدهما ميتاً بشظايا القنابل والآخر مصاباً بكسور عدة في جمجمته. وحاولنا على مدى ساعتين أن نبعث فيه الحياة بضخ الهواء يدوياً الى رئتيه، ولكن لم يبدر منه أي جهد للتنفس.

ألقى موته ظلا كئيباً على عشاء الميلاد الذي أقمناه في العيادة على طاولة بين محفّات الاسعافات الاولية وعربة التضميد. كان بن جمع من الجيران علبة لحم معلب وقليلا من رب البندورة (الطماطم) وبصلة وقطعة جبنة، وطها بها معكرونة. وكان هذا التغيير عن أكل الرز المسلوق لذيذاً ومنعشاً.

كان الماء يرشح من سقف المستشفى، وكان فطر أخضر وأسود أخذ يتكون ويزحف نزولا على أحد الجدران. لكن غرفة العيادة ظلت جافّة. وكانت الرفقة جيدة والطعام والشراب لذيذين بعثا فيّ الدفء والنشاط.

كانت مأدبة عشاء لن أنساها أبداً.

في ٢٩ ديسمبر (كانون الاول) أعلنت هيئة الاذاعة البريطانية (BBC) في نشرة أخبارها العالمية أن الميليشيات قررت وقف اطلاق النار كتعبير عن حسن نية لمناسبة عيد رأس السنة. وبعد يومين أدخل بلال، وعمره سبع سنوات، منقولا على حمّالة.

كان منظر الصبي بشعره الجعد وعينيه البنيتين الغامقتين ووجهه الملائكي مؤثراً لن أنساه ما حييت. كان بلال يجتاز أحد الازقّة فيما انتصب أحد القناصين في بناية عالية خارج المخيّم يرصده، الى أن مرت صورته في منظار التسديد فضغط الزناد. واذا بالرصاصة تخترق ذراع بلال اليمنى وجنبي صدره وتخرج من ذراعه الثانية. وفي غرفة الطوارىء كان بلال يختنق وهو يشهق ناشدا الهواء كسمكة خارج الماء.

أولجنا أنبوبا لسحب الدم من جنبي صدره. فانتفخت رئتاه وتحسن تنفسه. ولدى نقله لتصويره بالاشعة لاحظت أنه لم يحرك رجليه منذ وصوله الى المستشفى. فأجريت الفحوص اللازمة للحال. أخذت أقرص رجليه، لكنه لم يحس شيئاً. كانت الرصاصة قطعت الحبل الشوكي وسببت له شللا نزولا من خصره سيلازمه مدى الحياة.

كنت رأيت قبلا كثيرين من الاولاد المصابين، لكني وجدت في مأساة بلال فاجعة أثارت فيَّ الشفقة والمرارة والنقمة. اذ ماذا جنى هذا الولد البريء الطري العود ليستحق هذا المصير المؤلم؟ ألمجرد أن شاءت المصادفات أنه كان في المكان غير المناسب في الوقت غير المناسب؟

شكرت الله لأن الجروح في ذراعي بلال كانت سطحية، فهو سيحتاج اليهما كثيراً. ثم أجلسناه في السرير ورأسه مرتفع قليلا مما يساعد في استكمال سحب الدم من صدره النازف.

تبسّم بلال للاهتمام الذي أوليناه اياه. وكتبت تلك الليلة في يومياتي: "السلام على من يصدق وقف القتال."

نهش الجوع

في منتصف يناير (كانون الثاني) غدا قصف المخيم متقطعاً. وكان معظم المصابين ضحايا القناصين حين يخرجون الى الازقة من كابوس الملجأ الذي لم تبقَ لهم قدرة على احتماله.

ثم حدث أن انهارت أحدى رئتي بلال. فأولجنا في صدره أنبوباً آخر للسحب، فلم يتذمّر وكان يتماثل وروح المرح تغلب عليه. كنت أعوده يومياً وكان يلعب بسمّاعتي ويصغي الى نبضه. وكان بن يجلب له لعباً. وخفّت حدة أزمة الوقود في المخيّم حين وصل رجل أمضى ثلاثة أسابيع يحفر نفقاً بلغ طوله ٤٠ متراً، الى خزانات في الارض تحت محطة وقود في الطريق قبالة المخيّم. كانت الخزانات شبه ملآنة وكافية لتشغيل المولّدات الكهربائية ١٢ ساعة يومياً لمدة ستة أسابيع.

رفع ذلك معنوياتنا الى حد كبير، وإن لم يكن من السهل المحافظة على معنويات عالية.

وكنا نشاهد التلفزيون ذات ليلة، فاذا بنا أمام مباراة يسعى فيها المشتركون الى تحطيم الرقم القياسي العالمي في صنع أكبر شطيرة (سندويش). وكدنا لا نصدق ما رأينا حين أخذوا يحشون النقانق وسمك السلمون والمخللات وكثيرا غيرها في شطيرة بلغ طولها ٢٠٠ متر. كنا نشاهد هذا العرض والألم يحزّ في نفوسنا اذ كانت مؤونتنا من الطعام نفدت. لم يعد هناك حليب مجفف للاطفال، فاستعضنا عنه باعطائهم الشاي مع السكر. ونفد الدقيق أيضا فلم يعد لدينا خبز.

ثم بدأ الجوع يعضني بنابه. كنت أعلم ان الجميع جائعون، لكن أحداً لم يتكلم في هذا الامر. وكان أدهم، شقيق أحد المرضى السابقين، يجلب لي بعض الرز والزيتون، فأحتجُّ لأني لا أريد حرمان عائلته الطعام.

فيقول لي: "ما دام لدينا القليل فسأجلب لك القليل. وحين لا يعود لنا شيء فلن أجلب لك شيئا."

استغاثات ملحّة

لم تعد "حرب المخيمات" تستأثر بنشرات الاخبار التي ركز معظمها على موجة الخطف التي اجتاحت بيروت الغربية، بما فيها خطف تيري ويت المبعوث الخاص لرئيس أساقفة كانتربري. فغلب علينا اليأس اذ شعرنا أن العالم نسينا.

في الاسبوعين الأخيرين من يناير (كانون الثاني) زادت مخاوفي من اجتياح المخيم والقضاء علينا جميعاً. وعزز خوفنا مقتل نبيلة براير من منظمة اليونيسيف، وكانت مسؤولة عن معالجة شؤون الفلسطينيين في بيروت وتأمين العون والمأوى لهم.

فأرسل الدكتور رضا نداء عبر جهاز اللاسلكي الى وكالة "الاونروا" يناشدها ادخال المؤن الى المخيم. لكن نداءه لم يلق جواباً. وذلك لم يدهش بن الذي قال: "لم يعد أحد يهتم بالفلسطينيين. لقد باتوا مشكلة يود العالم كله أن يتخلص منها."

لذلك، على رغم تعرضنا شخصياً للخطر بسبب جنسياتنا الاجنبية، قررت أن علينا نحن اسماع صوتنا للعالم وايقاظ الضمائر المتحجّرة. ووافق بن وسوزي وهانس على الفكرة. فلن نقف مكتوفين عاجزين ونرى سكان المخيم الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ يتضورون جوعاً ويعانون البرد ويموتون تحت سمع العالم الغافل اللامبالي وبصره، ضحية السياسة المجرمة التي لا يد لهم فيها.

فحررت بياناً أرسله الدكتور رضا لاسلكياً بعد ظهر ٢٣ يناير (كانون الثاني) الى الطبيب المسؤول في مخيّم مار الياس للاجئين الفلسطينيين الذي يبعد كيلومترين ونصف كيلومتر، وجاء فيه:

"الحال في مخيم برج البراجنة خطيرة جدا. ويعيش السكان في ظروف قاسية.

فالمخيم لا يزال محاصراً منذ أكثر من ثلاثة أشهر، ونحن وسكان المخيّم العشرة آلاف نعاني البؤس والحرمان. وهناك عائلات كثيرة ينقصها الغذاء وتكاد تقضي جوعاً." واختتم البيان بالآتي: "نرجو باسم الانسانية والرحمة رفع الحصار حالا." الامضاء: "الدكتورة بولين كاتنغ، جراحة بريطانية، بن ألوفس، ممرض هولندي، سوزان وايتون، عاملة صحية اسكوتلندية." وشاء هانس أن يبقى مجهول الهوية لان أمه، كما شرح لنا، عصبية المزاج. واذا عرفت بالمأزق الذي هو فيه فقد يقضي ذلك عليها.

طلبنا من طبيب مخيّم مار الياس أن يوزع بياننا على منظمتي "الاونروا" والصليب الاحمر وعلى أي هيئة فاعلة كما يرى هو مناسباً. وفي اليوم التالي أخبرتني احدى ممرضاتنا أن البيان أذيع في نشرات الاخبار باللغة العربية. ورأينا في ذلك بارقة أمل. ورجوت أن تتصدر "حرب المخيمات" الاولوية في مباحثات مؤتمر القمة الاسلامي الذي كان من المقرر عقده في ذلك الاسبوع.

في المؤتمر احتلت حرب الخليج بين العراق وايران معظم أعمال الجلسات. ونوقشت "حرب المخيمات" وأعلنت إدانتها.

لكن الحصار استمر.

المجاعة

اشتد الجوع فعمد السكان الى ذبح بغلين وزع لحمهما. وقد حزن بن لذبح أحد البغلين اذ كان عالجه لاصابته بشظية.

وفي ٢٨ يناير (كانون الثاني) حاول بعض الانصار ادخال علب حليب مجفف، لكن الشاحنة التي كانت تنقلها تعرضت للرصاص لدى اقترابها من مدخل المخيم مما أفزع السائق فتركها ولاذ بالفرار. في تلك الليلة تسلل ثلاثة أولاد الى الشاحنة وأخذوا بعض علب الحليب وعادوا بها الى المخيّم. فتسنى لنا أن نشرب حليباً مغذياً. ولكن سرعان ما نفدت الكمية.

في ٢٩ يناير (كانون الثاني) أصيبت امرأة في ساقيها حين جازفت بالخروج لاقتلاع بعض العشب من أطراف المخيم لتقيت أولادها الجياع. وهي لم تذق طعاماً منذ ثلاثة أيام.

كتبت في مذكراتي: "يسيطر الخوف على السكان ويعضّهم الجوع. إنها التعاسة تستحيل ألماً صارخاً في عيونهم." الا أن بعض الشبان ما زالوا يسترون لوعتهم بمظاهر الشجاعة. وأحدهم، وهو متزوج امرأة بدينة، قال مازحاً انه في أتم حال لان في امكانه أكلها اذا ازدادت الأمور سوءاً. وهذا أضحك الجميع. فما كان من زوجته الا أن شدّته بأذنيه. أما في ما يختص بي فقد وافق الجميع على أني نحيفة لا أصلح لان أؤكل.

كان السكان الجياع يتجمعون خارج مطبخ المستشفى أملا بالحصول على بعض فضلات الطعام. لكننا نحن أيضاً لم يعد لدينا طعام ولا فضلات طعام لنعطيهم.

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشو

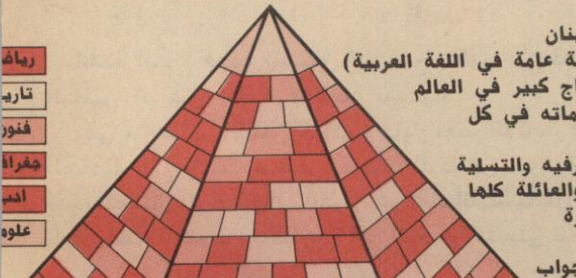

- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة مسجلة في لبنان - جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٧

هرم المعرفة: تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.
ت : ٩٣٦٧٧٠ (٠٩) - تلكس: LE ٤٥٤٠٠ AJAKKA
التوزيع في لبنان: شركة بلايتايم Playtime ت : ٤١٤٤٦٧

واجتمع ذات يوم نحو ثلاثين شخصاً حاملين طاسات وهم يتصايحون ويتزاحمون طالبين بعض الفتات. فبكيت تأثراً لهذا المشهد المفجع.

وقلت للممرضة الفلسطينية التي كانت الى جانبي: "انه لامر فظيع جداً أن تصل بهم الحالة الى هذا الدرك من البؤس."

فأجابتني: "ارجوك، كفي عن البكاء، ان هذا لقدرنا."

وعلى رغم انه كان لا يزال لدينا في المستشفى ما يؤمن أودنا، فقد خفف استهلاكنا الى ٨٠٠ وحدة حرارية يومياً. وأخذنا نفقد وزننا بمعدل ينذر بالخطر. فقد نهض هانس ذات صباح فشعر بدوار ووقع على الارض فلازم فراشه. وأصبحت تحركاتنا بطيئة حذرة، نمشي ساهمين سادرين كأننا في حلم. أما أنا فشعرت بأنني أموت جوعاً، واضطررت الى البقاء جالسة لعجزي عن الوقوف طويلا.

كتبنا بياناً ثانياً هو التماس يائس للمساعدة:

"بلغت الحال في مخيم برج البراجنة حداً لا يطاق. نناشد جميع الافرقاء المتقاتلين أن يوقفوا الحرب. ونلتمس من منظمة الامم المتحدة أن تعمل على وقف فوري للنار لكي تتمكن وكالات الغوث الدولية من ادخال الغذاء والدواء الى المخيّم."

في اليوم التالي سمعنا هذا النداء مذاعاً في نشرة أخبار هيئة الاذاعة البريطانية (BBC) مع ذكر اسمي. فقلت في نفسي: أخيراً لا بد من أن يحصل شيء ما.

حزن وفرح

كانت دورتنا الصباحية على المرضى محبطة في ١٣ فبراير (شباط). كان هناك فتى في الحادية عشرة من عمره وفتاة في السادسة على وشك الموت بسبب جروح ملتهبة. لم تعد لدينا مضادات حيوية (أنتيبيوتيك) ولم يكن في مقدورنا سوى رؤية الولدين يموتان. وكنت في حال اعياء شديد ولم أكن تناولت طعام الفطور.

بدأ القصف في العاشرة صباحاً. فذهبت الى غرفة الطوارىء حيث راعني أن أرى وصول اول الجرحى. كان مراهقاً يغطيه الغبار وقد بترت كلتا ساقيه.

وتتابع وصول الجرحى. أحضر سبعة رجال وأولاد بترت ساقا كل منهم، وسبعة آخرون يعانون اصابات خطيرة. وعلمت أن قنبلة سقطت وسط جماعة من السكان كانوا يشربون الشاي وأدت الى هذه الكارثة الكبيرة. وبدت غرفة الطوارىء مثل مسلخ.

ومن الذين قطعت سيقانهم مات أربعة للحال. وعمّ الذعر المخيّم لدى انتشار النبأ، وأقبل الأهلون ينوحون ويولولون فيما انصبّت جهودنا اليائسة على انقاذ الباقين. وكان ستة منهم يحتاجون الى جراحات رئيسية. وما ان مضت ساعة حتى سقطت قنبلة على الطريق المؤدية الى المستشفى، فقتل شخصان وجرح أربعة. فهرعنا وثيابنا ملطخة بالدم الى غرفة الطوارىء حيث رأيت أحدهم يحاول اسعاف رجل على الارض بانَ جلياً أنه ميت. فصحت: "اتركه واهتم بغيره."

كان ذلك كابوساً رهيباً، والحصيلة ستة قتلى و٢٤ جريحاً.

توقف القصف في المساء. وكنت مستلقية في سريري منهكة واذا بشاب يدخل ليخبرني انني مطلوبة على اللاسلكي. واضاف: "تعالي بسرعة، انه أمر مهم جداً."

كانت بطاريات اللاسلكي في المستشفى قد خبت. فتوجهت الى مقر احدى المنظمات في المخيم برفقة بن. أخذت سمّاعة اللاسلكي هناك وقلت: "هالو" واذا بي أتكلم مع جيم موير، مراسل هيئة الاذاعة البريطانية في قبرص. فشرحت له تفاصيل أحداث النهار. وكم كانت دهشتي كبيرة حين سمعت بعد ذلك صوت والديّ. وعلى رغم سوء الاتصال فقد هتفت عالياً انني بخير وأتطلع الى تناول يخنة وزلابية من صنع أمي.

سألني جيم موير عما اذا كنا نحن الاجانب نريد أن "نُنقذ." لم تكن الفكرة مرت في خاطري قبلاً. واذ عرضت علينا الآن فقد بدا التخلّي عن مرضانا وزملائنا وأصدقائنا منافياً للمهمة الانسانية الشاقة التي ندبنا لها أنفسنا، وخصوصاً في هذه الظروف القاسية حيث يموت سكان المخيم قصفاً وجوعاً ومرضاً ويتعذر إنجادهم بالمساعدات الحياتية الضرورية.

أجبت موير: "لن أترك المخيم قبل أن تنتهي المأساة."

ووافقني بن على ذلك.

رجعنا الى المستشفى في ضوء القمر. بعد كل ما جرى، رأيت أنه قد لا يكون هناك وقف للقتال مطلقاً. وقلت لبن: "من المحتمل أن نموت هنا." فرد: "أعرف ذلك."

غادرنا المستشفى وعدنا الى غرفتي التي لفّها الظلام. ولم يكن لدينا شيء للأكل ولا للشرب. فقال بن: "لست بنادم على مجيئي الى هنا على رغم كل شيء."

أجبته: "وأنا أيضاً." فمنذ نشأتي غرس فيّ والداي الايمان بالعدالة والحق. ورأيت أن ما يجري في مخيم برج البراجنة ظلم صارخ وقتل متعمّد للاطفال والعجزة والنساء الابرياء. وعزمت على أن أبقى مع سكان المخيم وأشاطرهم مأساتهم ومصيرهم حتى الرمق الاخير وأموت معهم اذا اقتضى الامر.

ثم سمعنا صوت سيارات فهرعنا متعثرين الى مدخل المستشفى. وهناك رأينا سيارتين متوقفتين مملوءتين صناديق فيها دقيق وحليب مجفّف. وكان السائقان تمكنا من رشوة بعض الرجال لادخال السيارتين، وهو ضرب من الشجاعة الفائقة. فافرغت السيارتان وغادرتا المخيم في ظلام الليل.

دوّنت في مذكراتي: "كان هذا النهار الاغرب والافظع في حياتي."

ممر الموت

توفي أحد الذين بترت أطرافهم وبدأ الباقون يتحسّنون جسدياً. ولم يطل الوقت حتى كان أصغر الاولاد يؤدي تمارين لتقوية ذراعيه. لكن التأثير النفساني في بعضهم بعد فقدانهم أرجلهم كان عميقاً فجر في نفوسهم الغضب والمرارة والاحباط، وأصبح مراسهم صعباً معنا وأسوأ مع عائلاتهم. وكان تغيير ضمادات جريح في الخامسة

والثلاثين من عمره معاناة للجميع. فلكي يلهي نفسه عن أوجاعه كان يردد أبياتا من الشعر بأعلى صوته ويقبض على ذراعي بشدة كانت تؤلمني.

كان الشريط اللاصق للضمادات نادراً جداً. فجاء أحد المقاتلين الى العيادة وطلب قطعة منه. فسألته سوزي عن الغاية من طلبه وقد ساورها الشك، لأنه كان يمسك شيئاً في يده بحذر شديد. فقال لها: "لقد ارتخت حلقة الأمان في قنبلتي اليدوية." فصرخَتْ فيه: "اخرج حالا قبل أن تنسفنا جميعاً أشلاء ممزقة." فانسحب الشاب بهدوء على رؤوس أصابعه وقصد رجلا أكبر منه سناً فثبّت له حلقة القنبلة.

من خلال اتصالات الصحافيين بي لاسلكياً علمت أن الميليشيات منشغلة في تصادمات في بيروت الغربية، مما خفف الحصار على مخيّم برج البراجنة. وفي ١٧ فبراير (شباط) أعلن السماح للنساء بالخروج ساعتين يومياً لشراء الطعام. فكان على النساء المشي مسافة ٥٠ متراً في أرض مكشوفة الى نقطة تفتيش. ومن هناك يذهبن تحت الحراسة الى متجر كان يحاسب بضعفي - أو ثلاثة أضعاف - ثمن الحاجات الغذائية.

في ٢١ فبراير (شباط) دخلت دبابات الجيش السوري بيروت الغربية لوقف القتال. وكان السوريون يرددون أنهم سيتقدمون الى الضاحية الجنوبية. فانتظرناهم كل يوم، ولكن مرت أسابيع ولم يظهر منهم أحد.

دامت موجة الصقيع الى أواسط مارس (آذار) خلافاً للعادة في لبنان. ورأيت فتاة قَضَم الصقيع أصابع قدميها. وكان المستشفى كثلّاجة، فلا كهرباء ولا وقود. ولكي أدفأ ذهبت الى العيادة حيث أعطي بن موقداً صغيراً. وبعدما أشعل كل ما كان متيسراً لديه من الحطب قطع إحدى خزانات الكتب.

ودعاني أدهم، الفتى الذي كان يأتيني باطباق الرز والزيتون، الى بيته لتناول وجبة من البيض والخبز واللحم اللذيذ كان أحضرها عبر "ممر الموت." كان شعوري بالفرج والارتياح عظيماً لرؤية هذا المقدار من الطعام، الى حد أن عينيّ غشيتا بالدموع حين فقس البيض في المقلاة.

في ٤ مارس (آذار) أجرت "الاونروا" ترتيبات لادخال أربع شاحنات ملأى بمواد غذائية، بشرط ان تأخذ الميليشيات اثنتين منها. فارتفعت معنوياتنا موقتاً، وما لبثت أن هبطت حين جيء الى المستشفى بفتاة قتيل عرفتها للحال. فندت مني صرخة ألم عميق، اذ انها كانت سوزان التي عالجت ندباً في قدمها بتطعيم الجلد فشفيت وبات في امكانها انتعال حذاء للمرة الاولى في حياتها. وتذكرت كم كانت فخورة وهي تريني حذاءها الجديد.

تهديدات واشاعات

أصبح "مستشفى حيفا" رمز المقاومة في المخيم. وصممنا على ألا نتوقف عن العمل. وحين غامرت زوجة صلاح، رئيس الممرضين، بعبور "ممر الموت" ذات صباح

سألها مقاتلو الميليشيات عن المستشفى: "من يعمل فيه؟" فذكرت لهم بضعة أسماء، وذكرت أيضاً "طبيبة أجنبية." فعبس المسلحون وقالوا لها: "سنقطّعها إرباً."

كتم الناس عني هذا الخبر حرصاً منهم ولباقة. ولكن حين ذكرت للدكتور رضا أنني في حال خروجي من المخيم أنوي الذهاب الى صيدا في عطلة لبضعة أيام، أجابني: "لا أعتقد هذا ممكناً." ثم أخبرني لماذا.

وأعترف بأني خفت كثيراً لأن توقيع البيانات التي أرسلناها أثار نقمة الميليشيات وقيل لي إن مسلحين هاجموا بلدة بالقرب من صيدا وقتلوا شخصين أتهموا بمساعدة الفلسطينيين. لكن ذلك لم يزدني الا اصراراً وعزماً على متابعة ما كرست له حياتي. فلن أسكت عما يعانيه سكان مخيم برج البراجنة من جوع وبرد وقهر ومهانة وخوف على حياتهم، وخصوصاً حياة اولادهم، فلا يعرفون إذا هم خرجوا أيرجعون اليهم سالمين أم تتلقفهم قنبلة مفاجئة في الأزقّة فتمزّق أجسادهم الندية وتنثر أشلاءهم الدامية على جدران أكواخهم.

كنت عاهدت نفسي منذ نشأتي على أن أتكلم بالصدق وقررت: سأقول الحقيقة ولن يرهبني التهديد. ان الحقيقة أقوى من المدفع ولن تموت، ولا بد من أن يعلو صوتها فوق أصوات القنابل والصواريخ.

وخطر لي أن أرسل كتاباً الى أهلي أشرح فيه الظروف التي أعيشها ليطلعوا عليه في حال وفاتي. ودونت ملاحظة في مفكرتي: "سأكتب اليهم غداً." لكني لم أفعل.

وعاد القتال متقطعاً.

في بداية شهر ابريل (نيسان) انتشرت اشاعات في المخيم أن السوريين ومسعفي الصليب الاحمر الدولي هم في طريقهم الينا. لم أصدق الخبر الذي خلته كسابقاته من نسج الخيال. وقلت في نفسي: لن أصدق حتى أراهم هنا. لكن الاشاعات هذه المرة كانت صحيحة. ففي ٨ ابريل (نيسان) أوقفت الميليشيات اطلاق النار ودخل السوريون مخيم برج البراجنة حيث قوبلوا بمزيج من الفرح لانتهاء القتال، والمرارة لتأخرهم ستة أسابيع. فخلال هذه الاسابيع قتلت في "ممر الموت" ١٨ امرأة وجرح أكثر من خمسين.

وفي اليوم التالي دخل مندوبو الصليب الاحمر ومعهم ١٢ سيارة. فقررنا اجلاء أكبر عدد ممكن من المرضى لأن المستشفى كان أصيب بأضرار بالغة وكان الموظفون منهكين. وعمّت الفوضى وعلا الصياح فيما الاهل يتزاحمون حول المرضى الذين سيُخرجون للمعالجة. وعندما حان دور المرأة التي أصيبت وهي تجمع العشب لتقيت عائلتها، انفجرت باكية فبكيت معها.

وهكذا، بعد ١٦٣ يوماً رفع الحصار عن مخيم برج البراجنة. ولكن كانت لا تزال هناك مفاجأة. فقد قادنا أحد أصدقاء بن الى بناء من خمس طبقات قائم بمفرده في الزاوية الشمالية الشرقية المهدّمة من المخيم. وكان عدد كبير من الابنية المحيطة هدم

بولين كاتنغ اليوم.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٧، استقبلت الدكتورة بولين كاتنغ الصبي بلال، وعمره سبع سنوات، لدى وصوله الى مستشفى ستوك ماندفيل في بكنفهامشير لمعالجة خاصة يدفع تكاليفها "صندوق جيمي سافيل."

وكان في رفقة بلال صبي فلسطيني آخر هو سمير وعمره ثماني سنوات، مصاب برصاصة حطّمت عموده الفقري. وقد عولج الولدان وبات في امكانهما المشي مستعينين بعكازات خاصة. وعادا بعد ذلك الى مخيم برج البراجنة.

في يوليو (تموز) ١٩٨٧ مُنحت الدكتورة كاتنغ "وسام الامبراطورية البريطانية" لعملها الانساني في المخيم. وسيعقد قرانها على بن في وقت لاحق من هذه السنة. وهي تسعى حالياً الى العمل في امستردام حيث يعمل بن كطبيب متمرن.

وسوّي بالارض. فصعد بنا الشاب الى الطبقة الثانية. وفي غرفة محصنة من جميع جهاتها بالفرش والخزانات والكراسي جلست امرأة فائقة البدانة ترتدي وشاحاً وثياباً للنوم.

فشرح لنا الشاب: "انها عاجزة عن المشي، لذلك لا تستطيع مغادرة المكان. ونحن نحضر لها الطعام والماء يومياً."

وقالت المرأة بامتنان: "هؤلاء الشباب كانوا يهتمون بي كل الوقت."

ان ذلك لا يصدّق. انها في أخطر نقطة على خط النار. وقد بقيت هناك طوال الحصار.

العودة

ودعت أنا وبن وسوزي وهانس زملاءنا وأصدقاءنا وداعاً عاطفياً. ثم أخذنا السفير البريطاني في سيارته المصفحة الى منزله خارج بيروت. وصدمت بذلك التغيير المفاجىء، من المخيم القاتم المحاصر الى قاعة فسيحة مفروشة بالسجاد الفخم. وجلسنا للطعام، فبسطنا فُوط السفرة في أحضاننا وتناولنا وجبة لذيذة من حساء ودجاج وخضر وحلوى.

ركبنا معدّية نقلتنا الى لارنكا في قبرص. ومن هناك طار هانس الى النمسا وطرنا نحن الثلاثة الباقين الى مطار هيثرو في لندن.

ذلك المساء أخذنا قسطاً من الراحة في منزل والديّ. وأثناء الاحتفاء المؤثر بنا لاحظت سوزي وبن ساهمَين يحدقان الى الفراغ ولا يصغيان الى ما يجري حولهما من أحاديث. فعلمت أنهما راجعان بالذكرى، كما كنت أنا، الى مخيم برج البراجنة، يفكران في الاشخاص الذين عشنا واياهم أشهراً عدة عيشة قاسية وشاطرناهم محنتهم ومصيرهم.

وتساءلت عن احتمال رؤيتهم ثانية. هل سيكونون في مأمن من خطر القتل والاضطهاد؟ وهل سيعرف الاولاد حياة يعيشونها غير مهددين برصاص القناصين وسقوط قذائف الهاون على رؤوسهم؟

قد ينسى العالم هؤلاء الناس والمأساة التي يعيشونها. أما أنا فلن أنساهم ابداً وسأعود اليهم ذات يوم.

الدكتورة بولين كاتنغ ■

ترجمة الياس عقل

عودة الى الطفولة

اشترى صديق لي سيارة جديدة، ونظرا الى ان القديمة لم يكن فيها شيء ذو قيمة باستثناء عجلاتها الاربع، قرّر ان يبيعها بمئة دولار. وقد اشتراها منه رجل محترم في نهاية العقد الثامن من عمره يعيش في الجهة المقابلة من الشارع، فقادها صديقي الى منزل الشاري واوقفها تحت شجرة كبيرة.

في كل صباح كان هذا الشيخ النشيط يخرج الى السيارة مبتهجا لينفض الغبار عنها. ثم يمضي بعض الوقت جالسا في المقعد الامامي. ونادرا جدا ما كان يرفع غطاء المحرك او يفتح الصندوق. وبعدما راقب صديقي هذه التصرفات المتكرِّرة بعض الوقت سأل جاره: "هل لي ان اعرف لماذا اشتريتِ هذه السيارة العتيقة؟"

فاجاب: "حسناً، الامر بسيط: لقد رغبتُ طوال حياتي في اقتناء سيارة ولكني لم احظَ بواحدة. والآن تحقق حلمي!" واكمل نفض الغبار عن السيارة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة رضى.

ب.ك.ب.

كلنا شعراء

سئل الشاعر وليم ستافورد مرة: "متى قررت أن تصبح شاعراً؟" فأجاب ان السؤال في طريقة طرحه غلط. وأضاف: "كل منا يولد شاعراً بطبيعته، فيكتشف أسرار الكلمات ويهتم بها ويبتهج. أنا ثابرت على ما يشرع فيه كل انسان. والسؤال الحقيقي الذي ينبغي أن يطرح هو: لماذا توقف الآخرون؟"

ج.م.

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

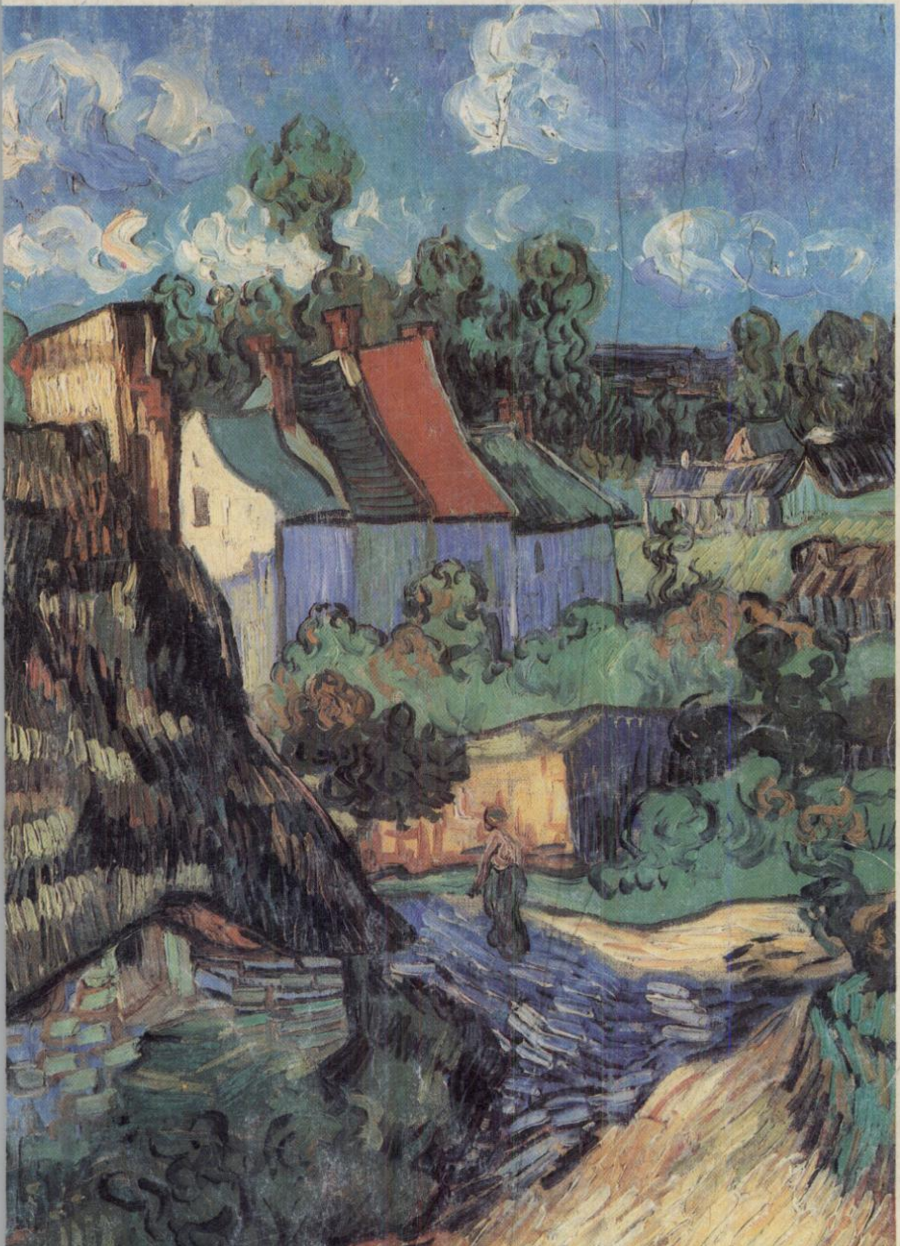

"بيوت في الريف" للرسام الهولندي فنسنت فان غوغ